

أصدقاء ناجي نعمان
Les amis de naji Naaman
los amigos de naji naaman
naji naaman's friends

د. ميشال كعدي

ريمون عازار

شاعرُ المَجَرَّاتِ الضَّوئيةِ

دار نعمان للثقافة

ميثال سليم كعدي

وُلِدَ في بلدة قوسايا (زحلة - لبنان) من أسرة بسكنتاويّة عام ١٩٤٤. أحرزَ شهادةَ الدُّكتوراه في فقه اللُّغة العربيّة من الجامعة اللبنانيّة عام ١٩٧٣، وفي العام التالي إجازةً في الصّحافة من جامعة القاهرة. إنصرفَ إلى الكتابة والتّعليم في الجامعات والمعاهد والمدارس الكبرى. يتميّزُ نثرُهُ بأسلوبٍ جماليٍّ خاصٍّ؛ من ألقابه: "فارس المنابر وسيف الكلمة" (جورج شكور)، و"الخطيب المّفوّه، خطيبُ المناسبات والجامعات" (مي المرن)، و"ريشتو سيف ع منبر" (سعيد عقل)، و"خليلُ الكلمة ونبراسُها" (ناجي نعمان).

له عشرات المؤلّفات، منها لدى دار نعمان للثقافة: آل كعدي في التّاريخ الحديث؛ ماهر نجيب وهّاب، شاعرُ المواقف؛ القصور اللُّغويّ، أسبابًا وحاجات (جائزة الأديب متري نعمان للدّفاع عن اللُّغة العربيّة وتطويرها، ٢٠٠٨). من كتبه أيضًا: المرأة في شعر الدكتور زياد نجيب ذبيان؛ خليل فاخوري، شاعرُ الشّباب والانطلاق؛ الأباتي سعد نمر بين الرُّؤيا والانفتاح؛ الدكتور عبد العزيز محيي الدّين خوجه، شاعرُ الرُّؤيا والتّجديد؛ عبد الله باشراحيل، شاعرُ التّجديد. دواوينُهُ منذ عام ١٩٥٩: حبيبتي إليك أكتب؛ قصائد داليا؛ أجملُ الأجل؛ جرح الحرير؛ حبيبتي شاعرة؛ كلّ الحلا (باللّبنانيّة)؛ له أيضًا: معلّمو العالم (مسرحيّة)؛ الهدى، أبعاد رويّة؛ في رحاب الوجدان (مواقف منبريّة)؛ على دروب الحياة (مقالات اجتماعيّة)؛ إلى عشرات القصص للأطفال، وسلاسل كتب مدرسيّة.

عضو أكاديميّة الفكر في لبنان، واتّحاد الكتّاب اللّبنانيّين، وجمعيّة أهل الفكر، ومجمّع الأدباء والمفكرين والفنانين والأساتذة الجامعيّين اللّبنانيّين؛ كبيرُ أعضاء دار نعمان للثقافة الفخريّين، ومُسْتشارٌ أوّل في لقاء الأربعا "صالون ناجي نعمان الأدبيّ الثّقافي" الذي تنظّمه الدّار.

المقدمة

ريشة تذكت من طفح الدّواة

ملأ ريشته من نياط القلب، وأجنحة الشمس، ورؤيا الشعر والوطن والحب، فذكاها من طفح الدّواة، ومعالِم الجوانية، القائمة على النجاوى العسجديات، والجوارِ المؤنس، ومعاريض المعاني.

لقد أدرك أنّ الشعر ضرورة، والقصيدة سفرٌ في مساحات ضوئية تتلاقى فيها زوايا الكون الأربع، والماضي والحاضر والمستقبل.

شغلته رهافة الحس، فعاجل الأزاميل، إلى عالم الدهشة والرؤى، وأعدّ نفسه للمُعترَم الأشرَف، حيثُ محترفُ الجمال، وأشياءُ لها في الذاتِ حَقٌّ وانطباعٌ، وما هي إلا لحظاتٌ حتّى يُقبلَ الشاعرُ ريمون عازار، وقد بدا على وجهه ارتياحٌ، فتأنس أن في يُمناهُ قصيدةً على رغم المهّماتِ وملفاتِ الناسِ التي تنتظرُهُ، وهو الذي اختارَ الحمامةَ دربًا لحياته وديناه، لأنّ تصفية القلب والروح من البغضاء والافتتالِ من شأن الشعر أيضًا.

ويومَ تتلاقى الحمامةُ وموهبةُ الشعرِ، ترتفعُ مداميكُ الإنسانيةِ ومشارفُ المدرسةِ الكبرى، والنفاذُ إلى مجذوبِ الأخلاقِ والذوقِ وحُسنِ الكلامِ، وبراعةِ المُعالجاتِ.

والقول المنغم، الذي تشده الأطناب، وألوف الأعصاب، تفجره نفس
فيضها من الأحاسيس وانخفاف الرؤى، والآفاق التي ترمز إلى
التجارب، ولهب العاطفة، وعمق الخيال.

عكف الجوهر وشال به إلى الأبعاد الجديدة التي يعطاها الشاعر. على أن
العبور إلى العالم المسحور، يقوم على أعمدة فوق المكان والزمان،
تجاور بعلوها الفيض والإشراق، ومواقف لا يبيعها بكنوز الدنيا.
هذا الطواف في الأروقة، حمل بجمع يديه الأصالة، وانطلق يلثم من
التراث التجدد والتجديد، رامياً الغموض المتعمد، وشعر الكلمات
المتقاطعة الذي لا ينطوي إلا على الفراغ.

لقد أحس الشاعر عازار بالخوف على الشعر الأصيل، فرفع صوت
المحامي ضدّ الفوضى، مشيراً إلى البقاء على التفعيلة الخليلية، لأنها
كالنقطة في الموسيقى، وحروف الهجاء في الكتابة، معتبراً الشعر كأي
فن جميل ينمو في الأصولية، ويموت في الفوضى.

هذا الشاعر، توافرت فيه أطراف النعم، ولعله وجد للشأن الأروع،
والكلمة التي سوتته كما تشاء.

إذا صفت سريرته، أفصحت براعته في مضيها من دون تردد أو التواء،
وقد اعتبر في أكثر من موقف أن الشعر حاجة ملحا، في الجمال
والوطنية، مما جعله بختاً، محظوظاً إزاء ملامح الانتقال المرسومة أبداً
في عطائه المتنامي.

كلامُهُ انْعَقَدَ على الذَّوقِ.

حروفُهُ تَنَدَّتْ على سُجُوعٍ وَأوزانِ الوَجْدِ بطواعيةٍ وعفويةٍ. وإذا استَبَدَّتْ به العاطفةُ، وهو القلبُ الشَّفِيقُ، والمنفعلُ بتؤدةٍ، فيسترسلُ في قوافيه، وهو يُعاني التجربة في وطنٍ جريحٍ، وصديقٍ رَحَلَ، وأخٍ يَغِيبُ، وقريةٍ شَرَدَتْها الحربُ، وعودةٍ لفينيقٍ، وأجنحةٍ تزورُ الشَّمْسَ، وأسرارٍ تُزْرَعُ في الأحداقِ والظلالِ والشَّذا، وخَفَقَ الوردُ، وسوى ذلك. والمُلفتُ أَنَّهُ أَبْعَدَ الحبَّ عن الرَّذيلةِ والكُفْرِ، وسَعَى إلى الاعتدالِ والنسبيةِ التي تُتَصِفُ الحبَّ والتَّواصلَ بينَ الإنسانِ والإنسانِ، وبينَ قواعدِ المودَّةِ والشَّوقِ.

فهو زَمِيَّتُ، يَتَشَبَّثُ بالفُتاتِ، وَلَمَعَ نَشِيرُ الذَّهَبِ، والتَّبَرُّ على مائِدَتِهِ، وفي قُبْضَتِهِ عقودُ منسوجةٌ مِنَ القلائدِ، والبرفيرِ والأرجوانِ، أَمَّا التَّنَاعُمُ ففي أُرْدِيتهِ التي من خَزٍّ وحريرٍ وبطائنِ الديباجِ. ثُمَّ حَرَكْتُهُ جَوَانِيَّةً غَنِيَّةً الأغوارِ والمنازعِ، فهو كَمَنْ يَعْمَلُ في الحُلَى والأواني، أو كَمَنْ يجعلُ الكونَ يحسُنُ بينَ يديه، أو كالخَمَّارِ الَّذِي يُعْتَقُ في الأقبيةِ الدَّهريةِ، ما طابَ له من عصيرِ الكرمةِ، ورَشَحِ الدَّنانِ.

في أيِّ حالٍ.

سَلَّمَ منظومَهُ من الارتجالِ والعُقْدِ، وأبقاهُ تحتَ السَّحْرِ الكلاميِّ، وأخضعهُ للحواسِّ الخمسِ، وسِمَانِ اللَّفْظِ، ورصينِ التراكيبِ، وكلُّ ذلكَ بينَ أناملِ مطيِّبةٍ كأنِّي به من آلِ عبدِ منافِ الَّذينَ أَتَقَنُوا صناعةَ خَلطِ الأطيابِ.

ظُرِفَتْ فِي قِصَائِدِهِ الْمَعَانِي، فَبَاتَتْ كَيْسَةً.

وَكَلَّمَا حَاوَلَتْ التَّعَابِيرُ أَنْ تَخْطُوَ نَحْوَ التَّنَوُّقِ، لَأَقَاهَا فِي تَفَاعُلِ الْجَهْدِ، وَضَنَى الصَّنِيعِ، لِيُظَلَّ الْجَرَسُ فِي التَّفْعِيلَةِ كَمَا تَشَاوُهَا الصَّنْعَةُ الْعُلَى وَغَايَةُ التَّرَفِ.

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَسْتَنْزِفُهُ غَيْثٌ، يَتَفَطَّنُ لِأَسْرَارِ الطَّبِيعَةِ، فَيَقْفِزُ إِلَى السَّامِقَاتِ سَحَابًا، يَنْهَلُ مَاءً يَنْضَحُ بِالْبُخُورِ وَالْبَلَسَمِ الْمَكِيِّ، ثُمَّ يَرَسُمُ خَرِيطَةً تَحْمِلُهَا الْأَجْنَحَةُ إِلَى مَرَاقِي أُمِّ النُّورِ، وَطُيُورِ الْمَسَاءِ، وَصَلَاةِ الْقُبْلِ، وَأَصْدَاءِ الْغَسَقِ.

تَتَاوَلَ النُّسَخَ الْعُتُقَ، فَحَلَّاهَا بِالْجَدِيدِ.

ثُمَّ تَعَمَّقَ فِي الْأَقْوَالِ الْفِصَاحِ، فَبَاتَ كَالْمَرْقِ اللَّسَنِ، لَا بَلْ تَنَاهَى فِي دُرُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالِدَقَّةِ وَالْعَدْلِ، وَلَا غُرُو، فَهُوَ الْقَانُونِيُّ وَالشَّاعِرُ الَّذِي يَحْرُصُ عَلَى مَالِ الْقَوْلِ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا يَتِمَهَّلُ فِي اخْتِيَارِ الْمَفْرَدَاتِ، وَيَتَرَفَّقُ بِخِدْمَةِ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَالرُّوْيِ وَالْمَوْسِيقَى الْخَارِجِيَّةِ وَالِدَاخِلِيَّةِ، وَانْتِقَاءِ الْأَحْرَفِ.

د. ميشال كعدي

أضواء على حياته

مولده ونسبه:

بُعِيدَ انهمارِ النُّورِ على عيْطوره - المتن - جارةِ الشَّمْسِ، كما سَمّاها، لم يدرِ امرؤٌ في الدُّنيا، حين ارتفعَ صوتُ ريمونٍ عزيزٍ عازارٍ بالبكاءِ، وتحديدًا في السَّادسِ عشرِ من تموز، على هديلِ بواكيرِ الجمالِ، وغُنْجِ الشجرةِ الغيناءِ، أنَّه سيكونُ مغرَّدًا، وطائرًا فيّاضًا، يملأُ رحابَ السَّامقاتِ المتنيّةِ، وتقاوحِ الزَّهرِ، وسجوعِ اليمامةِ، وجَرَسِ الطائرِ المِصواتِ، وفاعلاً في الأخلاقِ والمعرفةِ، وتقويمِ ميزانِ العدلِ الذي لا يحيفُ، ويُحرِّكُ النَّبْضَ في النفوسِ، فينقلُّها على أجنحةِ الشَّمْسِ والرُّوْيا، إلى عالمِ ترسمُهُ الجديّةُ في التعاطي الإنسانيِّ، ودخائلِ القِيمِ.

كانَ لنشأتهِ في بلدتهِ، أنْ اكتسبَ المقصودَ الصحيحَ، والمحتدَّ الأصيلَ، والحبّةَ المشدودةَ، وسدادَ القصدِ، واستقامةَ المنهجِ، ومَشْعَبَ الحقِّ والصدِّقِ، والرَّأيِ والحِصاةِ.

ما تخوَّفَ من شيءٍ في دنياه. الشُّعْرُ وَحَدَهُ شَدَهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ مَنْصاعاً له ولِقوافيه. كَتَبَ الشُّعْرَ على مقاعدِ المدرسةِ، في سنٍّ مبكِّرةٍ، متأثراً بصناعةِ الوشي، والكلماتِ المرقومةِ على النغمِ والرَّصْفِ المتناهي، على رغمِ ميله إلى المحاماةِ وعلمِ الحقوقِ.

دراسته:

انتقل من مدرسة القرية إلى مدرسة الحكمة، وما أدراك، فمدرسة الحكمة كانت منتجعا لرواد العربية، والفكر، ومعينا عذبا لرواد الثقافة.

أنهى دروسه المتوسطة والثانوية في مدرسة الحكمة - بيروت - وعرف بذكاء متوقد، مترسما آثار النابهين الذين خدموا العلم والوطن. ثم قدر أن يجمع من كل علم، وهكذا احتل المركز الأول في جميع الصفوف، على مدى السنوات السبع التي قضاها فيها. وقد تمكن بقدرة قادر أن يتولى رئاسة الندوة الأدبية على ثلاث دورات متتالية.

ثم انتقل من مدرسة الحكمة إلى معهد الحقوق في جامعة القديس يوسف، وهناك، انتقل معه نشاط آثار الإعجاب، حيث أسس الندوة الثقافية، فتولى رئاستها على مدينتين.

تخرج بعد نجاح فائق عام ١٩٥٨، مزودا بإجازتي الحقوق الفرنسية واللبنانية. وقد اعتبر في طليعة المحامين اللبنانيين، كما اعتبره أهل الشعر من كبار المجددين.

واقعه ومكانته الثقافية:

انضم في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي إلى حلقة الثريا، التي قامت على عدد من الشعراء والأدباء البارزين، فمنهم، الشاعران المغفور لهما جورج غانم وميشال نعمه، والأديب البليغ المفوه المحامي إدمون رزق، وشوقي أبي شقرا، والأديبة الدكتورة نور سلمان.

لَعِبَتْ حَلَقَةُ الثَّرِيَّا دورًا أدبيًّا رائدًا في تلكِ الحقبةِ، وأصدرتْ مجلةَ الثَّرِيَّا،
الَّتِي تَوَلَّى فيها المحامي الشاعر ريمون عازار مسؤوليةَ أمانة السِّرِّ.

المحامي الشاعر ريمون عازار،

من مؤسّسي مجلسِ المتن الشمالي للثقافة، الذي جَمَعَ كبارَ أدباء وشعراء
ومفكرٍ قضاء المتن. وفي هذا المجلسِ الرياديِّ، كان عضوًا شبه دائمٍ
في هيئتهِ الإداريّةِ، وغالبًا لم يُعَفَّ من مركزي نائب الرئيس وأمانة
السِّرِّ.

وقد كانَ عضوًا في نادي القلم الدّولي، وفي مَجْمَعِ الحكمةِ العلميِّ،
ورئيسَ هيئةِ الأصدقاءِ في الحركةِ الثقافيّةِ - انطلياس.

ثم شارك في عددٍ من المؤتمراتِ والندواتِ الثقافيّةِ.

وهو عضوٌ في اللّجنةِ البطريكيّةِ للشؤونِ الطقسيّةِ، الَّتِي أعادتِ النَّظَرَ
في نصوصِ القدّاسِ المارونيِّ، فقد صحّحها وجدّدها، وتولّى بشكلٍ خاصّ
مع الحبيبِ الأب يوحنا الخوند، إعادةَ قراءةِ النصوصِ الشعريّةِ
وتصحيحها.

كما أنّه كانَ عضوًا في المجمعِ البطريكيِّ المارونيِّ الذي اختتمَ أعماله
في سنة ٢٠٠٦.

ترأسَ نادي ليونز المتن مرتّين، فجدّده بعدَ الرّكودِ الذي أصابه في أثناءِ
الأحداثِ الأليمةِ.

مؤلفاته:

للشاعر ريمون عازار أربعة دواوين شعرية، ومجموعة نثرية من جزئين:

- ١- ديوان "وطني الحبّ والجراح"، صدر سنة ١٩٨٤.
- ٢- ديوان "أجنحة إلى الشمس"، صدر سنة ١٩٨٨.
- ٣- ديوان "عبور إلى البهاء"، صدر سنة ٢٠٠٩.
- ٤- ديوان "بين المجرة والسّنابل"، صدر سنة ٢٠٠٩.
- ٥- مجموعتان نثريّتان تضمّان ما كتبه من دراساتٍ ومقالاتٍ نقديةٍ وأدبيةٍ وفكريةٍ - قيد الطّبع.

تكريمه:

كرّمته جمعياتٌ ثقافيةٌ وأدبيةٌ كثيرة، وآخرها ندوة الإبداع في قصر الأونسكو في بيروت، فكان لها وقعٌ وشأنٌ في الأوساط العلمية والفكرية في لبنان.

عائلته:

أسّسَ مع زوجته الفاضلة، السيّدة كارمن تامر، عائلةً قوامها ثلاثة (دكاترة) تخرّجوا كلّهم من جامعة هارفرد - بوسطن - وهم: الطّيبان ربيع ورياض، والمحامي زياد.

قدرته:

الشاعر ريمون عازار المُعافي، يتابعُ اليومَ بقدرَةِ نشاطه على الصّعيدين المهنيّ والثّقافيّ. على أنّنا نعودُ معه إلى الأصالة المتجدّدة، فإذا عطاؤه، انبجاسٌ خيرٌ كفوحِ العطر. ذلك أنّه عطاءٌ مشرقٌ، يرفده أداءٌ مُبدعٌ وموهبةٌ من الرواءِ وضياءِ جارةِ الشمس.

أخلاقه:

هادئُ الطّباع، رضيّ الأخلاق، برٌّ بأهله، وافيٌّ بالعقد، متمسكٌ بالودّ، صدّقٌ أمين. إذا حُكِّمَ أعدل، أمّا نولُهُ فسمّح. عالَمُهُ مكتنزٌ بالفوائد، وصبورٌ في عمله. شغوفٌ بالحرية والإيمان والتفكير الحرّ.

أبعادُ أدبه:

الشاعرُ ريمون عزيز عازار، سائِحٌ في طَلَبِ النُّبلِ والأخلاقِ والوطنية، وَلَكَمْ فُتِحَتْ على يديه أبوابٌ وطنيةٌ ووجدانيّةٌ عبرَ ديوانيه "وطني الحبّ والجراح، ١٩٨٤" و "أجنحة إلى الشمس، ١٩٨٨" ومن ثمّ كثرتُ مشارفُهُ إلى الأدب، والقولِ المنعم، أمّا طوافُهُ الفكريّ والشّعريّ والحكميُّ فله

قسطٌ وافرٌ أيضاً في عمقِ الأحداثِ اللبنانيَّةِ، التي انعكست في قصائدهِ رؤى وتطلّعاتٍ وثوابتٍ، فكانَ منها استعادةُ المجدِ، واجترأُ المكرمةِ. أمّا شعرُهُ الغزليُّ، فنجاحُهُ يعودُ "لليلاه"، ولعلّها زوجتهُ التي كانتُ بمثابةِ الضوءِ في مختلفِ قصائدهِ الوجدانيَّةِ والعائليَّةِ، بدليلِ ما قالهُ بأولادهِ واحترامِ العائلةِ المتمثِّلةِ بأمِّ البنينِ والأحفادِ.

الغزلُ في شعر ريمون عازار

الغزلُ مرآةً لقلبه

قصائدُ الشاعرِ ريمون عازار الغزليَّةِ نسيجٌ من معالمِ الحبِّ العفيفِ، يُوحى للقارئ بالأخلاقيَّةِ، فهو يدخلُ القلوبَ، وتلهجُ به ألسنةُ العامَّةِ بين الحينِ والآخرِ.

تتراءى لك المعاناةُ مكشوفةً في غزله.

على أنَّ الودادَ مقيمٌ، في تباريحٍ، تُعلنُ رموزَ العشقِ في حبٍّ نظيفٍ، تعكسُهُ مرآةُ القلبِ، واللُّغةُ المباشرةُ، والأصالةُ العربيَّةُ العريقةُ. أَلحَانُهُ من الصَّبَوَاتِ القَلْبِيَّةِ، والأفئدةِ التي توافرَ فيها الصِّقَاءُ والدَّرَجَاتُ الفَنِّيَّةُ، والشَّوْقُ البالغُ منتهى الحدودِ، والرَّوْيُ الفاعلةُ في مسارِبِ العروقِ.

في قوله صدقٌ ضميرٌ، يستعينُ به لتحريكِ مواجدِ أحاسيسه، وارتعاشاتِ خوالجهِ الجوانبيَّةِ، التي تضيءُ على كلامه قِيَمًا إنسانيَّةً، يتعمَّدُ تتخيُّلها من النزواتِ غيرِ المقبولةِ والسريعةِ.

أنشدَ ريمون عازار شِعْرَهُ، على مقاماتِ قوامِها الحبُّ الصافي المنقَّى من الكراهيةِ والخلفيَّاتِ، أمَّا الحبيبةُ، فقد لاحقها على بهاءِ العينِ، متلفعًا ببرْدِ المتبتّلين في محاريبِ عشقهم، يُبرهنُ عن نقاءِ السّريرةِ، واتّقادِ جَمْرِ يعابثُهُ هوى يمتازُ بالخلقيَّةِ وألمِ الحبِّ.

قصيدتهُ ترفضُ الفجورَ، تمامًا كشعراءِ الغزلِ العذريِّينَ.

وهذا النوع من الشعر، يقدّس الحبّ والجمال في محبوبته، لدرجة التوحّد، والانصهار الوجداني، أمّا التفكير بالمرأة المعشوقة فيصل إلى حدّ التواصل الدائم.

تجدُ دائماً في خزانته الغزليّة المثلاليّة، التي تستشفُّ منها خفقان قلبه بحذر، والهوى الدفين. ومن تلك الملامح الوفاء الدائم، بدليل أنه لم يهرب من حبيبة له، وإن هرب، فهو يهرب إلى حزن عينيها، وإليها. على أنني أسمح لنفسي أن أترك لحظة هروب، أحاسب الشاعر عازار عبرها، إذ ليس ما يقوله الشاعر اليوم هو مطابق لقوله. لماذا؟ لأنني أنا من الشعراء أيضاً. ومما لا جدال فيه، أنّ الوفاء في حضور.

الوفاء عند الشاعر ريمون عازار، يُعتبر من أكثر القيم والسّمات التي تشيّع الإخلاص، لأنّ من دونه لا يستقيم حبٌّ، ولا معاناة، ولا ألم. ذاك أنّ حبّاً، يضارِعُ حبّاً كهذا النوع، لا بدّ أن يطراً عليه بعض التبدّلات، والتحوّلات مع مرور الزمن. مثل هذا الحبّ، ينقلب إلى محطات رحيّة، كلّما واجهته الصّعوبات والمحن، وضربته المشكلات والنوائب. صلاته في القبل انتماء عذريّ.

ينفتّ زفرات في وسع المسافات، مبعثها البوح، والأصداء التي تشيل باللفتة الصيّداء، واللّهفة، واللقاء، والغناء الشجي، أمّا الكوى فهي من

الإيناس والسكينة، والانتظار، ونارِ الفؤادِ الغارقِ بالفراغ. وفي هذا السياق، أتذكّرُ من شعراءِ اليومِ شاعرَ لبنان سعيد عقل في قصيدة "سمراء"، وصلاح لبكي في قصيدة "حنين"، ومن شعراءِ الأمسِ البعيدِ مجنون بني عامر، الذي تصوّرَ داخلهُ بنارِ الفرقةِ والحرقَةِ.

وهل هناك غيرُ الحبِّ الطاهرِ والذكريات؟

ومن المسلّمات، أنّ لغةَ الحبِّ فرضها الحبُّ ذاتُهُ، والموضوعاتُ والمشاعرُ، هذه اللّغةُ عجننتها الرقّةُ، وجانبُ المرونة، والدرجةُ المتقدّمةُ نحو الانفعاليّة، ولو لم تكن هكذا، انقلبتِ التجربةُ الوجدانيّةُ، والغزلُ إلى عُقْدٍ وتكلّفٍ، وخشونةٍ تتقعرُّ، وفي هذا المجالِ لغةُ الحبِّ ترفضُ رفضاً قاطعاً الخشونة.

خرجَ الشاعرُ عازار، عن بعضِ التقاليدِ، وتفرّغَ للمرأةِ التي أعطته الإلهام، على أنّها رمزُ شعرهِ الرمزيّ، وخلاصةُ مشاعرهِ، لعلّه يحظى بوُدّها الكامل، فإذا فعلتِ امثلك إحساساً مرهفاً، واستقراراً نفسياً، وهدأةً ذاتيّةً تدعو إلى الراحةِ والطمأنينةِ، والنّجوى المشنّفةِ.

هو الآخرُ يسكنهُ هوى ليلي.

فيفتّشُ عن ليلاه، وسطَ الدّرّ، وطيورِ اليمِّ، والموجِ، وفي المدى حيث الأحلامُ، والجزرُ، والزوارقُ، والكونُ الساكنُ في عينيّ وسعِ القدر، ناهيك عن الثّغرِ، والقامةِ، وأشرعةِ الشمسِ، والجفونِ التي اختصرتِ الدهرَ لحظاتٍ من الفتونِ والشّذا، يقول في قصيدةٍ إبحار:

فَلْيَهْدِ الْمَوْجُ، يَا لَيْلَى، وَيَنْتَثِرُ
 كَالدُّرِّ حَوْلَكَ، وَلْيَهْتَفْ لَكَ الْحَجَرُ
 لَمَّا دَعَتْنَا طَيُورُ السَّيْمِ، وَأُنْطَلَقَتْ
 نَحْوَ الْمَدَى، حَيْثُمَا الْأَحْلَامُ وَالْجُزُرُ
 فَفَوْقَ الْعُبابِ رَحَلْنَا فِي زَوَارِقِنَا
 فَأَبْحَرَ الْكَوْنُ فِي عَيْنِيكَ وَالْقَدَرُ
 ... حَتَّى ابْتَسَمَتْ وَغْنَى الثَّغْرِ مِنْ وَجَعٍ
 أَحْرَقَتْني وَلَهَّأَ، "لَا يَكْذِبُ النَّظَرُ"
 ... يَا قَامَةً كَشْرَاعِ الشَّمْسِ مُشْرِقَةً
 يَا مَوْعِدًا فِي جَنَانِ الطَّيْبِ يُنْتَظَرُ
 رَأَيْتُ فِي شَفَتَيْكَ الشَّعْرَ مُبْتَسِمًا
 وَفِي الْجَفُونِ رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُخْتَصِرُ
 ... أَنِّي هُوَيْتُكَ، مِنْ عُمْرٍ، وَيُسْعِدُنِي
 أَنْ يَنْقُضِي، كَالشَّذَا، فِي حُبِّكَ الْعُمْرُ^١

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، إبحار، ص ٨٠، ٨١، ٨٢.

كلماتُهُ مرويَّةٌ برشيحِ الطَّهرِ ونورِ الشَّعرِ. أليست هذه من أداءِ العذريةِ؟
بل هي ممهورةٌ بالحبِّ النَّبيلِ، ومركزِ الهوى الطافرِ إلى مذابحِ العشاقِ
التي توزَّعُ خبزَ الأسرارِ، والخمرَ المطيَّبَ بعافيةِ الأخلاقِ؛ وهيكلِ القلبِ:

لَأَجْلِكَ قُلْتُ:

كُنْ يَا نُورُ شِعْرًا

وَكُنْ يَا حُبُّ

أَسْرَارًا وَطُهْرًا

وَصِرْتُ

وَمَذْبَحُ الْعُشَّاقِ قَلْبِي

يُوزَّعُنِي الْهَوَى

خُبْرًا وَخُمْرًا^١.

نحنُ نشاركُهُ الزَّرْعَ في الأحداقِ، واللِّقَاءَ في "الرياض"، في لحظاتٍ
تمتازُ بالصِّفاءِ والنِّزاهَةِ واحترامِ النَّفْسِ التي تعيشُ على الأشْداءِ،
والتَّسامي، والسَّدْرَةِ السَّامِقَةِ، والصَّهِيلِ الواصلِ إلى ذُرَى الشَّمْسِ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشَّمْسِ، ص ١٥.

هذا الشاعرُ عندما تفاعلتُ فيه حياةُ المرأة، رسمَ كلَّ محبَّته، وضمَّنها ما
شعرَ به، من معاناةٍ ومثاليَّةٍ وتجاربٍ، حتَّى أعادنا إلى قيس بن ذريح
وحبيبتِه لُبْنَى، وجميل، وهكذا جمعَ أنواعَ الحبِّ حتَّى يَرْضَى ويُرضَى.
أحبَّها في غمرِ الربيع، حيثُ الجوارحُ والضلوغُ.
أحبَّها وعدًا في "رياض"، حيثُ في البالِ بخورٌ وأطياب.
أحبَّها بهاءً في "زياد" حيثُ اختزلَ فيه النورَ والتفرُّدَ، والوصولَ إلى
فوق، يقولُ:

أحبُّك

باتَ يغمرُنَا "الربيعُ"

فتغمرُهُ الجوارحُ والضُّلُوعُ

... أحبُّك

طابَ وعدُّ في "رياضٍ"

له في البالِ أشداءُ تضوُّعُ

... أحبُّك

يا بهاءً في "زيادٍ"

به اختزلَ التفرُّدَ والسَّطوْعُ^١

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمس، ص ١٦، ١٧.

رؤيا الشاعر

الشاعر ريمون عازار.

من مميّزاته أنّه شاعرٌ محافظٌ على حصانته الذوقية، والأخلاقية والروحية.

من هذا المنطلق انتسب إلى الشعر، وعالم الوزن والقافية، وهنا أُسرِعُ لأقول، إنه من المحامين الكبار، وفي أيّ حال، وقف إزاء كفتي ميزان، كفة الشعر، وكفة حقوق الناس، ليكون من أهل الإنسانية التي رفعها فوق الأشياء كافة.

لقد ميّز بين المواضيع والأبعاد والأهداف.

ميّز بين الشاعر والآخرين، واضعاً مقاييس الإحساس في الحسبان، ثم اعتبر طريقة الفنّ للفنّ (*L'art pour l'art*) ثابتة في لغة الشعر وجماله وتذوقه، من دون أن ينسى عظمة الإيقاع، والجرس الموسيقي، الذي يحرّك أعماق السامع.

هذا الشاعرُ قدر أن يجمع بين الإيحاء والإلهام، ونتاج الصنعة ككثير من الشعراء اللبنانيين.

في ديوان "أجنحة إلى الشمس"، يتراءى لك أنك أمام شاعرٍ يتلاعب باللاوعي، وهذه الظاهرة الشعرية هي أصل الإبداع في عالم الشعر،

وسبيل التواصل بين متذوّقي القول المنعم وقائله، وكلّ ذلك في أمكنة الشوق والإلهام، حيثُ الفرح الداخلي مبعثُ الإبداع، والأجواء النغميّة، والتفعيلات الخليليّة التي اعتُبرت في الأدب العربيّ، وصناعة الشعر من صلب جوهر اللاوعي الشعريّ.

يبدو أنّ الصنعة عند ريمون عازار، هي مسلكٌ للغبطة، وعبرها أدرك حقيقة الجمال، وصعوبة خلقه، وقد شدّد على الاستفادة من ديناميّة اللّغة الشعرية والأناقة، وعمل الأزاميل في النحت الخلاق وما استتبع من مطارق استخدمها ليزيل البشاعة والزيادات، وما استعجم على الرخامة.

أمّا إيمانه بالشعر، فهو الرؤيا بعينها.

فالشاعر هو الرائي، والقصيدة سفرٌ في الآفاق المشرقة وعالم الانخراط في مسافات نورانية تتلاقى فيها الأزمنة.

وبقدر ما تتجذّر فيه التجربة الشعرية، تعمق رؤياه، وترتفع قصائده لتأخذ من أجنحة الشمس أعمدة من نور، وتفجيرات تُشبه فيضاً عجائبيّاً مزيجه من خيال وعاطفة وفكر وفلسفة وثقافة عامّة، وملامح تعمّقت في جذور الحياة، ورؤى تعدّت حدود المكان والزمان.

لم يفرّق بين قصيدة وقصيدة، بل جعل العطاءات متوافرة، كما يشاء الوزن، والتفعيلة والموسيقى الخارجية والداخلية، والصنعة العلى، أمّا التجارب فكانت تجري بالسلك المعد لها، واختيار الحروف والأصوات، ومثل هذه التفاصيل موجودة في قصائد شاعر الإبداع سعيد عقل.

ثمّ اعتبر ريمون عازار، أنّ الشّعْرَ فنٌّ صعبٌ يحافظُ على الأصول، وفي هذا المجال يقول:

"الشّعْرُ فنٌّ صعبٌ، يحافظُ على الأصول، وينطلقُ من التّراثِ في رحلةِ التجدّدِ والتجديد. وكلّ شعْرٍ لا تضرب جذوره في التراث يسقط، وإذا عاشَ فلفترة الصّباح، مثل الشجرة التي تُقتلَعُ من التربة، وتُلقى في وهج الشمس فتبيس وتموت. لهذا فأنا ضدّ أولئك الذين يسلكون سبيلَ الغموضِ المتعمّد، وشعر الكلمات المتقاطعة الذي لا ينطوي إلّا على الفراغ..."^١
على رغم متاعبه، ووفرة المِلَفّاتِ التي تحملُ همومَ النَّاسِ في أروقةِ العدل، خدَمَ اللُّغَةَ والشّعْرَ، ولم ينسَ طيفها السّرّيّ، وحبَّ لبنانَ الذي تجلّى في عيني محبوبتهِ حسنًا وإيمانًا. اقرأ:

أُحِبُّكَ

من شذا لبنان حُبّي

أَهْمِي

وطيفك السّرّيّ قُطْبِي

تجلّى الله

في عينيك حُسْنًا

فعادَ الحُسْنُ في عينيك رَبّي^٢.

١ - من مقدّمة ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٩.

٢ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ١٩.

بَاتَتْ الْكَلِمَةُ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ طَبِيعَةً.

يتلاعبُ بها كما يريدُ، شرطُ أن تتأخى وظروفَ الحالِ، وإذا ارتاحَ في عمليةِ الشقِّعِ، أَمَّنَ عليها في البناءِ واثمينَ الكَلِمِ، لأنَّ في هندسةِ القصيدةِ جوهرَ القولِ المغنَّى والتفننِ، وحاله في هذا، حال المهندس الذي يُعلي الأعمدة الفخمة.

تَرى نفسك في الكثيرِ من قصائده، أَنْكَ تجاه لغةٍ حيَّةٍ، تتراقصُ فيها الحروفُ، من هنا نطلقُ على الشاعرِ صفةَ المعماريِّ القديرِ الذي يرصفُ الحُسْنَ بأبهى الحلِّ، ويُنقي أوراقَ الوردةِ، قبل أن ترتاحَ على الأناملِ المهيلة.

الشاعرُ العظيمُ، هو من يضعُ بين يديكَ قصيدةً تُنبئُكَ عن قادمٍ يبشرُ بالرواءِ، ويُعلنُ عن نقلِ الحالةِ الشعريَّةِ على أجنحةِ الكواكبِ المضيئةِ، والتجاربِ الموصولةِ بعناصرِ الإيحاءِ والبنيةِ الشعريةِ، وفي هذا المجالِ، فإنَّ شاعر "عبور إلى البهاء"^١ يطلبُ السكينةَ والبهاءَ في لغتهِ، وقد حملهُ ذلكَ إلى الدقَّةِ التي تشكِّلُ قاموساً يُرضي الدلالاتِ الجماليَّةَ، وأمكنةَ الفرحِ والحبورِ الداخليِّ. وهل أبهى من العينينِ، وأسوارِ الجسدِ، ونبیینِ يُضيئانِ مصابيحَ الحقيقةِ، والحبِّ، والضَّوِّعِ، والشَّهَدَ المقطوفَ، يقول في قصيدة "الفرح الأبهى":

١ - اسم ديوان للشاعر رمعون عازار.

أُتْرَى عَيْنَاكَ بِعُضٍّ مِنْ أَزَلٍّ
أَمْ رَهَانٌ
كَلَّمَا كَانَ عَلَى الْخُلْدِ الرَّهَانُ
أَمْ بِهَاءٍ
يُبْدِعُ الدُّنْيَا إِذَا انْهَارَ الزَّمَانُ

كَلَّمَا مِنْ خَلْفِ أَسْوَارِ الْجَسَدِ
سَبَرَتْ عَيْنَاكَ أَغْوَارِي الْعَمِيقَةِ
كَنْبِيَّيْنِ يُضِيئَانِ مَصَابِيحَ الْحَقِيقَةِ
فَهَذَا نُورٌ خَفِيٌّ
وَارْتَمَاءٌ فِي الْأَبَدِ
وَأَنَا أَعْبُرُ فِي عَيْنَيْكَ
مِنْ حُبٍّ إِلَى حُبٍّ أَجَدُّ

ضَوْعَ الْحُبِّ الْأَزَاهِيرَ
هَلَمِّيْ نَقْطَفُ الشَّهَدِ
فَسِرُّ الزَّهْرِ
أَنْ يُجْنَى عَبِيرًا وَأَمَلٌ
نَسْتَعِيدُ الْفَرَحَ الْأَبْهَى

ونغدو في تلاقينا على الشهب
شعاعاً وقُبْل^١

خطّ الإبداع

اختارَ أفعالاً تتناسبُ وظروف الحال.
ساقَ تراكيبه في سُلّم تصاعديّ.
رسمَ أصولَ السلوك، وخطَّ الإبداع، والمعالم الدالة، وإن اختلفتْ في
بعضِ الدروبِ وجهةُ الاتجاه، ففي هذا التّصرّفِ حالةٌ من حالاتِ المذهبِ
البرناسيّ غيرِ المعلن، وفي مُطلقِ الأحوالِ يُفْتَشُّ عن كونٍ آخرٍ يحلمُ فيه
بالسّعادةِ التي يتوخّاها، ويتمنّاها في كلّ أينٍ وأنّ.
مع هذا الشّاعر تجدُ الإنسانيّةَ والرُّوحَ في أعلى مناط، وبخاصّةٍ عندما
يحدّدُ علاقتَهُ بالرؤيا، ونشوةِ الحركةِ التي يشدّها عاملُ التعبيرِ للوصولِ
إلى فرحِ الكيانِ.

١ - من ديوان "عبور إلى البهاء"، ص ٣٥، ٣٦.

ففي دواوينهِ الشَّعْريَّةِ، تُثَبِّتُ عالَمَهُ الحركيَّ، وفي الوقتِ ذاتِه، تأخُذُكَ
الانضباطيَّةُ إلى مناهجِ الإيمانِ بالتَّجديدِ وتأديةِ الغرضِ بجديَّةٍ. أمَّا
المعرفةُ فهي وليدةُ الثقافةِ الأدبيَّةِ والقانونيَّةِ التي وظَّفها شاعرُ العبورِ إلى
البهاءِ، في كنفِ التعاطي، وأغوارِ الحضارةِ التي ولَّدَتْ فيه أمجادَ
القريضِ وجمَعَ القوى التعبيريَّةَ، ومستلزماتِ الأنافة، ومستوى الحبِّ
"الأوفيدي"¹ المعروف بتفاعلِ الأحاسيسِ ونبذِ البغضِ، وبشارةِ الهوى
الحيِّ، الآتي من هياكلِ الأنبياءِ، ودفعِ الشَّمسِ، وسخاءِ الحبِّ. اقرأ
معي:

أُبشِّرُ بِالْهَوَى
أَحْيَاكِ فَيَّا
وَأُصَلِّبُ فِي هَيَاكِلِهِ نَبِيًّا
فَحَسَبُ الشَّمْسِ
أَنْ تُعْطَى احْتِرَاقًا
وَحَسَبُ الْحَبِّ أَنْ يُعْطَى سَخِيًّا
وَحَسْبِي أَنَّنِي مَا جِئْتُ إِلَّا
لَأَعْبَرَ فِي الْفَدَاءِ إِلَيْكَ حَيًّا²

١ - "أفيد" أو "بوليوس أفيدوس ناسو" من شعراء روما الذين عرفوا بالإخلاص والأحاسيس المرفهة.

٢ - ديوان، أجنحة إلى الشَّمس، ص ٢٢.

بهذه الطاقة، وهذا التفاعل من التعاطي الجدّي، خاطبَ حبيبته، كالعذريّ
الذي رَفَعَ ودًّا لها غير مسبوق، وهو في أيِّ حالٍ يرعى حبّها وعهدها
في وسع العينين، والصَّلَاةِ والقُبْلِ في مدارِ العبورِ، وأسرارِ الأزلِ
المكتوبة في كُتُبِ الأمس، ومزاميره الأول، يقولُ في صلاة:

حُبُّنا، قلت، انْخُطَفُ
وصلاةٌ في القُبْلِ
واخْضِرارٌ وَسِعَ عَيْنِكَ
وكونٌ يُخْتَرَلُ
وَعَبُورٌ...
أَتُرَى نُدْرِكَ أَسْرَارَ الْأَزْلِ.

إِقْرَئِي في كُتُبِ الْأَمْسِ
مَزَامِيرِي الْأَوَّلِ^١

حبُّ الشاعر عازار، يكشفُ الحقيقةَ، ويجعلُها مرتبطةً بدربِ الله،
والسَّرَابِ، وظلالِ الشَّذا، وخفقِ الوردِ، وحبّةِ الحنطة، وأفرادِ العائلة،
والأرضِ والوطنِ، ثمَّ يربطُ كلَّ ذلك بحقائقِ الحبِّ الثابتِ، وأسلاكِ نورِ
الشمسِ أيّا كان موقعها في الظاهرِ والباطنِ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمس، ص ٢٠.

في أيِّ حالٍ.

اعتبرَ الهوى، مادّةً حيائيّةً، مركزها الإنسان، والحالة الإنسانية. والحبّ لا بدّ منه لأنّه من السّمات الربّانيّة.

فهو ينظرُ إلى الحبّ فيراه وجودًا وبقاءً واستمراريّةً.
إنّ الهوى في كلّ وقتٍ حالةٌ تواصلٍ من شأنه القُربى، وخبايا الوجدِ،
وارتعاشُ كلماتٍ تفوقُ الكلماتِ كلّها، والوصفَ كلّهُ.
وهو خطٌّ من دربِ الله، والسّموّ، والروحِ المشتعلِ من وهجِ النجومِ،
والنُّعمى المنبثقة من الخلق والحلم:

أُحبُّك

أيُّ حبٍّ كان أسمى

يقدّسني الهوى

روحًا وجسمًا...

... والسّماءُ وأنتِ دُرّبي

وأشعلُ في المدى

نجمًا فنجمًا

وأبصرُ من خلالِ الحبِّ ذاتي

إلهاً يستعيدُ الكونَ نُعمى

فلا ينهارُ خلقٌ من ترابٍ

وتغدو الأرضُ
فوقَ الحُلم... حُلماً.^١

إلى جانبِ الرّواءِ، والأخلاقِ العاليةِ، وعلوِّ النفسِ الكبيرةِ، والهوى لليلاهِ، ارتسمتْ على محيّا الشّاعرِ ريمون عازار، إماراتُ الحبِّ لفرطِ ما أثقلَهُ الحسَنُ الخارجيّ والداخليّ، الناتجُ عنهما العصبُ والنّبضُ، والكلامُ النّازلُ دريّا على الشّعْرِ العظيمِ المُنيرِ، والتجربةِ الفذّةِ، ولعلّه أرادَ أن يُبدي رأيه حين قال:

"... لهذا فأنا لا أتعصّبُ للشّكلِ، بل إلى ما يكتنزه، وأرتاح إلى القصائدِ الكلاسيكيّةِ، كما أرتاحُ إلى القصائدِ الحديثةِ، وحتىّ إلى قصائدِ النثرِ. فالمهمُّ أن أقعَ على الشّعْرِ الجيّدِ المضيءِ، وأن أكونَ تجاهَ تجربةٍ شعريّةٍ فذّة، وليسَ أمامَ كلماتٍ مرصوفةٍ، جُمِعَتْ بدونَ ذوقٍ أو لونٍ أو عطرٍ أو نغمٍ أو مسحةٍ إبداع..."^٢

حاولتُ كثيراً أن أفاضلَ بينَ قصيدةٍ وقصيدةٍ، فما تمكّنتُ، لأنّ الأبياتَ مزيجٌ من المعرفةِ والصّناعةِ الشعريّةِ، ومن عَصاراتِ الوردِ، وزهرِ الضوءِ، والصّوتِ الآتي من نداءاتِ الأزلِ، وجُزُرِ الحبِّ، وغناءِ العندليبِ، ومِساحاتِ العينينِ، والصّحورِ وسوى ذلك من بهاءِ الكونِ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمسِ، ص ٢٣.

٢ - من مقدّمة ديوان وطني الحبِّ والجراح، ص ٨، ٩.

تراه من بعيدٍ يُملِي كَأَسَا عَمِلَتْ فِيهَا أَيْدٍ إِغْرِيقِيَّةٍ، لِيُبْقِيَ فِيهَا عَصَارَاتِ
الرَّبِيعِ، وَالْعَيُونََ الرَّاحِلَةَ فِي غَوَى الْقَدِّ، وَدَوِيَّ اللَّحْنِ، وَالرَّقْصِ النَّارِيِّ،
وَجَنُونَِ الْخَصْرِ، وَالنَّهْودِ الَّتِي تُشْعِلُ الْوَجَدَ، وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْجَمَالِ.
أَجْمَلُ أَسْفَارِ الشَّاعِرِ عَازَارَ، التَّنَقُّلُ عِبْرَ عَيْنِهَا.
وَأَجْمَلُ أُمْنِيَاتِهِ أَنْ يَحِطَّ نَفْسُهُ بَيْنَ الْقُبْلَةِ وَالْإِنْتِظَارِ، وَأَنْ يَرَى قَلْبَهُ فِي
مَهَبِّ الْعِشْقِ، وَبَعْدُ لَا تَسْلُ عَنْ أَجْنَحَةِ اللَّقَاءِ، وَيَقْظَةُ الْحُسْنِ، وَحُلْمِ
الْفَرَاشَةِ الطَّيَّاشَةِ.
أَرَاهُ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ صُورٍ تَنَاعَمَتْ فِيهَا حَلَاوَةُ الشَّعْرِ وَكَلِمَاتِ الْغَزْلِ، أَمَّا
الشَّفَّةُ فَعَلَيْهَا سَكْرَةٌ لَا تَذُوبُ، وَالْجَسَدُ يَمْتَازُ بِزَخِّ النَّدَى، نَاهِيكَ عَمَّا يَأْتِي
مِنْ أَقَاصِي الْجُزْرِ وَالْأَسْفَارِ وَالشَّطَّانِ وَالْأَنْجَمِ الْقَبْلَ يَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ مِنْ
أَقَاصِي الْجُزْرِ الزَّرْقَاءِ:

ثَغْرُهَا سُورَةٌ حُسْنٌ

وَابْتِهَالَاتُ إِلَهٍ

وَبَعَيْنِهَا تَجَلَّى النُّورُ أَرْضًا وَسَمَاءً

... وَيَدَاهَا تَطْلُقَانِ الْغَيْبَ

أَسْفَارًا وَشَطَّانًا أُخَرَ

تَسْحَرُ اللَّيْلُ فَتَهْمِي

أَنْجَمُ اللَّيْلِ عَلَى الْأَرْضِ قُبْلُ

وَيَصِيرُ الْجَسَدُ الْآتِي مِنْ الشَّرْقِ صَلَاةً
تَنْتَهِي الْأَبْعَادُ فِيهِ
وَيُظِلُّ الْمَوْعِدُ الْآتِي صَدَاةً.^١

تهبُّ في كيانِ هذا الشَّاعرِ حالاتٌ تتواترُ فيها هَبَّاتٌ من الغرامِ، يريدُ أنْ
يحييها، ومع ذلكَ تَمَكَّنَ أنْ يُجَسِّدَ واقعًا وإنْ توهمنا أنَّه من عالمِ
الذِّكرياتِ.

من هنا جَعَلَنِي أَنْ أَقَرَّ بأنه طَلَّاعٌ، رفيعُ الأهواءِ.
قارنُهُ يشْتاقُ كلماتِهِ.

فهو يُبْقِيهِ على شبهِ توترٍ موصولٍ، وقلبٍ لهيفٍ، ومُستَرعىٍ.
إنَّه شغوفٌ ببراعةِ الرِّصْفِ، وعملهُ يتجَلَّى بالصدِّقِ، ولا غرو، لأنَّه يؤثِّرُ
جوانِبَ تتناولُهُ، فيستعينُ بالحبِّ ليستعيدَ أيَّامًا يشاؤُها، في صمتِ
الفراشاتِ، والوميضِ، وجرحِ الهوى، وحديثِ الحبِّ:

حَدَّثَنِي بِلْغَاتِ الصَّمْتِ، فَالصَّمْتُ كَلَامٌ
وَارْمَقِينِي، فَوْمِضُ الصَّمْتِ فِي لَيْلِي سَلَامٌ

إِسْأَلِي عَيْنِيَّ عَنْ جَرَحِ الْهَوَى
وَاسْبِرِي فِي الْقَلْبِ أَغْوَارَ الشَّجُونِ

١ - من ديوان "عبور إلى البهاء"، ص ٤٢، ٤٣.

أروغُ الأسرارِ ما لاحَ بآفاقِ العيونِ
وحديثُ الحبِّ بوحٌ فوقَ أبعادِ الكلامِ^١

تعدّدتْ جوانبُ الغزلِ في شعرِ الشاعرِ عازار، وكان له من الإبداعِ ما يكفي، حتّى لكأنَّ الأمرَ وقفَ أدبيّ، على إنسانٍ أرادَ أن يبيثَ روحه في مِدَادِ الشعور، وحسب ذلك الحقيقة المتمثّلة في رَوادِ الكلمة، الذين يريدون نشرَ الجمالِ في الكون، والآراءَ المضيئة، والأفلاذَ الموزّعة التي تولمُ في الأصقاعِ والرقاعِ والنفوسِ.

على أنني إخاله أكثرَ من ذلك:

إنّه جمُّ المواهب.

إنّه من أهلِ الخلقِ والسّجايا النبيلة. وهو من الموهوبين الذين أضأوا على صوتِ الحقِّ.

شاعرنا هذا، يذُ تدلُّ إلى الأصالة، وأخرى إلى مجدِ القولِ المنعم. أصيلُ المحتد.

لقد أدركَ الفنَّ في الكتابة، وعندما وصلَ إلى أطرافِ المُبتغى، أجاز. إذا ضافَ الهمُّ وساده، ومتاعبُ القانونِ باله، أطلقَ صيحات "الليلاه"، لعلَّ الخلاصَ في محيّاهَا ويديها، حيثُ البلسمُ الشافي، والأقمطةُ الفاعلةُ في ضمَدِ الجراحِ الداخليّة.

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٥٩.

نتحسّسه بينَ الهوى والعيونِ، والحبِّ والجراح، وخيوطِ الشمس، والتولّه
والذهول، ومسافات الزّمان، يقول:

أحرقيه،
وانثريه كرمادٍ في الرّياحِ
واذكّريه،
فيقومَ الحبُّ من بينِ الجراح...
... وجعِي أنتِ، وأقصى نشوتي
وامتناعُ اللّغزِ، والكنزُ الدفينُ
أطلّقتِ عيناكِ أسرابَ الشّذا.
... أترى تنهدُ أسوارِ الدخانِ
وتعودينَ عبيراً في براءاتِ الصّغارِ
حبُّنا ما همسَ النورُ
وما قالتِ الأقمارُ للغيدِ الحسانِ
وتغنّي، إن تجلّيتِ، مسافاتُ الزّمان^١

نتذوّقُ شِعْرَهُ في اللّحنِ المنسابِ مع جرّ الألحانِ، والقمرِ، وحُلمِ الفتاةِ
اللهيفِ، وجمرِ الأضلاع، والغيثِ الصبيّيبِ.

١- ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٥٦، ٥٨.

نتذوّقه في الهمسِ النازلِ مع نسائمِ بلدته، والشفقِ المرتابِ، والأفقِ
المحال.

البيان الموحى

في قصائده "جماليا" يتخللها بيانٌ موحى، ومجازٌ لطيفٌ، ورمزٌ شفيفٌ،
من إشاراتِهِ الانتقالُ على جناحِ السرعةِ من حالٍ إلى حالٍ، ثم يغدو
القارئ معه ضيفاً على مائدةِ الحبِّ، وأوبةِ العاشقِ، وكلُّ ذلكَ بتؤدةِ أهلِ
الدُّوقِ.

أنعمَ به قريضاً يمسحُ عن المتعبينَ غبارَ التعبِ والقهرِ والألمِ.
أكرمَ به غريداً يُضفي على المرءِ الأنسَ والبهجةَ والرضى.
أنتَ معه في رضى العريقينِ.

هاجسُهُ الطيب، ورشّ العبير، كأنّه بابليُّ المنشأ، أو من بني عبد مناف،
وما أدراكَ بخالطي الأطيابِ.

فحيثما قلبتَ طرفكَ في قصائده، عانقتكَ الصورُ الجميلةُ، والتعابيرُ
المُبدعة، ثم دغدغتكَ المتعُ الراقية، يسترقُّها من خزائنِ معرفته، ولقيّاته،
يرميها على جمرِ الشوقِ الدفينِ في داخله، والحنين، والقبلة، أمّا قوله
فيخضعهُ ليأتي بالإنّقانِ والتفنّنِ.

فهو يحولُ الأصباغَ كما يشتهي.
ويخالُ في خَفَقِ الورودِ السَّحَرَ الأَسْمَرَ، واللَّيالي السَّمرَ من نارٍ وعنبرٍ،
ويقطرُ من الشَّفةِ الشَّقراءِ خمرًا بابلِيًّا، ومن الزَّهرِ ما يُشجِي ويُغري،
اقرأ معي:

مَنْ يخالُ السَّحَرَ أَسْمَرَ
واللَّيالي السَّمرَ مِنْ نارٍ وعنبرٍ
أو يخالُ الشَّفةَ الشَّقراءِ
أشهى ما تنأهى الخمرُ...
أَنَّ الخمرَ مِنْ شَقراءِ يُعَصِرُ
أنا عَرَفُ الزَّهرِ يُشجيني
وليسَ اللَّونُ يُغريني
فأَسْكُرُ^١

ينطلقُ شاعرُ "جارية الشمس" في تعامله مع الهوى والجمالِ والأسْرِ فيهما.
فهو أكثرُ من حريصٍ على الحبِّ النظيفِ.
من أبعادِ حبِّه الصدقُ، والغزلُ الراقي والوفاء.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٣٥.

وَأَنْتَ تَقْرَأُهُ تَشْعُرُ مِنْ دُونِ جَهْدٍ بِأَنَّهُ رَفِيقُ الرُّوحِ. لَا يَهْمُهُ الْجَسَدُ، أَوْ
الشَّهْوَةُ الْجَامِحَةُ، فَجَلَّ مَا يَسْتَهْوِيهِ أَنْ يَكُونَ قَلْبًا فِي حَضْرَةِ الْعَشْقِ، وَفِي
سَحْبَةِ مَرُودِ الْعَيْنِينَ، أَمَّا الْحَبِيبَةُ فَمِنْ أَجْلِهَا يَهُونُ الْوَقْتُ، وَبِخَاصَّةٍ فِي
عِيدِ الْحَبِّ، عِيدِهَا، وَمَا يَحْمِلُهُ مِنْ مَغْرِيَاتٍ وَمَعْطِيَّاتٍ، وَأَسْئَلُهُ تَبْحَثُ عَنْ
مَكَامِنِ الْخَفَقَاتِ الْوَجْدَانِيَّةِ، الَّتِي تَجَلَّتْ صَوْرًا بَرَزَتْ فِيهَا الْمَشَاعِرُ
الْمُتَفَاعِلَةُ فِي الذَّاتِ الْغَنِيَّةِ بِالتَّجَرُّبَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى كَشْفِ الْمَخْبُوءِ وَالْكِتَابَةِ،
أَمَّا التَّوَعُّلُ فَالْغَايَةُ مِنْهُ اللَّحَاقُ بِالْوَرْدَةِ الْحَمْرَاءِ، وَهَدَايَا الْعِيدِ، وَالشُّوقِ،
يَقُولُ:

مَا تُرَى قَدْ جِئْتَ تُهْدِينِي
وَهَذَا الْعِيدُ، عِيدُ الْحَبِّ، عِيدِي؟
أَيْنَ تِلْكَ الْوَرْدَةُ الْحَمْرَاءُ تُغْرِينِي
بِآلَافِ الْوَعُودِ

قُلْتُ إِنَّ الْوَرْدَةَ الْحَمْرَاءَ قَلْبِي
وَهَدَايَا الْعِيدِ حَبِّي وَاشْتِيَاقِي
يَذْبُلُ الْوَرْدُ سَرِيعًا
وَيَزِيدُ الْقَلْبُ نُورًا
كَلَّمَا ازْدَادَ احْتِرَاقِي^١

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٩١، ٩٢.

وتراه يتمادى في عمق التجربة والهوى.
يكشف عن مخبّاتٍ يُظهرها ثغران وقبلة، وللتوّ ينزغ عن نفسه دثارَ
البعد، ليكون قريباً من حبيبته، لعلّه في ذلك يُعطيها ما يملك في دنياه:

وتلاقينا على بُعد
فصارَ البعدُ إشراقاً وقرباً
كلّما تضطرمُ النيرانُ شرقاً
تستجيبُ النارُ غرباً
حبّنا يختصرُ الدنيا مكاناً وزماناً
حبّنا يبتدغُ الفردوسَ كلّهُ
وبه تُلغى المسافاتُ
فيغدو الكونُ
ثغرينِ وقبلة^١

لحظاته وأوقاته تمتازُ بالذرى والسّمات، وترتفعُ بالكرامةِ والسّماتِ
العالية.

عطشهُ دائماً للوصولِ إلى تماسّ الفنّ، أو لتحقيقِ رحلةِ العيون، لعلّه يلمّ
الحضورَ الأنثويّ الذي لاحقه بخفرٍ إلى حقولِ الرّوى، وأغوارِ اليقين،

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٩٣.

حيثُ الجمالُ الرؤيويُّ، الذي أجازَ للرمزيّةِ والأخيلةِ، أن تتشبّهَ
بمنفسحاتٍ واسعةٍ تضحُّ بالأسرارِ المستعرةِ وسطَ القلبِ الخافقِ.

في هذا الوسعِ أدركَ الشاعرُ ريمون عازار آفاقَ الأعوامِ، وسَمَحَ لنفسِهِ
بالدّخولِ إلى الخواطرِ، وهو في طريقهِ، راحَ يفتشُ في جيوبِ وخبايا
الطّيبِ عن "ليلاه"، حيثُ الحبُّ المرصودُ في كُنْهِ التّواصلِ.

ثمَّ أكَّدَ في سياقِ الكثيرِ من قصائدهِ الغزليّةِ ومن دونِ جَهَرٍ، أنّ الجمالَ
غيرُ مرئيٍّ أو ملموسٍ بوحدةٍ من ملكاتِ الحسِّ الخمسِ، فهو يلجأُ إلى
الأبراجِ العاجيّةِ من غيرِ ما يألَفُ، وحسبُ حسناؤهِ مِنَ الضياءِ وخبوطِ
الشمسِ، وهو من النّورِ لا من الأنجمِ والعددِ، وهو ليس مِنَ السّاعينِ إلى
النّجمِ.

يقولُ:

أنتِ الضياءُ
وهنَّ الأنجمُ انبثقتُ
وتولّدُ الشّمسُ، إنْ أشرقتُ
في الظلمِ
راموا النّجومُ؟
أنا ما غرّني عدّدُ

مَنْ يَمْلِكُ النُّورَ
لَا يَسْعَى إِلَى النُّجْمِ.^١

وقد لاحظتُ أَنَّ العمليةَ الفنيَّةَ، وكلَّ ما جاءَ عن طريقِ التَّصوُّرِ والإحساسِ، قد توافَقَ وفقَ الرغبةِ، وفي إطارِ الذاتِ الواعيةِ. عانى الشاعرُ عازار تجربةَ الانتظارِ، والعبورِ، وظلالِ الشذا، ومعالمِ الربيعِ، والفداءِ، وهذه التجاربُ يعتبرُها علْمُ النَّفْسِ من أصعبِ التجاربِ على الحبيبِ، وهي من الأشياءِ التي تُقلِّقُ المحبِّينَ، وفي أيِّ حالٍ، هذه المعاناةُ، تتأكَّلُ الأوقاتَ والأعصابَ، على أَنَّ النهايةَ سعيدةٌ، وفي آخرِ المطافِ تؤدِّي إلى فيافي السَّعادةِ، أو إلى حياةٍ غيرِ مرضيةٍ، أو إلى هواجسٍ وظنونٍ، وتوقَّعاتٍ لا ترحمُ العاشقَ. وهو في هذا الجوِّ يمرُّ بحالةٍ اللاَّقيا، وانتظارِ الإبحارِ، وكلَّما حاولَ أن يسيرَ، نأى شاطئُ الحبِّ السَّعيدِ، وتوارى عنه الشَّعاعُ، ثمَّ يعودُ من جديدٍ ليبحتَ عن هوَى آخرٍ، اقرأ:

مَرَّ عَهْدٌ
وَلَقَانَا لَمْ يَتَمَّ
يُسْرِعُ النَّهْرُ

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٣١.

وينأى شاطئُ الحُبِّ السَّعيدُ
كلَّما هَمَّتْ يَدَايَ أَنْ تَضُمَّ
مالٌ يَدْعُونِي بِدَلٍّ
نحوِ إِبْحَارٍ بَعِيدٍ

أَيُكُونُ الحُبُّ وَهْمًا وَانْتِظَارًا
أَمْ بِهِ نَفَنِي احْتِرَاقًا
وشُعَاعًا يَتَوَارَى
وَإِذَا عَادَتْ بِنَا
سُفُنُ الشَّوْقِ مِنَ الجُرْحِ مَرَارًا
نَمْتَطِي الرِّيحَ
إِلَى حُبٍّ جَدِيدٍ^١

يَقْظَةُ الْجَمَالِيا

وَمِنْ جَمَالِيَّاتِ الشَّعْرِ العَازَارِيِّ، لَحْظَاتُ الوَعْيِ، وَيَقْظَةُ الضَّمِيرِ فِي
المُسْتَوَى المَطْلُوبِ، وَلَا رَيْبَ فَهُوَ شَاعِرٌ لِبْنَانِيٌّ، يَمْتَازُ بِأَخْلَاقِيَّةٍ رَاقِيَةٍ
جَدًّا، فَفِي مَعْصَفِ خَوَاطِرِهِ، عَنَايَةٌ فِي الصَّوْتِ وَالْإيقَاعِ وَالمُوسِيقَى.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٥١، ٥٢.

ريمون عازار،

يعتبرُ أنَّ حبَّ الرَّجُلِ للمرأةِ لم يكن هامشيًّا، وإنَّما هو مظهرٌ حضاريٌّ، إنسانيٌّ، يبرزُ في حياة الشعراءِ، وعاطفتهم بشفافيةٍ متناهيةٍ، وصدقِ نفسٍ متعطشةٍ للحبِّ، هذا بالنسبةِ للشاعرِ عازار، ولغيره من بعض الشعراءِ، أمَّا بالنسبةِ للآخرين، فهي محطةٌ للتأملِ، والوجدِ، والوجدانيَّةِ، والواحاتِ الأدميةِ الغنيةِ بالإحياءاتِ.

المرأةُ في نظرِ الشاعرِ عازار مصدرُ الأخلاقِ والإعجابِ.
المرأةُ مصدرُ الغزلِ العفيفِ.

فهو يتمنَّى أن تبقى بعيدةً عن الابتذالِ، وقد يخالفُ في هذا الكثير من الشعراءِ.

يرفضُ نظريَّةَ النؤاسي قديمًا، ونزار قباني الإباحيِّ، وجوزف نجيم وغيرهم، لأنَّ الطبيعةَ الإنسانيَّةَ تأبى الانحرافَ عن السننِ والشرائعِ التي رسمتها الأديانُ والأعرافُ والتقاليدُ الاجتماعيَّةُ التي عرفتْها البشريَّةُ. حبيبتهُ من الصَّوتِ الآتي من فوقِ.

حبيبتهُ من زهرةِ الضَّوءِ، والرجاءِ، والهدى، والنداءِ الأزليِّ. يقولُ في قصيدة "زهرةُ الضَّوءِ":

عندما يحنو عليَّ

صوتُكِ الآتي كوحْيٍ...

ورجاءٍ... وهدى

يغمرُ النُّورُ كياني مثلما
يغمرُ اللهُ بعينيه المدى
صوتُكِ الآتي نداءً أزلِيُّ
... وجهُكِ الآتي بهاءً علويًّا
... وجهُكِ العهدُ الوثيقُ
... والنُّورُ الطليقُ.^١

في أيِّ حالٍ.

التطلُّعاتُ إنسانيَّةٌ أدبيَّةٌ، متَّخذةٌ من خلالِ صورةِ المرأةِ، كما ظهرت مع
الشاعرِ عازار، وفي هذا الوضعِ يستوي أن تكونَ المرأةُ موضوعًا
للکلامِ، والقصيدةِ، أو عبورًا للکلامِ الحميمِ، أو أداةً من أدواتِ الفنِّ، أو أن
تكونَ ملهمةً وشعاعًا يطلقُ حقيقةً وجودها إلى جانبِ الرَّجلِ، وبخاصَّةٍ
الشَّاعرِ.

يعرفُ شاعرُنَا أنَّ الحبيبةَ، هي اللَّونُ الرئيسُ في كلِّ العصورِ، وهي
العنصرُ الأبرزُ في كلِّ حينٍ لكلِّ مجتمعٍ، بل هي الصورةُ الشاملةُ
المرتجاةُ، التي تجسِّدُ النظرةَ الصائبةَ في حجمِ الاهتمامِ الإنسانيِّ، والعشقِ
والتَّوافقِ.

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٥٣، ٥٤.

رَسَمَ صورةَ المعشوقةِ بالشَّعاعِ والكلماتِ، التي جَمَعَتْ أجزاءَ وجوانبَ الحُسْنِ بكثيرٍ من الجِدَّةِ. وعبرَ هذا المستوى الكليَّ من تبيانٍ وتصويرٍ الجمالِ، وَجَدْنَا التفاصيلَ والجزئياتِ، تقتحمُ المفاصلَ الخفيفةَ للصُّورِ الحسيَّةِ والذهنيَّةِ وبالتالي ترسمُ القسَمَاتِ بدقَّةٍ من دونِ تردّدٍ، ثُمَّ تتكاملُ المعطياتُ، فتجمعُ عدَّةَ الغزلِ المُعافى، و"الحلا" المتناسقِ المثالي، وفي هذا السِّياقِ، تبدو لنا الكلماتُ والتفعيلاتُ كأنَّها خطوطٌ ورموزٌ وأصباغٌ في يدِ رسَّامٍ ماهرٍ ريشتهُ خالقةٌ، أو عجيبةٌ لينةٌ، تمتازُ بالطواعيةِ في يدِ مثَّالٍ مُسْتٍ بالقدرةِ والتلاعبِ بالسَّحرِ والأزاملِ.

وَمِنَ الصُّورِ الرَّائِعَةِ التي تَجَانَسَتْ فيها أنواعُ الحياةِ، وصورةُ المرأةِ المخلوقةِ في اليومِ الثامنِ على يدِ الله:

مِنْ عناقِ
بين شمسٍ وقَمَرٍ
... مِنْ أنفاسِ صادٍ
من شذا فَجَرٍ تَبَلَّجُ
وَعَوَى لَيْلٍ تَأَجَّجُ
وَمِنْ الأَجْمَلِ والأَعْلَى
تَسامى وتوهَّجُ
أَخَذَ اللهُ كَثِيرًا

كَانَ يَوْمًا ثَامِنًا
مِنْ رِحْلَةِ الْخَلْقِ آخِرًا^١

إِنَّهُ امْتَدَادٌ وَلَا أَجْمَلُ، فِي شِعْرِنَا الْمَعَاصِرِ.
امْتَدَادٌ جَمَالِيٌّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ وَالضَّوْءِ وَالشَّذَا وَالْفَجْرِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْعَيُونِ
وغير ذلك.
كُلُّ الْجَمَالَاتِ الشَّعْرِيَّةِ جَمَعَهَا صِفَاتٌ حُسْنٌ فِي الْمَرْأَةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَنْسَى
الْجَوَانِبَ الْجَوَانِيَّةَ الْأَنْيَقَةَ وَالنَّفْسِيَّةَ الْوَاضِحَةَ.
لَقَدْ تَدَرَّجَ بِصُورِهِ لِيَجْعَلَهَا فِي حَجْمِ الْاهْتِمَامِ بِالْمَرْأَةِ، وَلَعَلَّ وَلادَتَهَا فِي
الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.
وَاللَّافْتُ أَنَّهُ يَعِي بِمَا تَحِبُّهُ الْحَبِيبَةُ، وَالْمَرْأَةُ بِشَكْلِ عَامٍّ، وَمَا يُقَالُ فِيهَا
وَعنها، مِنْ هُنَا جَمَعَ بَيْنَ مَا يَرِيدُ قَوْلَهُ، وَالاعْتِرَافَ بِهِ، وَمَا تَرِيدُ أَنْ
تَسْمَعَهُ عَنْهَا.

أَعْطَاهَا مَا تَشَاءُ.
أَعْطَاهَا مَا تَتَمَنَّاهُ كَالشَّبَابِ الدَّائِمِ وَالتَّرَفِ، ثُمَّ مَلَأَ فِرَاقَهَا بِمَا تَبْغِيهِ أَبَدًا
وَتَسْمَعُ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٤٧، ٤٨.

وَصَفَّهَا كَمَثَالٍ لِلْبَهَاءِ، مَعْبَرًا عَمَّا تَحِبُّ أَنْ تَوْصَفَ بِهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي
مُضْمُونِ شِعْرِهِ وَأَبْيَاتِهِ مَا يَضْمَنُ الْأَشْيَاءَ الْمَقْبُولَةَ وَالْمَحْبُوبَةَ.

يُرَدِّدُ مَا تَقُولُهُ بِرَغْبَةٍ مُلْحَاحٍ عَبْرَ دُرُوبِ السَّفَرِ، وَالصَّحَارَى وَاحْتَوَاءِ
الْحُبِّ، وَلِيَالِي السَّمَرِ، وَانْبِلَاجِ الصَّبْحِ وَذُوبِ الزَّهْرِ عَلَى الزَّهْرِ؛ فَيُؤَاتِيهَا
عَلَى مَبْتَغَاهَا:

قُلْتُ خُذْنِي
لَا تَسْلُ أَيْنَ
وَلَا كَيْفَ السَّفَرُ
مِنْ صَحَارَى الْغُرْبَةِ الْخَرَسَاءِ
خُذْنِي
مَنْ عَتِي... مَنْ قَدَرُ...
لَا تَدْعُنِي فِي بِلَادِ
يَصْلُبُونَ اللَّهَ فِيهَا وَالْبَشَرَ.
وَتَهَاوَيْتِ كَطِيرٍ
فَرًّا مِنْ هَوْلِ الْخَطَايَا وَالْخَطَرِ
فَاحْتَوَيْتِ الْحُبَّ بِالْحُبِّ
وَبِاللَّيْلِ الْقَمَرُ

وانتهينا في صباحٍ
مثلما ذابَ على الزَّهرِ الزَّهرُ^١

أدبُ الغزلِ عنده من الرّوعةِ بمكانٍ.
وإذا كانَ الحبُّ نعتَ الرُّسلِ والأنبياءِ، وقبلَهُم الله خالقَ الحياتِ
والدنيواتِ، فهو البدايةُ والكمالُ والاستمرارُ.
أخذَ مكانَهُ في دنيا الربِّ الواسعة، وتمسَّكَ فعلُهُ الكبيرُ في الشعراءِ، فأشبعَ
منه الأدبُ، والمعلقاتِ، والقصائدِ التي خلّدها الزَّمنُ.
هوذا امرؤ القيسُ يقفُ على الأطلالِ يبكي حبيبتهُ التي فارقتِ الدَّيارَ.
وهناكَ سليمانُ يهبُّ على صوتِ اليمامةِ، وأعمى الأغارقةِ يرفعُ صلاةَ
الحبِّ.

وفي أيِّ حالٍ، شغلَ الغرامُ والغزلُ العصورَ، وباتَ شغلَ المرءِ، ثمَّ تحوّلَ
إلى أدبٍ إنسانيٍّ، انبثقَ عنه قلقُ المدنيّاتِ والحضاراتِ، والشّعْرِ
المعطّارِ، وقاماتِ البانِ.
وإذا كانت أمكنةُ الأهراماتِ وجوانبُ الكرنكِ، ينضحُ بماءِ العبقِ والمسكِ
الدارينيِّ وعطورِ بني عبد منافٍ، فدواوينُ شعرائنا تُبرزُ وسطَ الفوائحِ
عظمةَ الغزلِ، وروائعِ أهلِ الفرسِ وبلادِ بابلِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٥٩، ٦٠.

هذا الشاعرُ ككلِّ شعراءِ الغزلِ.
 خبيرٌ نُبْلٍ، وأحاسيسٍ، وطاقاتٍ انفعاليّةٍ.
 تشيعُ حروفُهُ في سامعيهِ والحاضرينَ، رقةً وأصالةً، وتهذيباً.
 يُشيرُ إلى حُسْنِ المرأةِ، فيغنيهِ شعراً مستحيلاً، ولحنًا خجولاً.
 يقولُ:

قُلْتُ هَمْسًا:
 غَنَّنِي شِعْرًا جَمِيلًا
 قُلْتُ مَهْلًا:
 هَلْ أُغْنِي الْمُسْتَحِيلًا؟
 أَنْتِ كُلُّ الْحُسْنِ
 يَكْفِي أَنْ تَكُونِي
 كِي يَمُرَّ الشَّعْرُ
 وَاللَّحْنُ... خَجُولًا^١

يلاحقُ الشاعرُ عازار المرأةَ، ويتحدّثُ عن سِمَاتِهَا الخُلُقِيَّةِ، ثُمَّ يريدُها
 بعيدةً عن الابتذالِ.

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٧٨.

في غزله دعوةٌ إلى الحبِّ على خفاءٍ وهمسٍ ولا أعذب، ماراً في أبعاده
بالقدَرِ والأنجمِ الزَّهراءِ ونداءِ العِشقِ، والنُّورِ والصُّورِ، يقولُ في قصيدةِ
أبعاد:

أُشْرِقْتُ فِي خَاطِرِي، أُعْطِيتَنِي قَدْرِي
وَقُلْتُ لِلْأَنْجَمِ الزَّهْرَاءِ: إِنَّهُمْ يَرُونِي
... لَمْ أَدْرِ كَيْفَ نَدَاءُ الْحُبِّ يَجْعَلُنِي
بُعْدًا مِنَ النُّورِ فِي أَبْعَادِهِ الْآخِرِ
كَانَ الزَّمَانُ إِلَيْكَ، الْأَمْسَ، مَنْصَرَفًا
يُمَحْوُ وَيُرْسَمُ فِي اللُّوحَاتِ وَالصُّورِ
... فَهَذَا أَنَا فِي وَجُودِي السَّمْحِ مَنْدَهَشٌ
أَقُولُ لِلدَّهْرِ قِفْ، لَا يَنْقُضُنِي عُمْرِي
عَيْنَاكَ، أَيُّ انْخِطَافٍ فِي الْمَدَى وَرِعِ
عَيْنَاكَ فِي رَوْعَةِ الْإِبْحَارِ وَالسَّفَرِ
هَاتِي اخْضَرَارَهُمَا فَالْأَرْضُ فِي يَبَسٍ
وَلْيَنْعَمِ الْفَقْرُ بِالْإِشْرَاقِ وَالزَّهَرِ

فهو في حنينٍ دائمٍ إلى اللقاء.
 فَتَحَ النداءُ في صدره داراتٍ موصدةٍ عبرَ العينينِ وروعةِ الإبحارِ، أمّا
 اليبابُ فلا يحييه إلا خضرةٌ عينيها.
 حُبُّهُ من شأنه الضميرَ قبلَ المتعةِ، وأبعدَ من لهُوٍ مشتاقٍ. إنَّه القناعةُ
 بالحبِيبَةِ الرائعةِ، التي في وجودِها يعمرُ الخرابُ، والسحرُ، والألفةُ.
 هذا الشاعرُ لا يطلبُ إلا حبًّا من مقوماتِهِ إرادةَ الحياةِ، والانتصارُ على
 الزوالِ، فحلوتُهُ دائماً تبعثُ السلامَ والاطمئنانَ، والسَّعادةَ المنتظرةَ من
 لدنِ اللهِ وأجملِ البعدِ:

أن تكوني
 لَفْتَةً اللهِ إلينا
 أن تكوني
 أجملَ البَعْدِ^١

ارتفعَ بعشقه إلى الإنسانيةِ الشَّاملةِ.
 أمّا أَنْتَ فحالكُ معه في مختلفِ أموركِ وقضاياكِ من الواقعِ، وعراكِ
 اللّواعجِ والكيانِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٥٠.

يأخذُ بقارئه إلى نبلِ المرتقى، وصفاءِ الذاتِ، ولا يسمحُ إلا بما تأمرُهُ
العواملُ الفنيَّةُ، ورؤيا الممكن، كأنَّما أنتَ في إصغاءٍ تامٍّ لصراخه
الداخليِّ.

وهو في أيِّ حالٍ يُدركُ كيفَ يتَّنامى في النفوسِ، ويوفِّقُ بينَ الرِّيشةِ
والفهمِ، ليؤمَّ الحالةَ الشعوريَّةَ، ويرصدَ القوافي الشعريَّةَ، كأنِّي به يغلقُ
على الصَّورةِ في اللَّحظاتِ المبهمةِ، ويضعُ حاجزًا بينَ الوعي واللاوعي،
من دونِ أن يفقدك الرفاهيَّةَ والاطمئنانَ الداخليَّ.

مهما قيلَ في شعره، يبقى أبيضَ، مغسولاً بالحبِّ الشريفِ، وأصداءِ
الغسقِ.

وقد أراهُ يجتازُ مطارحَ الناسِ، ليرتاحَ كالرومنطقيِّينَ في أرجاءِ الطبيعةِ:

بسمةٌ

في حُزنِ عينيكِ

تغيَّبُ

مثلما يغرقُ نجمٌ

في الخريفِ

زَمَنٌ يطفو

وأصداءُ تُجيبُ

أَشْعَلِي النَّارَ
 فَلَنْ يَبْقَى إِذَا
 ذَبَلَ الدَّوْحُ
 سِوَى بَعْضِ الْحَفِيفِ^١

إنَّه أدركَ محتمَّاتِ الوجودِ، ونَضا عنه الدُّثارَ لِيُطِلَّ بِمادَّةٍ مِنَ التَّواصلِ
 كافية، قد تكونُ من التجاربِ.
 ولم يكنْ رضاهُ على الأنثى إلاَّ خوفاً على الحبِّ، لا على الوقتِ كما
 قرأتُ. ولا غرو، فالحبُّ ملءُ عمرِه ودنياه، لذا، يلتفتُ حيناً بعد حينٍ إلى
 الطبيعة، وهي رائعةٌ كالمرأةِ والحبِّ، ومَن للشاعرِ سوى العينينِ،
 والفراشة، وأعناقِ السَّنابلِ وهمسِ البنفسجِ للجداولِ، يقولُ في قصيدةِ
 ابتهاج:

قَالَتْ
 وعيناها فراشاتٌ
 تَرِفُ على الخَمَائِلِ
 والحُسْنُ يلوي عُنُقَهَا
 خَفَرًا

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٤٥، ٤٦.

كأعناق السّنايل^١
وسمعتُ همساً يا لهُ
هَمَسَ البَنَفَسَجِ لِلجَدَاوِلِ:
قُلّها...
تَرَكَتَ الحُلْمَ يَخْطِفُنِي
وتسكنني البلايل^١

كمالُ الأسلوب

عندما نقرأ قصيدةً للشاعرِ ريمون عازار في طورِ إنشائها وكتابتها وتكوينها على القرطاسِ، نجدُ نتفاً متناثرةً من البصرِ وأسلاكِ العيونِ، ومزقاً من الصنّيع والصبرِ تسهّدت في الليالي الملاحِ.
وعندما تُصغي إلى قصائدِ الهوى العازاريةِ المخمليةِ الملامسِ، بالأناملِ المرفلةِ بالذّوقِ، تلكَ التي حلاها بأجنحةٍ من الشمسِ المنورةِ، ليُرضي الفنَّ الشعريَّ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمسِ، ص ٥٣، ٥٤.

ونحنُ يومَ نعلمُ تعبَ المطارقِ، نقدّرُ فوراً أهميّةَ العملِ، ونوعيّةَ الكرمِ في الكتابةِ، وخطَّ الجراحِ الداخليّةِ.

لغزله نكهةٌ إبداعيةٌ.

هذا الشاعرُ يُشبهُ نفسه.

أمّا نزعةُ الهوى في المرأةِ فحلّتْ بامتيازٍ. على أنّ هاجسهُ التربيةِ الأخلاقيّةِ، ولا غرو، فهو من عيظوره، من المتنِ الذي يمتازُ بالثقافةِ الهادفةِ.

فحيثُما قلبتَ طرفك في نتاجِ ريمون الشعريِّ، عانقتك نزعةُ الجماليّةِ، والمتّعِ المنتزعةِ من خزائنه الأدبيّةِ، وألفاظه المأنوسةِ، المتقلّبةِ على الشذا، والطيبِ، وعتقِ الحبِّ، وسرى الليلِ الوسيّعِ، ومدى أشرعةِ العينينِ.

واللافتُ، أنّه حريصٌ دائماً ليظلَّ شاعرُ الغزلِ الراقي، الأنيقِ. كما أنّه يحرصُ أيضاً ليبقى في مُعاطاته الرائدةِ مع الجمالِ، الذي حافظَ عليه، حفاظه على الحبيبةِ التي شغلتهُ، ولمَ لا؟ وهي محورُ الكونِ والزمنِ.

في هذا الإطارِ يلتقي مع شاعرِ التبادعيّةِ سعيد عقل، الذي يؤمنُ بأنّ النوابعَ لا يمكنُ أن تتحوّلَ إلى قِمَمٍ، قبلَ أن يغدو الجمالُ قاعدةً في الدّنيا، وقبلَ أن يكونَ الهوى عظمةً.

يَتَمَادَى الشَّاعِرُ بِصَهْرِ المَشَاعِرِ.

فهُوَ يَسْكُبُ شَفِيفَ الأَلْوَانِ، وروائعِ الموسيقى إلى جانبِ التصافي،
وتوازي الأبعادِ والنَّقاسيمِ.

وَمِنْ جَمَالِيَّاتِ الغَزْلِ عِنْدَ هَذَا الشَّاعِرِ، العَنَايَةُ بِالأَلْفَاظِ، يُنْخَلُّهَا وَيَخْتَارُهَا،
فَلَا يَبْقَى إِلَّا عَلَى المَأْلُوفِ الرِّشِيقِ مِنْهَا، وَهَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الشَّاعِرِ
الْجَمَالِيِّ الَّذِي يَقْتَفِي أَثَرَ الْجَمَالَاتِ وَمَسَوِّغَاتِهَا، وَأَنَاقَةَ التَّعْبِيرِ الْمُثَقَّلِ
بِالدَّلَالَاتِ وَالرَّمُوزِ وَالْإِيحَاءَاتِ.

عَلَى أَنَّهُ يَحَافِظُ عَلَى عَدَمِ إِرْبَاكِ الْآخَرِينَ. وَهُوَ لَمْ يَعْقِدِ الأسْلُوبَ أَوْ
يُورِي الأفكارَ، وَإِنْ تَأَتَّى لَهُ ذَلِكَ، فَبصُورَةٍ عَرْضِيَّةٍ وَعَفْوِيَّةٍ.

الوجدانُ
في شعر
ريمون عازار

قبل أن يكون الشعرُ صناعةً ذوقيةً، فهو يتسنَّم ذروة الفرح الداخلي والوجدان، والطاقتِ الجوانية.

الشعرُ قوى خيوطُهُ من البدع والجمال والرؤى القادرة أن تغور في الأعماق، ومن ثمَّ يتمُّ التسليمُ بين الموسيقى ورنَّة الأزاميلِ الفاعلة في داخل الإنسان.

الفرحُ المشحونُ برموزِ الوجدانية من رقايعها حطُّ اليراعة في نياطِ الفؤاد، ومِدادِ الذات، وتنزيلِ الكلامِ بمُنتهى الدقة على نبضِ الحياة بامتدادِ مهارة، وجرسٍ نغميٍّ، مصدرُهُ الفرحُ، ورعشة الأناملِ والمساحاتِ النفسية.

الوجدانيةُ مغزلُ الشاعر، والخيوطُ من حريرِ الكلمِ الذي يُحلُّ على يدِ مبدعة، ثمَّ يُحالُ على نولِ الأحاسيس، لتأخذ ألوانها من دَفقِ العروق، وتَعَبِ أهلِ المواهب.

ومن عظمة الشعراءِ أنَّهم يتعبونَ لِيُساهِموا في راحة الآخرين، وما همَّ إذا تركوا ذلكَ لأنفسهم ووجدانهم.

ألقارئُ الذي يفرحُ بالقولِ المنعم، لا يدري حقيقةَ صنَى الصنَّيع، ودويِّ القوافي بدقة، ولا يعرفُ مدى المعاناة في وضعِ الوزنِ واختيارِ الرويِّ وأسرارِ الفواصل.

السَّليْمُ مِنَ الْأَسَى لَا يُدْرِكُ مَتَاعِبَ الْمَتَأَلِّمِ، وَالْمَرْتَوِي لَا يُؤْذِيهِ أَلَمُ الْعَطَشِ.
الْفَرْحُ السَّاكِنُ فِي الْوَجْدَانِ حَالَةٌ تَرافِقُ الشَّرَّائِينَ وَالْبَالَ، وَتَتَّبِعُ الشَّاعِرَ فِي
كُلِّ الْحَالَاتِ، وَتَوْمٌ مُحْتَرَفَةٌ، وَخَمِيرٌ خَبَزَهُ الْيَوْمِيّ، وَنَزَفٌ جَرَّاحِهِ.

كُلُّ الْعَمَلِيَّاتِ الْفَنِّيَّةِ، وَكُلُّ خَلْقٍ ذَاتِيٍّ، أَوْ حَالَةٍ جَوَانِيَّةٍ، هِيَ عَمَلِيَّةٌ اتِّصَالٍ
وَجِدَانِيٍّ، يَتَفَاعَلُ فِيهَا الْوَعْيُ وَأَسْلَاكُ أُخْرَى كَالْفَرْحِ مَثَلًا أَوْ الْحَزَنِ، وَقَدْ
يَنْشَأُ عِلَاقَةٌ بَيْنَ الذَّاتِ الْوَاعِيَةِ وَمَوْضُوعِ الشَّاعِرِ أَوْ الْكَاتِبِ الْجَمَالِيِّ،
بَحِيثٌ يَحْصُلُ تَحَوُّلٌ أَقْلُهُ حَقِيقِيٍّ، مِنْ الْمُنَاحِ الزَّمَانِيِّ وَالْمَكَانِيِّ، خَارِجَ
حُدُودِ النَّفْسِ، إِلَى الطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَقَدْ يَتَّخِذُ هَذَا الْوَاقِعُ صُورًا مِنَ الْجِدَّةِ
فِي دُرُوبِ الْفَنِّ الَّذِي يَنْتَظِمُ فِي تَحَرُّكِ يُدِيرُهُ الْوَجْدَانِ.

الْعِلَاقَةُ الْنَامِيَّةُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَصَنِيْعِهِ، تَخْلُقُ وَجْدَانًا لَا يَخْلُو مِنَ الْأَخِيلَةِ.
وَكَلَّمَا وَعَى الْكَاتِبُ أَوْ الشَّاعِرُ الْمَعْرِفَةَ الدَّقِيقَةَ، وَمَعَالِمَ الْخُبْرَةِ وَالْوُضُوحِ
فِي التَّعَاطِي، كَبُرَ الْوَجْدَانُ وَاتَّسَعَ، وَتَمَّا مَعَهُ الْخِيَالُ بِالْإِنْفِعَالَاتِ وَغْنَى
الطَّاقَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَكَلَّمَا اِكْتَنَزَ الْعَقْلُ بِالْمَفَاهِيمِ الْجَدِيدَةِ، وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ
السَّامِيَةِ، اِكْتَسَبَ الْوَجْدَانُ وَالْمَكْنُونَاتُ رَصِيدًا مِنَ الْأَحَاسِيْسِ وَالْمَشَاعِرِ مَا
يَكْفِي مِنَ الْقُدْرَاتِ.

بَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ، ثَبَتَ أَنَّ الْمَشَاعِرَ السُّطْحِيَّةَ، وَالْأَفْكَارَ الضَّحَّلَةَ لَا قِيَمَةَ
لَهَا.

وريمون عازار.

نجدُ في قصائدهِ مسالكَ إنسانيَّةٍ، أخذتُ حيزًا في المجتمعاتِ الآدميَّةِ، ومهمَّاتٍ تتطلَّبُ منه أن يثورَ على جِوانيتِه مأخوذًا بوجدانهِ ووعيهِ وعاطفتهِ، من دونِ أن ينسى التفاعلاتِ التي تكتنفُ تجارِبُه الشخصيَّةَ. هذا الشَّاعرُ تفجَّرَ وجدانهُ، على صخرةِ الوطنِ، وعنفوانِه، والأمِّ والطفْلِ والرَّبيعِ، وكلُّ ذلكُ من خلالِ مواقفهِ الإنسانيَّةِ وانفعالاتِه، وشوقِه المنفعلِ في حنايا النفسِ التواقَّةِ للخلاصِ مِنَ الشَّقَاءِ، لأنَّ الوطنَ فرَغَ من الصَّقَاءِ، والرَّبيعِ، وهل الطُفْلُ فعلاً يحملُه إلى أمِّه؟ لو فعَلَ عادَ النورُ، والرَّبيعُ، واخضرارُ المدائنِ، وأشرعةُ الزَّمانِ، وضوءُ الأنجمِ، لو فعَلَ، زالَ الحزنُ وحلَّ الفرَحُ الآتي من أعماقِ الرُّوحِ. يقولُ:

أُمِّي، تقــاذفني الشَّـقَاءَ
وتتــأثرتُ صُـورُ الهنـاءِ

أَلْطَفُ لُ يَحْمَلُنِي إِلَيْكَ
أَبـُـو حُ... أَرْسُـمُ مَا أَشَاءُ

... الشَّمْسُ يَا أُمِّي تَمُوتُ
وَيَجـرُّ الشَّقَّ فـقَّ المـسـاءِ

فأسـترجـعـني مـن نـداءِ
الجُـرحِ، يَحْرِقُنِي النَّـداءِ

... أُمِّي يــــــداكِ ســــــفـيـنـتـي
ومــــــداكِ بحــــــري والفضــــــاء.

أُمِّي رَجَعْتُ، فمــــــوطـنـي
لا حُــــــبَّ فـيــــــه، لا صــــــفـاء

الــــــرَّيْحُ تَنْتَـرُ فـي جـوانـبــــــه
الصــــــحـارى، والــــــدِّمـاء

... أُمِّي أَيْـا و طــــــنَ الرِّبــــــيعِ
ويــــــا يــــــنــــابــــيــــعَ العــــطــــفــــاء

كُــــــوْنِي، فَتَخْضَــــرُ المــــــدائِنُ
والرّوــــابــــي والــــــرَّجــــاء

... عـيــــنــــاكِ مـوــــعــــدُ أَنْجــــمِ
عـيــــنــــاكِ بَــــدْءٌ و انتــــهــــاء^١

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥.

التفاعلات الواعية

لا شكَّ أنَّ التفاعلاتِ الداخليَّة، ومثل هذا الانشغالِ، يشكِّلُ قدرةً تكشفُ نموًّا يتزايدُ وممارسةً واعيةً.

على أنَّ العقلانيَّةَ تعافَتْ كثيرًا، وقد أفرغها إبداعٌ فيه شيءٌ من الرومانسيَّةِ، ووجدانٌ تلمحُ فيه صنيعةً رومنطقيًّا، ملئٌ بالقدراتِ المرتبطةِ بالكيانِ البشريِّ، والمرءِ الذي لا ينفصلُ عن العقلِ، وشؤونِ الطبيعةِ والحياةِ والمعرفةِ الآخذةِ من الأرضِ وما فيها من خبراتٍ حركيَّةٍ نبَّاضةِ الوجدانيَّةِ نراها في زهرِ الرّوضِ، والبنفسجِ، والموعِدِ المرتجى، قُرْبَ الزنبقِ المُتَكَيِّ عند الضَّفافِ، ناهيكَ عن النرجسِ والشَّقائِقِ وحدائقِ المدى وما أنعمَ الله على الأرضِ.

الوجدانيَّةُ ترتبطُ بثقةٍ بالقوى الطبيعيَّةِ النَّاميةِ، كما نراها في مبعثِ الإلهامِ، وما ترتجيه الذاتُ، وما يتفاعلُ به الشعورُ الرومانسيُّ. اقرأ ما جاء في قصيدة "موعد في المرتجى":

وسألتُ زهرَ الرّوضِ

أينَ مكانُها؟

أهيَ البنفسجُ في الحنايا،

أم تُرى

هي زنبقٌ عند الضَّفافِ ونرجسٌ؟

أهي الشقائقُ
والحدائقُ في المدى؟
أم في التمنيِّ ترتجى أو تُعشقُ؟
وسمعتُ من فوق السماءِ
تقولُ لي:
ليستُ ترى
هي ما اصطفتُ
فليس أنقى وأقدسُ،
هي في الضياءِ،
وفي البهاءِ
وفي الشذا،
هي زهرةٌ ملء الزمان...^١

على أنني أراه يعبرُ وجدانيةً أبي ماضي وتأملاته في بعض قصائده،
وهنا لا أُشيرُ إلى تفاوتِ القيم.
أبو ماضي في قصيدة "الطاسم" طرحَ لغزَ الوجودِ، واكتناه أسرارِ
الكونِ، عبرَ وجدانيةٍ وعقلٍ عاجزين عن تفسيرِ سنة الحياة.

١ - من ديوان، عبورٌ إلى البهاء، ص ٥٥، ٥٦.

قصيدتهُ تسيرُ عبر مراحلٍ كثيرةٍ، أمّا أبعادها فهي "أنا الشاعر" وقوامها ضمير المتكلّم المفرد، وهذا شأنُ الوجدانية الذاتية، والانتقال بين محورين: الأول زمنيّ، والثاني مكانيّ.

وفي قصيدة أبي ماضي، تساؤلاتٌ شتّى، أوردتُ أفكاراً عميقة، ولكنها عبارةٌ عن ومضاتٍ سريعةٍ عن أصلِ الإنسانِ وعلاقتهِ بالعناصرِ الأربعة: الماء، والهواء، والتراب والنار.

أمّا الشاعرُ ريمون عازار، فهو يقربُه كثيراً في قصيدة "لحظة في الخلد"، ولكنّ عناصره من الحلم، واللقاء، والجسم، والومض.

قال أبو ماضي:

قد سألتُ البحرَ يوماً هل أنا يا بحرُ منكأ؟^١

وعن الجبريّة التي تفيد خطي الإنسان وتحدّد مصيره، قال:
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيت^٢

وعن وحدة الكون وفكرة التناسخ، قال:

أجديّ أو قديمٌ أنا في هذا الوجود^٣

١ - ديوان، الجداول، من قصيدة "الطلاسّم".

٢ - المصدر نفسه.

٣ - المصدر نفسه.

الشاعرُ عازارُ وقفَ لحظاتٍ عابرةٍ إزاءَ الخلدِ، وراحَ يسألُ ذاته، ماراً
 بوجدانيّةٍ شفّافةٍ عن أشياءٍ تمتُّ لكلِّ إنسانٍ بصلّةٍ متينةٍ، وقد يكونُ شكُّهُ
 مرحليّاً يفضي إلى اليقينِ، جاءَ في قصيدةٍ "لحظة في الخلد":

أُتْرى قد كانَ حلمًا
 أمْ لقاءً
 أمْ أنا أعطيتُ للأشياءِ معنى؟
 أُتْرى عانقتُ جسمًا
 أمْ تُرى لامستُ وهما؟...

لستُ أدري
 كلُّ ما أذكرُ أني
 صرّيتُ ومضًا
 أعبُرُ الدُّنيا وأحيا
 لحظةً في الخلدِ
 أو إن شئتُ
 أغنى^١

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٢٥، ٢٦.

الصُّورُ النابضة

بعدَ قراءتنا لقسمٍ لا يُستهانُ به من شعرِهِ، تراءتْ لنا صورٌ شعريَّةٌ،
تتحركُ في أبعادِ النفوسِ بطريقةٍ جدِّ مقبولة.
وأجدني مضطراً أن أُشيرَ إلى مواقفٍ يمازجُها القلقُ والتبرُّمُ على رغمِ
المحبَّةِ التي تبرزُ بينَ الحينِ والآخرِ.
ولا غرو، فالمواقفُ التي تبدو توتراتها واضحةً القسَمَاتِ، فهي الأكثرُ
إشرافاً في النسيجِ التي لها علاقةٌ بالتجربةِ الوجدانيَّةِ الذاتِيَّةِ.
داخلَ الشاعرِ عازار، حضورٌ فاعلٌ يمدُّهُ التَّواصلُ، لعلَّه حضورُ الكائنِ
البشريِّ الذي يحيا فيه الشاعرُ، والشَّعبُ الذي يحيطُ به.
وهناكَ تجاربُ آخرُ تطولُها تفاعلاتٌ من الدَّاخلِ، وأبعادٌ أمكنتُها
المساحاتُ الأخلاقيَّةُ.
التجاربُ الوجدانيَّةُ التي يُعانيها الشَّاعرُ، تشحنُها القوى النفسيَّةُ، لأنَّها من
مشكلاتِ الفردِ الإنسانيِّ.
مثلُ هذه الظواهرِ ترافقُهُ منذُ الطفولةِ، وقد تُشاهدُ في الطِّفلِ والأمِّ والمُسنِّ
وفي كلِّ الأعمارِ. وها هو يُطلقُ صرخةَ المحبَّةِ في الوجودِ، والإشراقِ
والفرحِ.

محبَّتُهُ تفتحُ الدُّروبَ.

وتغفرُ كلَّ الذنوبِ،

تزيلُ الحروبَ، وتُلغي الحدود.
 محبتهُ من الوجدانِ الصّافي، والقلبِ الخيّرِ، والضميرِ الحيّ، اقرأ قصيدة
 المحبة:

أُحِبُّ فَأَغْدُو الوجودَ البهيَّ
 ويُشرقُ نورٌ عظيمٌ عليَّ
 أُحِبُّ وَأُعْطِي، فيفرحُ قلبي
 ويملأُ خيرُ السّماءِ يديَّ
 أُحِبُّ ... أُحِبُّ
 فلستُ بدونِ المحبةِ شيئاً

نُحِبُّ ... فتُفتَحُ كلُّ الدروبِ
 نُحِبُّ ... فتُغْفَرُ كلُّ الذنوبِ
 تزولُ الحروبُ
 وتُلغى الحدودُ
 وتُصبحُ أرضُ التمزقِ
 دارَ الخلودِ^١

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٢٩، ٣٠.

واقعةُ الإنسانِ من التعبيرِ الفنّيِّ، وحالةُ موضوعيّةٍ في قصائدِ الأمِّ.
 للشاعرِ ريمون عازار وجدانيّةٌ ينبعثُ منها فرحُ الشّدوِ إزاءَ "عذراءِ
 لبنان" لأنّ ذلكَ من فرحِ السّماءِ وعملِ الخالقِ.
 إيمانهُ يتحدّرُ من العُلَى، والسّدرةِ الأخيرةِ، وأناملِ الله.
 وردّه موزّعٌ زهورًا شديّةً، فتتحني طائعةً أمامَ أمّنا مريمَ، وكذلكَ الزّمانَ
 الذي كرّسَ الآياتِ الإنجيليّةِ والقرآنيّةِ، وكلَّ حلوةٍ آتيةٍ من أرزِ لبنان.
 وقد نسجَ هذا العازاريُّ حيواتٍ ومطامحَ من عظمةِ أمّ الخلائقِ.
 سَعَفُهُ خيالٌ يمتازُ بقوةِ التّوليدِ، والتركيزِ على بناءِ النّجومِ في قناطرِ
 المساءِ، والذُّرى، وعرسِ قانا، وشفاعةِ مريمَ، حتى استحالَ الماءُ خمراً
 في الأجابينِ الجنوبيّةِ، والأجراسِ الصّادحةِ تعانقُ المآذنَ في صلاةٍ
 مشتركةٍ.
 وما كانَ ذلكَ إلاّ لاستخلاصِ الوجدانيّةِ في فرحِ التّكاملِ الذي أرادَهُ أن
 يكونَ فاعلاً في الضمائرِ المؤمّنةِ، ومحورِ التّناسقِ.

ولا بدّ من القولِ، إنّه يحسُّ بشيءٍ من الطمأنينةِ الذاتيّةِ غيرِ المعلنةِ
 جهاراً، إلاّ في بعضِ النواحي، فيحوّلُ كلامَهُ ليرضي حالَهُ، ثمَّ يطمئنُ
 والدتهُ بقولِ يرتاحُ هو له، قبلَ أن ترتاحَ هي لقوله، ففي كلماتِ "عذراءِ
 لبنان" لمسنا قوّةً خفيّةً أخرجَها إلى حيّزِ الوجودِ، مشفوعةً بعواملِ الإيمانِ
 المُطلقِ، والوجدانِ الحيِّ، الذي يخاطبُ به العذراءُ مريمَ:

يا مريمُ
 يا أُمَّنا
 يا زهرةً شَذِيَّةً
 مِن أَرْضِنَا
 تَمَسُّهَا أَنَامِلُ الرَّحْمَنِ
 فَتَتَحَنِّي طَائِعَةً
 وَيُنَحِنِّي أَمَامَهَا الزَّمَانُ
 يَا أَجْمَلَ الْآيَاتِ فِي الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
 يَا حُلُوَّةَ آتِيَّةٍ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ لَبْنَانٍ
 لَتَقْرَحِي يَا مَرِيْمُ
 نَوْزَعُ الْوَرُودِ فِي السَّمَاءِ
 نَعْلَقُ النُّجُومَ فِي قَنَاظِرِ الْمَسَاءِ
 ... فِي عَرَسِ قَانَا
 عِنْدَمَا بَاتَتْ كُؤُوسُ الْخَمْرِ لَا تَجْرِي
 ... تَكَلِّمِي يَا مَرِيْمُ
 فَتَنْتَهِي فِي أَرْضِنَا الْآلَامُ وَالْخُطُوبُ
 تَشْفَعِي يَا مَرِيْمُ
 فَيَسْتَحِيلُ الْمَاءُ خَمْرًا فِي أَجَاوِينِ الْجَنُوبِ.

أجراسُنا يا مريمُ
تعانقُ الصَّلَاةَ في المآذنِ
وفي المدى مآذنُ
تُعانقُ الأجراسَ في الدُّعاءِ
فصوتُنا إلى العلى موحدٌ
وأرضُنا، يا أُمَّنَا، واحدةٌ
وشعبُنا العبورُ واللقاءُ^١

أغوارٌ وجدانيةٌ

وثمةَ أشواقٍ بيَّنةٌ، بل محبَّةٌ غامرةٌ لوالدتهِ التي يرى فيها الألفَ والياءَ.
أشواقُهُ تلكَ تصطرعُ مع الأطرِ الشعريَّةِ، والمواصفاتِ الفنيَّةِ المتكاملةِ،
وهنا أسرعُ لأقولُ إنّ الشاعرَ ريمونَ عازارَ، يُدركُ جيِّداً زوايا نفسه،
وأغوارَ وجدانه، كما أنّه يعرفُ تمامَ المعرفةِ، سرَّ التجاوبِ والخصبِ في
أعماقه.

وإلى جانبِ كلِّ الأمورِ، نلحظُ عاطفتهُ المتداخلةَ في سحرِ البيانِ والعبارةِ
التي تتسعُ لمحبَّةٍ وتقديرٍ أُمٍّ.

١ - ديوان، عبورٌ إلى البهاء، ص ٦٩، ٧٠، ٧١.

أَمَّا مَكَاثِبُهُ، فَقَدْ طَوَّعَهَا لِشَعْرِ يَشِيلُ بِالْأُمِّ إِلَى الْإِيقَاعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ
وَالْخَارِجِيَّةِ، وَإِلَى مَجَالَاتِ الْاعْتِرَافِ بِقُدْسِيَّةِ الْأُمِّ الَّتِي تَغْنِيهَا الْجَدَاوِلُ
وَالْعُنَادِلُ وَيَسُوعُ الْآتِي بِأَبْرَادِ الْأُمُومَةِ.

فِي قَصِيدَةِ "أُمِّي": الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، انْعَتَقَ مِنَ الرِّتَابَةِ.
وَصَلَ بِكَلَامِهِ إِلَى نَقَاطٍ تَتَدَاغُ نَحْوَ الذَّاتِ السَّامِيَةِ، مِنْ دَاخِلِ الْحَدَثِ
الشَّعْرِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى صُورٍ مُتَنَامِيَةٍ تَمَثَّلَتْ بِالْدِينَامِكِيَّةِ، وَالشَّحْنَاتِ الَّتِي
امْتَازَتْ بِالشَّفَافِيَّةِ وَالْحَرَكَةِ الْمُنْتَظَرَةِ، يَقُولُ:

أُمِّي
وَهَلْ سَحَرَ الْبَيَانُ عِبَارَةً
تَسَعُ الْمَدَائِنَ مِثْلَ أُمِّي؟
أُمِّي،
وَتَتَطَلَّقُ الْجَدَاوِلُ وَالْعُنَادِلُ
إِنْ أَنَا نَاجَيْتُ أُمِّي
أُمِّي، يَسُوعُ أَتَى بِأَبْرَادِ الثَّرَى
لِيُنَادِيَ الْعِذْرَاءَ كَالْأَطْفَالِ: أُمِّي

أُمِّي
وَأَوْغَلَ فِي الْمَكَانِ وَفِي الزَّمَانِ

وأَظَلُّ أَوْلَدُ في البشائرِ
كلَّما صوتُ إلى الأمِّ دعاني
وعلى ترابي لا تمرُّ الشمسُ
لا يُجَنِّ الشِّذا والشَّهْدُ
إِلَّا أَنْ تضيءَ الشمسُ أُمِّي.

أُمِّي العبورُ مِنَ الضبابِ
إلى البداياتِ الجميلةِ
أُمِّي،
وينهمرُ الربيعُ على الضفافِ المستحيلةِ
أُمِّي الإيابُ إلى مدى لا ينتهي،
أُمِّي،
وفيها يقرأ اللهُ فصوله^١

يَقْضِي واجبُ النَّقْدِ أَنْ نذكرَ معطياتِ عازار الشعريةِ في محاولاتهِ كافةً،
الَّتِي أخضعَ فيها القولَ المنشودَ، والشَّعرَ الأصوليَّ لإرادةِ الفعلِ والتعبيرِ
الغنيِّ بالمضامينِ.

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥.

لقد خَلَقَ جوانبَ غنائيةً، حافلةً بالموحياتِ، ذاتِ الوهجِ اللاّفحِ، المليءِ بالدَّفَقِ الوجدانيِّ.

ومنَ الملاحظِ في بناءِ القصيدةِ عنده، هو التماسكُ والانسجامُ في السياقِ، وقد لَفَتَنِي التساوقُ والمعاني المتلاحقة.

على أَنَّ التصويرَ الخلاقَ، يسيرُ بهدوءٍ تامٍّ تجاهِ الخلجاتِ القلبيةِّ والإنسانيةِ، ولا سيَّما عندما تهتزُّ ذرواتُ التوتّرِ العاطفيِّ المسحوبِ بالأغراضِ الشعريّةِ التي يستخدمُها، كالغزلِ، والرثاءِ، والمواقفِ المنبريّةِ.

في أيِّ حالٍ.

هذا الشاعِرُ يمتازُ بقدرةٍ وبخاصّةٍ في لحظاتِ الصّراعِ الداخليِّ، ومختلفِ الدوافعِ والواقعاتِ. وإن مرَّ على شيءٍ من المتناقضاتِ، تراه يعاجلُ الخطي، ليتخطّى الأحداثَ من قلبِ الحدثِ ذاته، وعلى الفورِ يكشفُ عن مهارةٍ في التفضيلِ.

الأرضُ اللبنانيةُ جزءٌ من حياته.

فمن الطبيعيِّ بمكانٍ أن تتفاعلَ في روحهِ وكنههِ بيروت، أمّا لبنانُ فهو محطةٌ من آماله الوجدانيةِ.

وهو أُمَامَ الصّعوباتِ، والحنينِ، والأمكنةِ التي يرى فيها حضارةَ الإنسانِ التي وزَّعتْ على مُدنِ العالمِ.

بيروتُهُ وَجْهَ المَدَى والكتابِ.
بيروتُهُ أُمُّ الشرائعِ، التي علَّمَتْهُ الحقوقَ ونَشَرَهَا في إطارٍ من العدلِ،
وأروقةِ النورِ في تنامِ جَوَّانيّ.

من هنا أصبح شاعرُنَا هذا في قلبِ الخطى العراضِ، والنفسِ الواضحةِ،
معتبراً أنَّ الرِّقَاعَ على وسعِها وامتدادها تشكِّلُ بقعةً متلازمةً، وجغرافيةً
فريدةً تلاقى فيها الإنسانُ الفردُ والمجتمعُ. اقرأَ معي في عودةِ الفينيقيّ،
النواحيِ الوجدانيّةِ، والمُرتقى المُعلّقِ في النفسِ العطشى لجمالِ لبنانَ
وبيروت:

تَعَبَ السَّيْفُ، فَهَلَّا تَرْجِعُونَ
مِنْ صَحَارَى الرِّيحِ، مِنْ تِيهِ الْجَنُونِ
فَعَلَى أَرْوَقَةِ النُّورِ هَوَتْ
حُجُبُ اللَّيْلِ، وَأَشْبَاحُ الْمَنُونِ
أَلْحُضَارَاتُ نَعَتِ مَا وَسَّعَتْ
مُذُنُ النُّورِ، وَشَطَّانُ الْفَنُونِ
إِيهِ يَا بِيروتُ، يَا وَجْهَ المَدَى
يَا كِتَابًا قَرَأْتُ فِيهِ السَّنُونِ

مِنْ هُنَا الدُّنْيَا أُضْيِئَتْ دَرُبُهَا
 فَإِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ يَعْبُرُونَ
 ... وَطَنَ الْإِنْسَانِ، هَلَّا بَعْدَهُ
 بُنِيَتْ لِلْحَرِّ فِي الْأَرْضِ حُصُونٌ؟
 ... إِيَّاهُ يَا صَوْرُ وَصِيدَا، يَا رَبِّي
 صَوَّحَ التَّارِيخُ فِيهَا وَالْغُصُونُ
 ... نَثَرَ الدَّهْرُ عَلَيْهَا عَمْرَهُ
 وَبَكَاهَا فِي الْخُلُودِ الْخَالِدُونَ
 فَاخْرِي يَا زَحْلَ، أَدْهَشْتَ الْعُلَى
 كُنْتَ فِي الْجُلَى، كَمَا السَّيْفُ يَكُونُ
 سَأَلَ الْمَجْدُ، أَهْلَ مِنْكَ اسْمُهُ
 فَتَغَاوَى نَهْرُكَ الْهَادِي الْحَرُونَ
 ... وَطَنِي، لِبْنَانَ، هَلْ كُنْتَ سَوَى
 لَفْتَةٍ لِلَّهِ تُصَالِّي وَتُصَوِّونَ
 نَافَخَ فِي الرُّوحِ، مَرْفُوعٍ عَلَى
 سَارِيَاتِ الْحُبِّ فِي يَمِّ غَضُونِ

مَا فَعَلْتُمْ يَا بَنِي الْأَرْضِ بِنَا
هَلْ عَرَفْتُمْ أَيَّ شَعْبٍ تَقْتُلُونَ؟^١

طبعاً، هناك كما قرأنا مواقف يخالطها الأسي والتبرُّمُ في وجدان المرءِ،
ولعلنا نأخذها بتؤدة وروية نافذة.
ففي هذا المجال يمكننا أن نشعر بالضنى النفسي.
وبمستطاعنا أن نلمس حرارة الدّاخل، التي تُستمدُّ من خلالها التجربةُ
الذاتية بكلِّ مقتضياتها.

على أنّ التوتّر الوجداني بلغ أقصى مداه، وبخاصّة إزاء شعبٍ له على
الدّنيا حضارة وثقافة ومدنيّة.
ومن الملاحظ أنّ شعره تجتاحه عاطفة المعاناة أمّا معاطاته فمن
مستلزمات الكائن المدنيّ.
إنّه نجح في المعترك التعبيريّ، على أنّ التراكيب أصيلة المحتدّ، ولاسيّما
تلك التي تحمل زخم الطاقة، وجمّع المجالات الرؤيويّة، والصيغ
الشّعريّة، النابعة من جذور التجربة الكليّة، والمسافات الوجدانيّة، وكلُّ
ذلك بلغة الشعر والنثر والإبداع الجماليّ المحض.

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥.

ثُمَّ عَرَفَ عَنْ قُرْبٍ، أَنَّ الْحَيَاةَ تَنْشَطِّي فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَلْمَعُ فِي كُلِّ
 الْأَشْيَاءِ، وَلَمَحَ فِي الزَّهْرَةِ رُوحًا وَضِيَاءً يَشْعُ، وَفِي حَبَّةِ الْحِنْطَةِ حَيَاةٌ
 لَجِياعٍ، وَنَفْحَةٌ حُبٍّ، وَهَدَى مِنْ إِلَهٍ. حَبَّةُ الْحِنْطَةِ هَذِهِ، شَرَبْتُ مِنْ رَشِيحِ
 الْجَبَاهِ وَالنَّاسِ عِطَاشٌ، وَالْيَنْبُوعُ نَارٌ، وَغَزَوْتُ، فِي زَمَنِ حَقُولِ الْقَمْحِ
 تَدْعُوها، لَعَلَّها تَنْتَصِرُ عَلَى الْحَقْدِ وَالْجِرَاحِ، وَالنَّارِ وَالْمَرَائِينِ فِي بِلَادِ
 الْخَصْبِ:

يا بِلَادَ الْخَصْبِ
 أَينَ الْخَصْبُ
 وَالْأَرْضُ يَبَابُ
 سَقَطَ الْحَقْدُ عَلَى الْحَقْدِ
 فَمَا اخْضَرَ التُّرَابُ
 ... فَخَذِينِي يَا بِلَادِي
 إِنَّنِي حَبَّةُ حِنْطَةٍ
 ... فَحَقُولِ الْقَمْحِ تَدْعُونِي
 لِأَحْيَا فِي الْجِياعِ
 ... إِنَّنِي حَبَّةُ حِنْطَةٍ
 إِنَّنِي نَفْحَةُ حُبٍّ
 وَسَأَلَقِي فِي حَنَايَا الْجَبَلِ الْمَهْجُورِ

بعضاً من تُرابِ
وشُعاعاً مِنْ إِلَهٍ
... إِنِّي قَطْرَةٌ ماءٍ
وَجَحِيمُ النَّارِ لَنْ يَقْوَى عَلَيَّا
والمُراوون يصيرون هباءً ورماداً^١

عَمَلُ الحواس

غَمَسَ ريشَتُهُ بحواسِّهِ وجَوَّانِيَّتِهِ.
وأرسلَ بصرَهُ في الأرضِ اليبابِ تترصدُ زَهَرَ القِمَمِ، وحنايا الجبلِ،
وشقوقَ السامقاتِ، والأطفالِ العراةِ، واليتامى والنكالى والمعوقين وغير
ذلك، أمّا نفسه فقد أرسلها لتفتشَ عن الصفاءِ والهناءِ والإلهِ الساكنِ في
القلوبِ.
جَعَلَ ذاتُهُ ترجماناً لتفكِّ لنا الرّموزَ العصيّةِ، وتركَ الحرّيّةَ للكوثِرِ يرتادُهُ
القمرُ، وللخوابي تشتعلُ خُمورُها، وانفلاتِ القُبَلِ، على رَغَمِ نشوةِ السَّامِ:

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٦٧، ٦٨، ٦٩.

آتِ إِلَيْكَ دَعَانِي النَّحْلُ وَالزَّهْرُ
الْبَحْرُ صَادٍ، خَوَابِي الْخَمْرِ تَشْتَعْلُ
آتِ إِلَى مَا تَنْتَهِي الْقُبْلُ
يَا كَوْنًا يَرْتَادُهُ الْقَمَرُ^١

يُرِينَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هُوَ يَرَاهَا.

إِنَّهُ يُعِيرُنَا الضَّوءَ مِنْ نَسَلَاتِ بَصَرِهِ، وَالنَّبْضَ مِنْ فُؤَادِهِ الَّذِي سَخَّرَهُ لِيَكُونَ وَسِيطًا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، ثُمَّ أَسْقَطَ الْقَشُورَ حَتَّى نَنْظُرَ الْأَعْشَابَ تَخْتَلِجُ، وَالزَّنَابِقَ تَرْقُصُ، وَالْأَفْنَانَ تَتَمَتُّمُ، وَالصَّخَرِ يَحَاكِي الْأَزَامِيلَ، وَالنَّبَاتَ يَعْقِلُ، وَالْجَمَادَ يَحْيَا.

قَلَّمَا عَرَفْتُ شَاعِرًا يَعِيشُ الْأُمُورَ مِثْلَ رَيْمُونٍ عَازَارٍ، وَبِخَاصَّةٍ أَمَامَ النَّوَاحِي الْوُجْدَانِيَّةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالطَّبِيعَةِ الَّتِي يَغْرُقُ فِيهَا يَوْمِيًّا، فِي بَلَدَتِهِ، وَمَكْتَبِهِ، وَقُصُورِ الْعَدْلِ، وَيَغِيبُ ثُمَّ يَشْتَدُّ بِكُلِّ ذَلِكَ لَتَكُونَ الْأَلْفَةُ حُلُولِيَّةً.

الرَّجُلُ لَا يَتَحَرَّكُ ضَمْنَ إِحْسَاسِهِ وَوُجْدَانِهِ فَحَسَبَ، بَلْ يَفْلَسُفُ وَيَعْقِلُنُ كُلَّ مَا فِي الْجَوَانِيَّةِ، مِنْ فَرَحٍ وَحُزْنٍ وَغَبْطَةٍ.^٢

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٦١.

٢ - ثمة نظريات أدبية كثيرة، تُشير إلى الوجدانية الحافظة الكلاسيكية، والسريالية والرومنسية والرمزية، وكل ذلك من سلسلة العواطف البشرية.

وعبرَ رحلتِهِ الشعريَّةَ، عبَّرَ عن نفسٍ نشأت على الشَّعرِ، اكتسبَها من طِراءةِ الطَّبيعةِ وبلدتهِ التي عايشها، وامتزج بها، حتَّى سما إلى درجةِ الرُّوحِ الكلِّيَّةِ التي بثَّها في عائلتهِ، وأولادهِ، ووالديه، والمخلوقاتِ جمعاء، ثمَّ انفعَلَ لِيبلغَ حالةَ الإبداعِ.

لقد هَامَ في خالقِ الدُّنيواتِ والحيواتِ، فألفاهُ في جميعِ مخلوقاتِهِ، وأحلَّهُ في شِعْرِهِ، في اللَّيْلِ والنَّجْمِ والمعوقِ، والإنسانِ والضَّميرِ، يقولُ:

خُذْ مِنْ غَدِي

خُذْ مِنْ دَمِي

خُذْ مِنْ فُؤَادِي

خُذْ مَا تَشَاءُ مِنَ الضِّيَاءِ

... خُذْنِي، فِدَيْتُكَ، واقتسِمني:

... يَا مَنْ قَرَأْتُكَ فِي كِتَابِ الْحَرْبِ، رَفَضًا لِلْحُرُوبِ

... فِي لَوْعَةِ الْأَطْفَالِ، فِي الْوَجْدَانِ، فِي هَوْلِ الْخُطُوبِ

تُرَوِّي عَنِ الْإِنْسَانِ مَا عَانِي، وَتَمْضِي فِي الدُّرُوبِ

يَا غَارِقًا فِي الْوَرْدِ وَالتَّيْجَانِ وَالنُّورِ الْمُرَاقِ

هَلَّا أَضَاءَتِ النُّجْمُ فِي لَيْلِ الْمُعَاقِ

هَلَّا ذَكَرْتَ الدَّمَعَ يَغْرُقُ فِي الْمَاقِي

خُذْ مِنْ غَدِي، خُذْ مِنْ دَمِي، خُذْ مِنْ فُؤَادِي
 واسترجع الإنسان مِنْ حَدِّ الحَسَامِ
 عِشْ فِي ضَمِيرِ الكونِ صوتًا لا ينامُ^١

إنه آمن بالله.

آمن بالعين التي لا تنام.

عينه التي تصطبحُ النِّسْمَةَ والذَّرَّةَ والمجرَّةَ، ثم تتماهى والموجودات
 بتلازم كلي.

وعندما رأى ما في الخبايا والخفايا، وما تخبئهُ النفوسُ، رَجَعَ إلى حطِّ
 اليراعة في أوعية الروح والقلب، وتنزيل الحرفِ بمهارة. ويزدادُ عملُ
 الوجدانِ في داخله، عندما يذكرُ الدَّمْعَ الغارقَ في المآقي، والموتَ
 الزاحفَ في الشعابِ، والحرائقِ والدِّمارِ، ومرورَ الله في روحِ الأمِّ
 والوالدِ والأطفالِ والابنِ والأزمنةِ في الميلادِ والحزنِ، والأرضِ التي قال
 فيها:

الحُبُّ يَعْرِفُ كَمْ أُحِبُّكَ

يا أباي

وأحبُّ وجهك والشموخَ

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٣٩، ٤٠، ٤١.

وَضِيعَةً كَالشُّهُبِ تَسْطَعُ
فِي الْفَضَاءِ الْأَرْحَبِ
... بِرِيشَةٍ مَغْمُوسَةٍ فِي الشَّمْسِ
عِنْدَ الْمَغْرِبِ

... أَبْتُ... الْفُصُولُ تَرَاكَ تَعْبُرُ
فِي صَهِيلِ السُّنْدِيَانِ
... عَلَى الْعُلَى وَالْعُمُقِ
مِنْ بُرْجِ الزَّمَانِ
تَسْمُو وَأَخْشَعُ لِلْكَرَامَةِ
وَالْبِرَاءَةِ وَالْحَنَانِ

الْخَصْبُ وَالْخَمْرُ الْمُعْتَقُ
مِنْ يَمِينِكَ
وَالْجَدَاوِلُ
أَمْضِي وَعَيْنَاكَ الْقَنَادِيلُ
... تَرْسُمُنِي عَلَى شَدْوِ الْعِنَادِلِ^١

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٩٩، ١٠٠، ١٠١.

الشاعرُ ريمون عازار.

هو كالشاعرِ الملتزم. يتماهى مع أبناءِ وطنه وجيله، ثمَّ قدر أن يرفعَ معهم النهضة.

هاجسُهُ هو هاجسُهُم في الحياة.

فبيوتهم بيتُهُ، ومعاناتُهُم معاناتُهُ، والأولادُ أبناءُ بيتِهِ.

مواضيعُ قصائده انبعاثٌ إنسانيٌّ وحضاريٌّ، كرَّسها لتحتوي فكرَهُ وعمرَهُ وشِعْرَهُ، ففيها يظهرُ جزءاً من الالتزام الذي تحدَّثنا عنه، حين تكلمَ على مأساةِ بلاده، كما تحدَّثَ خليل حاوي عن قضيةِ أمّته، فاعتبرَ كلُّ واحدٍ منهما القضيةَ شخصيّةً، والمعاناةَ واحدةً، أمّا الكلمةُ فتجسّدتُ فعلاً، والقصيدةَ عمراً وحياةً وطن.

انطلاقاً من هنا، غدا شِعْرُ عازار نباضاً بالحياة، كما ينبضُ القلبُ بالنجيع الواصلِ إلى البقاء.

وقد أراه من بعيدٍ يرفضُ المأساةَ والتفتّت، فيقولُ:

يمزّقني التفتّتُ في بلادي

وشعبي أن يُبدّدَ

أو يهونا

يصيرُ البحرُ في عيني دَمْعاً

ويغدو الشاطئُ الباكي

جفونا

ويرمينا على الدُّنيا سُؤالُ

أَكَانَ الْعَقْلُ

أَمْ كُنَّا الْجُنُونَا.

إِذَا لَمْ يَأْتِنَا الْمَوْتُ

انْدَفَعْنَا إِلَيْهِ

نَفَجَّرُ الْمَأْسَاءَ فِينَا'

إِزَاءَ ذَلِكَ، لَا بُدَّ مِنْ حَدُوثِ شَيْءٍ يُشْبِهُ الثَّوْرَةَ الدَّاخِلِيَّةَ، وَتَرْتَفَعُ أَصْوَاتُ
الاحتجاجِ عَلَى التَّخَلُّفِ، وَالِاسْتِهْتَارِ، وَتَقْطِيعِ التَّوَاصِلِ الْقَائِمِ عَلَى الْفَسَادِ
الْمُوروثِ، وَهنا يَتَجَلَّى الصَّرَاغُ بَيْنَ الْأَجْيَالِ وَيَسْتَحِيلُ الْعَيْشُ بَيْنَ الْأَرْحَامِ
وَالْعُرُوقِ الْجَدِيدَةِ وَالْحَاضِرَةِ.

هذا الْوَاقِعُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، يَأْخُذُهُ الشَّاعِرُ إِلَى الْكُنْهِ، حَيْثُ تَوَلَّدَ فِي
خَاطِرِهِ رُؤْيَا الْإِنْبِعَاطِ، وَالْوُجُودِ الْمَطْلُوبِ عَلَى الصَّلَاحِ، فَهَذَا كُلُّ مَا
يَتِمَنَّاهُ، لَعَلَّهُ يَشَاهِدُ الْمَأْسَاءَ كَمَالاً وَخَيْرًا، وَالْأَجْيَالِ نَقِيَّةً مِنْ أَدْرَانِ
الْفَوْضَى وَالتَّدْمِيرِ.

لكنَّ أبا ربيع (ريمون عازار) لم يرَ بعدُ المدينةَ الفاضلة، وما كانَ يأملُهُ في مَيدانِ الحياةِ العمليَّة.

ما رآه التهجير، وعدمَ تلبيةِ الحاجاتِ للمرءِ.
ما رآه عدمَ التقدُّم، وعدمَ عودةِ الإنسانِ إلى قريته، وعدمَ الرفاهيةِ
والبُحْبُوحَةِ.

ما رآه في رحلةِ التمزقِ والغربةِ، العيونَ الهاربةَ في الكوكبِ المشرَّدِ،
كذلكَ المسافرِ الذي حملَ في جعبتهِ الفراغَ وضياحَ السنينِ والرَّعبَ
والجراحَ وبكاءَ اللَّيلِ، وانتحارَ الورودِ والخُطى الساقطةَ بينَ أشلاءِ
الوعدِ والبيوتِ التي خنقها الدَّخانُ وسطَ القناديلِ المنطفئةِ في زمنِ
الرحيلِ، يقولُ:

زمنًا رأيتُكَ ترحلينُ
عيناكِ هاربتانِ في النّجمِ المشرَّدِ في الحنينِ
كمسافرٍ حملَ الفراغَ
وتاهَ في سَفَرِ السنينِ
وبنوكِ تنشرُهُم على الرَّعبِ الرِّياحُ
فعلى الدُّروبِ جراحُهُم تمشي...
وينطفئُ الصَّبَّاحُ
سقطوا، فكانَ اللَّيلُ يبكي خاشعًا

... وَمَضَوْا، فَكَانَ رَحِيلُهُمْ سَفَرَ الرَّبِّيعِ إِلَى الضِّيَاءِ
زَمَنًا رَأَيْتُكَ تَرَحَّلِينَ
وَعَلَى جِبَالِ الْحُزَنِ تَتَحَرُّ الْوُرُودُ
وَحُطَاكَ تَسْقُطُ بَيْنَ أَشْلَاءِ الْوَعْدِ
لَا تَرَحَّلِي
فَالْحُبُّ مَا هَجَرَ الْقُلُوبُ
وَعَدُ الْقِيَامَةِ عَائِدٌ
... وَسَتُزْهِرُ الشَّرَفَاتُ أَطْفَالًا وَحَبًّا
وَسَتُرْجَعِينَ...^١

وجوهُ الجمال

خبرَ شاعرُنا الأمورَ كلّها، وعرفَها حقَّ المعرفة، وقلَّبَها في مواطنها
المختلفة. كما أنَّه علِمَ قيمةَ التناقضِ في العلةِ والمعلولِ، وحقيقةَ منطقِ
الإبداعِ، في ضوءِ ثقافتهِ المصهورةِ على العلمِ، والحقِّ والقانونِ.

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩.

فهو ابن مجتمع لا يؤثر الانعزال أو الانغلاق، فهو ابن ضيعة جارة للشمس وساح للرياح.

ضيعة تشكّل مصباً لدروب القمر، والليل المباح، وغوى الأنجم التي تخطر على الغيد الملاح، وريف السماء، وتموز الذي رأى فيه الحياة، وعرس العطاء، والضياء والآفاق والرحاب.

لقد جمّع وجوه الجمال، وما يؤكد وجود ذلك، الألفة التي أشار إليها في قصائده، التي حملها الزمن بامتياز ماهيته من دون أن ينسى العقل والروح.

غير أن عازار من خلال تجاربه، أكبّ على الشعر فأعطاه من وجدانه وقلبه وعقله، وقد لمحت من بعيد أنه خرج عن وضعه النفسي، ثم عاد إلى أحاسيسه التي تمثلت في قمة التعامل مع الناس وقضاياهم، ومغائر المألوف.

وهنا أُشير على رغم محبته لبلدته، التي أطلق عليها جارة الشمس، لم ينشد الهروب من المدينة إلى الريف، ولكن هذا الأخير ربي في حاله علامة فارقة.

وكان لا بدّ للشاعر عازار وهو يعبر إلى المجتمع الإنساني الأمثل، ناسياً الواقع، أن يعتمد خطة فكرية يترسمها شعره، حيث يُخلق من صلب

المآسي ملحمة رؤيويّة من صميم الذاتِ البشريّة، وهذه الناحيةُ تجسّدُ أكثرَ من طاقةٍ إنسانيّة، وقد تكونُ خاماً، ينطلقُ منها واقعٌ يُستفادُ منه. وليس ذلك من الغرابة في شيء.

والرؤيا التي باتتُ تعريفاً عند الشاعر عازار، تتناولُ الحدثَ الشعريّ، والإنسانيّ وحدودَ الإنسانيّة، كوحدةٍ متكاملة، غير قابلةٍ للانقسام. وفيها يتجنّبُ طُرُقَ النزاعاتِ الفوضويّة والدماغوجيّة التي تثيرُ الشغبَ والغوغائيّة.

وقد نشاهدُ ذلك في طوايا قصائدٍ وجدانيّة له، من شأنها الدعوةُ إلى محبّة الضيّعة وشمسها ودروبها، وكلّ ما يُنظرُ منها قريباً كان أو بعيداً:

ضَيِّعَتِي

يا مَوْعِدَ الشَّمْسِ مَعَ الشَّمْسِ

ويا سَاحَ الرِّيحِ

يا دُرُوبَ القَمَرِ الوَلْهَانِ

في اللَّيْلِ المُبَاحِ

وغيّ الأنجمِ يَخطِرُنَ

كما الغَيْدُ المِلاحُ

ضَيِّعَتِي

يا هَيْكَلَ الصَّيْفِ

على ريفِ السَّماءِ
يا تَلّاقِي آلهاتِ الخِصْبِ
في تَمّوزِ
في عُرْسِ العطاءِ
صَخْرَةٌ أَنْتِ مِنَ الدَّهْرِ
ضياءٌ في ضياءِ

ضيّعتني
مَنْ قَالَ أَهْوَائِكَ صَخُورًا وَتُرَابًا
أَنَا آتٍ مِنْ رَحَابِ الْأَمْسِ
أَفَاقًا رَحَابًا^١

التوازن الأدبي

أدب ريمون عازار يدعو إلى المصالحة مع الوقتِ والذاتِ والحلمِ
والرؤيا، وما قاله بضعُ خطواتٍ في طريقِ القبولِ بالإنسانِ والحريةِ
والفكرِ المجنّحِ صوب الإنسانيةِ وتلاوينِ التعابيرِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ١٠٢، ١٠٣.

عملُهُ الفنِّيُّ، أشبهُ بخليَّةٍ مستقلةٍ تبرزُ مشاعرهَ وقدرتهُ التي تمثِّلُ رؤاهُ وخصوصيَّاتِ صنيعه الذي ينتجُ عنه التوازنُ الفنِّيُّ فاعلُ الرّضى في نقّادةِ الأدبِ، ويُنْتَمِ بِالتّالي شهيّاتٍ تفرزُ روائعَ الكلامِ وجنّى له مكانٌ في النّدرَةِ المرغوبةِ.

نتكلّمُ على عطاءاته الشعريةِ والنثريةِ، لننلَّ إلى أدبٍ مرتبطٍ بحياته وأديمِ روحه وهو يسبرُ هذه الأغوارَ، نلمحُه يُسرِّعُ الحلمَ على عربةٍ من الصبرِ والهدوءِ ومحبةِ الأمِّ والأب والابنِ والقريةِ وسوى ذلك.

وعلى اليفعِ اندرجَ في خطِّ الشعرِ والأدبِ والقانونِ، ليحتلَّ مكانةً واسعةً في الجمعيّاتِ الأدبيّةِ^١ حيثُ كان همّاساً، يفرحُ بالجمالِ، ويحزنُ للبشاعةِ. هو الشّعْرُ عذبٌ، أمّا صداؤه فهو بعيدُ القرارِ، موصولٌ بالإيحاءِ، وبقيثارةٍ هداً غناؤها على فمِ ذاكِ العازفِ والمغني.

يتوقُّ إلى المطلقِ بشفافيّةٍ ومثاليّةٍ قصوى، ومخالقاتٍ مجهورةٍ، لعلّها النّسقُ الواضحُ، فإنّ تكلمَ على تواصلٍ مدى الزّمنِ، وَضَعَ ابنهَ قبالتَه وحبّه له، معتبراً إيّاه ضوءَ العينِ:

أَتَيْتُ لَأَنَّكَ قُبْلَةُ عُمْرِي
وَأَمْضِي بِعُمْرِي إِلَيْكَ

١ - نشيرُ إلى أن الشاعرَ كان عضواً بارزاً في حلقة الثريّا.

أَتَيْتُ لَأَنْي حُبُّ
 يَفِيضُ عَلَيْكَ
 وَأُخْصِبُ فِي التُّرَابِ
 فَيَنْمُو التُّرَابُ
 عَلَى رَاحَتَيْكَ
 وَأَنْتَ ضِيَاءٌ يَجُولُ بَعَيْنِي
 فَأُغْمِضُ عَيْنِي عَلَيْكَ
 ... وَتَنْبُتُ فَوْقَ الْجِبَالِ
 كَغَابَةِ أَرْزٍ وَتَعْلُو
 وَتَدْعُو إِلَيْكَ السَّمَاءُ
 فَتَأْتِي السَّمَاءُ إِلَيْكَ
 تَتَادِي إِلَيَّ الذُّرَى
 أَنْ أَطِيرُ
 أَضْمُ جَنَاحَ النُّسُورِ إِلَيْكَ
 وَنَمْضِي ... وَعَيْنُ الزَّمَانِ
 تَنَامُ وَتَصْنَحُو
 عَلَيَّ ... عَلَيْكَ^١

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ١١١، ١١٢، ١١٤.

إِنَّ البُعْدَ الإيمانيَّ والمنطقيَّ يساويانِ منحَى تصاعديًّا مثاليًّا.
والبعْدُ الاستيطانيُّ اللاشعوريُّ هو خيرُ باعثٍ على اكتشافِ الجماليَّةِ،
التي تقربُ في بلوغها، الصِّقاءَ الداخليَّ الذي يُشبهُ إلى حدٍّ بعيدٍ الحلويَّةَ
الصوفيَّةَ، وفي مثلِ هذه الحالةِ يتمُّ عالمُ الشاعرِ بالمثلِ، أو بالحلمِ
الرمزيِّ، وإذ ذاك تُنزعُ الأقنعةُ عن أبعادِ النَّفسِ، وبهاءِ الكونِ الذي لا
يُتاحُ للعيونِ أن تتطرَّه في حالةِ الوعي.^١

هذا الشاعرُ حرصَ كثيرًا على تعميقِ أدائه في كلامه الشعريِّ، وخلقَ من
خلالِ الأوزانِ الخليليَّةِ والتفعيلاتِ، لغةً نغميَّةً تماثلُ لغةَ الموسيقى، التي
تربطُ بينَ الحياةِ الوجدانيَّةِ، وانبعاثِ الموسيقى.
ومن المسلمِّ، أنَّ الوجدانياتِ في الكلامِ الشعريِّ، كالإيقاعِ الموسيقيِّ، هذا
القولُ متفقٌ عليه لدى أهلِ الأدبِ وأهلِ الموسيقى.
الروحُ في المعزوفةِ الموسيقيَّةِ، كالفرْدِ الحيِّ، يعني أنَّ الحيَّ كلُّ غير
قابلٍ للتفكُّكِ، والجزءُ له مكانٌ في الجزء الآخر. وهذا ما أشارَ إليه بودلير
حينَ قالَ ما معناه: "الأداء الشعريُّ، كالأداء الموسيقي". وما يريدُ قوله،
إنَّ اللُّغةَ الشعريَّةَ، ترتقي إلى المستوى الوجدانيِّ والجماليِّ.

وفي أيِّ حال.

التناغمُ هو الشعرُ ونبضُهُ.

والإيحاء هو الصورة المتناسقة الأجزاء التي تصل إلى فلسفة الجمال
وممكن الوجدان.

الوجدان يعيش بين فواصل السياق، والأزمة، والحزن والفرح، ينمو في
الفقر والتشريد والبرد والجوع، وبكاء الأطفال، والغربة وغير ذلك. اقرأ
ما قاله في قصيدة "أزمة في الميلاد والحزن":

لَمْ تَأْتِ فِي حُلِّ الْمُلُوكِ
وَأِنَّمَا فِي حُلَّةِ الْفَقْرِ الْمَشْرِدِ
قَدْ أَتَيْتُ

وبكيت من بردٍ وجوعٍ
مثل أطفالٍ بكيتُ
... ليس لي في الأرض بيتُ

... حَمَلَ الرَّعَاةُ مَعَ النُّجُومِ جِرَاحَهُمْ
وَهَفَّوْا إِلَيْكَ كَشُرْدٍ،
فَوْقَ الْعَرَاءِ مُشْتَتِينَ
... وَهَوَى الْمُلُوكُ عَلَى تَرَابِكِ سَاجِدِينَ.

لَمْ يَفْتَحُوا أَبْوَابَهُمْ
حَسْبُوكَ أَنْكَ لَا أَحَدُ

فَوُلِدَتْ فِي الضُّعْفَاءِ
وَالْأَزَالُ تَنْشُرُهَا وَتَطْوِيهَا يَدَاكَ
إِلَى الْأَبَدِ.^١

الوجدانيَّةُ هي من مقوِّماتِ الشَّعرِ العربيِّ، منذ الجاهليَّةِ حتَّى آخر قصيدة، وهو وليدُ العاطفةِ البشريَّةِ، المعبرةِ في الجوانبيَّةِ والمشاعرِ. الشَّعرُ المستندُ على الوجدانِ، يتضمَّنُ التفاعلاتِ، والكلامَ المنبعثَ من الداخلِ، وما الأقوالُ المنعمَةُ إلا ترجمانٌ وتعبيرٌ عن اللَّبِّ الواقعِ في الأعماقِ.

الشَّعرُ هو العطاءُ الإبداعيُّ والخلقُ الآتي عبرَ طبيعةِ الكائنِ التي تُضفي الجمالاتِ، وما الجمالاتُ تلكَ، إلا رتاجُ الفنونِ في الشعوبِ المتحضرةِ. ومن شأنِ الشَّعرِ، وبخاصَّةِ الشَّعرِ الوجدانيِّ، أن يرفعَ مداميكَ الحُسنِ والقناعةِ بالكلامِ المطيَّبِ وأبجديَّةِ الفرحِ والابتهاالِ المطلِّ عبرَ الرُّوحِ في اللَّحظاتِ الواعيةِ والإشراقِ.

عندما تقرأ صلاةَ تجدُّ الوجدانيَّةِ في صفائها.
عندما تشدُّ على جرحِكَ، تعيشُ حالةً وجدانيَّةً من مقوِّماتها مشاركةُ الآخرين في الأتراحِ، كما في الأفراحِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

في ما يختصُّ بشعرِ ريمون عازار، فإنَّه يُصوِّرُ جانبَ الأخلاق، وقد غالى في وصفِ ذلك، وغالبًا ما نراه يجنحُ نحو العذريَّة وإزاء المثل المرتبطِ بالحقيقة.

ومما لا شكَّ فيه، أنَّ شعرَ عازار، يرسمُ الأشياءَ بدقَّةٍ ويصلُّها بالنفسِ ولواعجها، كبعضِ الشعراءِ الرومنطقيِّين، ولكنَّ هذا ليس شرطًا ليكونَ رومنطقيًّا، حتَّى ولو كان رفيقَ الخريفِ المسافر، وإنَّما عرَفَ كيف يربطُ بين وجدانيَّته والطبيعة، يقولُ في قصيدة الخريفِ المسافر:

أَسِيرُ وَأَذْكُرُ يَوْمِي وَأَمْسِي
وَحُبِّي الجريح، وتحزنُ نفسي
كَأَنَّ الْأَصِيلَ تَجاذبَ شَمْسِي
أَخْبِرُ كَيْفَ تَذوبُ الشَّمْعُ
وكيفَ سَريعًا يَضِيعُ الرَّبِيعُ
وَأَمْضِي وَأَمْضِي وَيَنأى الرَّجوعُ

حَرَقْتُ الضِّيَاءَ بَعِينِي بخورا
عَصَرْتُ الدِّمَاءَ بِقَلْبِي خمورا
حَمَلْتُ إِلَيْكَ النُّجُومَ نذورا
وَجِئْتُ عَلَى صَهْوَةٍ مِنْ بَشَائِرُ
وَجِئْتُ بَثُوبِ الخريفِ الْمَسَافِرُ

فأطفأ ناري رمادُ المجامرِ
وعاشَ الزمانُ زماناً حزيناً
وظلَّ الحنينُ يذوبُ حنيناً^١

في أيِّ حالٍ.
الوجدانيَّةُ والفرحُ الداخليُّ من مباحثِ الخيرِ.
أما الحركةُ فكانتْ كافيةً لبعثِ الحياةِ في الجمادِ، والذاتِ وفي مُطلقِ
الأحيانِ يُرسلُ الحَقانيَّةُ في الوجودِ.

ريمون عازار.
عاشَ الوعيَ بتفاصيلَ مقبولةٍ جدًّا، وأنزلَ نفسه في مدارِ الحقِّ والخيرِ
والفرحِ.
نجدُ أحياناً ضبابيَّةً خفيفةً في رحلاتِهِ، ولكن سرعانَ ما تزولُ، ليعيدنا إلى
المثاليَّةِ، والمشاركةِ، ونظريَّاتِ المعرفةِ، الناتجة عنها الحسُّ المعرفيُّ.
أدركَ كلَّ ذلك، إضافةً إلى ما عاناه من مرارةِ الواقعِ، وما تفرضُهُ
الطبيعةُ على الكائنِ المولودِ، الواقعِ الذي لا خيارَ للإنسانِ به، ولا هو
يرضى عنه، على رغمِ اعترافِهِ بالمنطقِ.

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٦٤، ٦٥.

فهو يعرفُ أَنَّ الموتَ حَقٌّ.

ويعرفُ أَنَّ الوالدَ وَالْأُمَّ وَالْأَخَ لَا بَدَّ مِنْ رَحِيلِهِمْ، وَلَكِنَّ الْوَجْدَانَ الصَّافِي
يَأْبَى الْغِيَابَ الْقَسْرِيَّ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ "دَمَاءُ الْوَرْدِ"، الْمَهْدَاةَ إِلَى أَخِيهِ
الَّذِي غَابَ:

... وَدَمًاؤُكَ تَكْتُبُ قِصَّةَ تَهَا

بِحُرُوفِ الْوَرْدِ وَتَبْتَغِي دَعْوَةً

وَتَتَنَامُ عَلَى أَبَدِ عَيْنٍ

وَيَضِيغُ عَلَى الشَّفَقِ السَّامِعِ

... أُرْدَاكَ الْغَازِي، هَلْ عَلِمْتَ

يُمْنَاهُ، أَنْ قَمَرٌ يَقَعُ؟

مَا النَّبْلُ أَخِي هَذَا زَمَنُ

لِلْحَقْدِ، فَلَا كَانَ الْوَرَعُ

ويقولُ في قَصِيدَةِ "رَبِيعِ الشَّوْفِ"، مُخَاطِبًا الْجِبَالَ النَّازِفَةَ، وَالشَّمْسَ الَّتِي
تَجَرَّحَتْ أَعَالِيهَا، وَمُنَاشِدًا زَهْرَةَ الْإِيَّامِ، وَبَيْتَ النَّسْرِ، وَمَلْتَقَى صَنِينِ

والباروك، والأحبة الذين أوصدوا بالسيف أبواب العبور، ويسألُ بشكلٍ
مستنكر، كيف تموتُ الكرامةُ في الشّوفِ جبلِ الشهامةِ والإباءِ، وكيف
يُسمَحُ بتدميرِ الإنسانِ واغتيالِ الضياءِ:

نَزَفْتُ دِمَاؤُكَ يَا جِبَالِي
وَتَجَرَّحَتْ شَمْسُ الْأَعَالِي
... يَا زَهْرَةَ الْأَيَّامِ، يَا بَيْتَ النَّسُورِ
يَا مُلْتَقَى صَنِينَ والباروكِ فِي الْأَمْرِ الْخَطِيرِ
كَيْفَ الْأَحْبَةُ أَوْصَدُوا بِالسَّيْفِ أَبْوَابَ الْعُبُورِ
... فِي الشَّوْفِ، فِي جَبَلِ الشَّهَامَةِ وَالْإِبَاءِ
فِي الْمَتْنِ، فِي أَرْضِ التَّسَامُحِ وَالصَّفَاءِ
شَحَذُوا الْخَنَاجِرَ، دَمَّرُوا الْإِنْسَانَ، وَاغْتَالُوا الضِّيَاءَ
قَذَفُوا بِنَارِ الْحَقْدِ أَبْرَاجَ السَّمَاءِ^١

يستدركُ عازار في خضمِّ الوجدانيةِ المنتفضةِ، محبةً تلمُّ في طريقها
أجزاءَ الرومنطيقيةِ، ومن الواضحِ تمامًا أنَّه يأبى السرَّ وسيلةً، أو قوَّةً
محركةً للنموِّ.

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٣٧، ٣٨.

ومن الملاحظ، أنه يرفضُ الثورةَ هدفاً، فكلّ ما يطلبُهُ الإيجابيةُ البناءة، وكلّ ما يتمناهُ سعادةُ الإنسان، التي لا تتحقّقُ بغيرِ الودِّ والوئام والاتّفاق، التي تتمثّلُ في تألّقِ الضياءِ، وبزوغِ الشمسِ، ونشوى الجمال.

ثورةُ هذا الشاعرِ الحبِّ الحقيقيّ، والسّلامِ الواصلِ من القلبِ، الذي يمنحُ قوّةَ التغيّيرِ الفعّالة، ثمّ يتمنّى أن تكونَ يده قادرةً كعصا "توفاليس" السّحريّة، التي حُكيَ عنها بأنّها تمسحُ الذنوبَ وقوى الشرّ:

هـذي مناي - فيا ليالي تفرّقي -
بزغتُ كشمسٍ، قبلَها لم تُشرقِ

... وهفتُ، فمَن في الخلدِ لم يهتِفْ لها
بل أيُّ نجمٍ لم يُحبَّ ويعشّقِ

... وأظُلُّ أصابو للعناقِ وأرتمي
في المسـتحيلِ المسـتحيلِ المُغْدِقِ

فتكادُ نفسي أن تذوبَ صابّةً
ويفيضُ قلبي بالحنينِ المُحرقِ

وأهـمـيـمُ فـي حُبِّي، صـدودًا أُولَقـا
وَإِذَا احْتَرَقْتُ، فـفـي الضَّيـاءِ تـألَّقـي^١

الرؤيا العازارية وُضِعَتْ في خدمةِ الشَّعرِ، والحضارةِ المنشودةِ، والإطارِ الشموليِّ، ولعلَّه أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ، الريادةَ التي آمَنَ بها ضرورةً حتميةً، وَقِيَمًا مِنْ أبعادِها الإنسانيَّةِ، وجوهرًا يبعثُ في الشَّرْقِ التَّجديدَ، وقيامَةَ تأخُذُ خطَّها في الصِّراطِ السَّويِّ، وقبلَةَ النُّورِ، وثمرِ الطيِّوبِ، والشِّذا، والحُلُمِ، والنَّغَمِ، والعناقِ المجلوبِ مِنْ جذوةِ الأفراحِ.
يقول:

إِنْ تَعَانَقْنِي فَإِنِّي قَبْلَةُ النُّورِ
عَلَى ثَغْرِ الطَّيِّوبِ
عَهْدُنَا فِي الْحُبِّ
أَنْ نَحْيَا عَطَاشًا لِلشِّدَا
حَتَّى الْمَغِيبِ
أَنَا مِنِّْي الْحُلُمُ وَالشَّعْرُ أَنَا مِنِّْي النَّغَمُ
... عَانَقِينِي
هَتَفْتُ عَنِّي ضُلُوعِي

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٧٥، ٧٦.

أَنْتِ يَا جُنُودَ أَفْرَاحِي
وَيَا بَحْرَ دُمُوعِي.^١

عَبَّرَ ريمون عازار في شِعْرِهِ عن عطاءاتِهِ السَّامِيَةِ، وتبلورَ موقفُهُ على سُلَّمِ التجديدِ والإرادةِ الخَيْرَةِ، حيث نادى بوحدةِ الكائِنِ، كمادَّةٍ رئيسةٍ أُولى للبناءِ الحضاريِّ، وهنا نتذكَّرُ الشاعرَ خليل حاوي في ديوانِ نهر الرَّمَادِ، والناي والريح، وبعض شعراءِ الحداثةِ، وبخاصَّةِ الشاعرِ الكبير جورج غانم.

وهكذا برَزَ الشَّاعِرُ عازار بالتوافقِ والتقاربِ الإنسانيِّين، وكانَ يقصدُ ما قصدَ وعَبَّرَ عنه جان جاك روسو، عندما تحدَّثَ عن الوفاقِ والمصالحةِ بين اثنين.

في أيِّ حال.

بدا شاعراً ملتزماً بقضيَّةِ الحضارةِ والإنسان.

وقد عمَّقتُ رؤياه الشعريَّةَ، ثوابتَ آمِنَ بها، مِنْ دونِ أَنْ يتأثَّرَ بأحدٍ. وهذه الرؤيا هي من نتاجِ حدسِهِ الشُّعْريِّ وعقلِهِ المنطقيِّ الذي تولَّدَ مِنْ تلاقي الفكرِ والمعاناةِ، وهذا ما سمَّاه هيغل الفكرةَ المثاليَّةَ الصَّائِبَةَ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٥٦، ٥٧.

سفنٌ في المدى

لدى قراءتي قصائد "سفن في المدى" في ديوان عبور إلى البهاء، لشاعرنا ريمون عازار، وهي بعدُ في بكارَةِ الخلقِ وبدْعِ النتاجِ الذي لم تفضّه أناملُ، ولا أسلاكُ بصر.

وعلى الرّغم من إعجابي بشعرِ ريمون عازار، فإنّ الانفعالَ الذي أحدثته هذه المجموعة في خاطري، كانت من التفجيرِ الذاتيِّ والعمقِ، كما لو أنّي أقرأ الشاعر عازار لأول مرة.

كان عمله في منتهى الصياغة والدقة، ولا أخفي أنّي عشت لحظاتٍ من الهناء، لا تتأتّى إلّا في الأحلام، أو الأسفارِ في سفنٍ مداها الدنيا. وها إنّني أُسرّعُ لأقول، الشاعر عازار أرادَ بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ أن يُرضي كوكبةً من شعراءِ الحداثةِ وأهلِ السورِاليّةِ، أمثال الشاعر عبد الوهّاب البيّاتي، وأدونيس ويوسف الخال وغيرهم.

وقد وقعتُ على أطرافِ رحلةٍ مُمتعة، تمتازُ بالكثيرِ من الملامحِ الحقيقيّة، والقسماتِ النابعة من أحاسيسٍ قادرٍ لتطويعِ الحداثةِ الشعريّة.

ومن هذه القسماتِ متعةُ التواصلِ، في مرّ الحياةِ وحلوها، ونجاحِ الشاعر بتقديمِ عرضٍ للأشياءِ والناسِ.

وغالبًا ما نجدُه يعدّدُ أشياءَ تجري بعفويّةٍ عبرَ سلكِ تداعي الأفكارِ والمشاعرِ، وقد يحدثُ من هذا التقاءٌ مفاجئٌ في العواملِ المستجدة، وأبعادِ الأثرِ.

ولو قرأت كلمات قصيدة "نصرعُ التّنين"، لوجدتَ الشاعرَ عازارَ يجمعُ
بينَ أفكارٍ متباعدةٍ، ولكن في منطقِ الواقعِ، يقولُ:

أمطري ما شئتِ
ناراً وحممً
واجعلي جناتنا الغنّاءَ
تجري تحتها الأنهارُ
من دمعٍ ودمٍ
لا نبالي...
يسقطُ السَّيلُ إلى القعرِ
وتبقى في أعاليها القممُ
نحن كُنّا
نصرعُ التّنينَ بالحبِّ
ونبقى
... ولو بئنا
رِممٌ^١

وقد يبدو غريباً جمع بعضِ الأفكارِ التي مرّتْ.

١ - ديوان، عبورٌ إلى البهاء، ص ١٠١، ١٠٢.

اعتقادي أَنَّ المجالَ مفتوحٌ للشَّاعرِ في بعضِ الأمور، وأخالُهُ يلتفتُ إلى
الواقعِ الذَّاتيِّ من منظارٍ يدلُّ إلى الموضوعيَّةِ، وحدودِ المنطقِ في تكديسهِ
صورًا يجمعُها عادةً واقعُ الظرفِ والوجودِ، وهذا حالُ عازارٍ أيضًا في
أبياتِ "سفن في المدى"، عندما مثَّلَ النهرَ، في مواضعٍ جمعتها فقط
الحقيقةُ الشعريَّةُ:

أنا نهرٌ
أفيضُ على ضفافٍ
وأَمْضي ساكبًا في اليمِّ غمري
فلستُ الماءَ يركدُ في سهوبٍ
ولستُ المَزْنَ تسقطُ فوقَ صخرٍ.

أنا بعضي الجنى
والبعضُ روضٌ
وسُفُنٌ في المدى والنورِ تجري.^١

الشاعرُ هذا، لم ينسَ يومًا قضايا وطنه وأرضه وإنسانيَّتهِ وعائلتهِ
وأولاده.

١ - ديوان، عبورٌ إلى البهاء، ص ١٠٥.

فهو يرى النضال ضرورة، وإلا لماذا كتب قصيدة "ذبحوا الأطفال في قانا"؟

مناضل في حبه كوالد وكزوج وكعاشق. فهل يجوز لي أن أصفه بالمثال؟ بلى! بدليل أنه دائماً يزيّد من معاطاته الإنسانية، ومواقفه الرياديّة، وطلّاته الإيمانيّة، ودفاعه عن حقوق العالم.

وقف على مشارف قانا الجريح، وهناك، رأى طيفاً للمسيح الذي له في قانا وقفات عجائبية، كتحويل الماء إلى خمر، وكأني به يسأل يسوع أن يُعيد لعروس الجنوب الاخضرار، وللحدائق الزهر، وأن ترفع السكين عن أعناق الأطفال والنساء والعجزة.

وعلى الرغم من النار والخراب والرعب، والقتل، والتدمير، فإن حبة الحنطة تغدو دائماً، الخصب في آنية الحبّ والبذر، اقرأ:

هل إلى قانا مسيحاً ستعودُ
تهتف الأرض إذا جئتَ
ويعلو في السماوات النشيدُ.

قد أحلت الماء خمرًا
وكسوت الروض زهرا
وأردت العرس في لبنان دهرًا
... ذبحوا الأطفال في قانا

... فاستباحوا الليلَ تدميراً وقتلاً وجراحاً
لم يتركوا للفتكِ بالإنسانِ في الدنيا سلاحاً.
ذبحوا الأطفالَ، ظنّوا بعدهم
سيسودُ العقمُ
والإعصارُ يجتاحُ الديارا
ما درّوا أنَّ حبةَ الحنطةِ تغدو الخصبَ
في أنيةِ الحبِّ البذارا.
لستُ أخشى
فيذُ الرحمنِ أقوى
... نستعيدُ الشمسَ أنقى
نملأُ الأجرانَ في قانا ميهاً
... تستفيقُ الأرضُ، نحيها، ونشقى
ليظلَّ الحقُّ في لبنانَ إشراقاً وخلقاً^١

المحامي الشاعر ريمون عازار.

يجسّدُ ذرّوةَ الخطِّ التصاعدي، في أغوارِ النَّضجِ الشعريِّ، وهو في
قصائدهِ كافّةً، يظهرُ أكثرَ استكمالاً، في جرِّ يراعتهِ وقوافيه الشعريّةِ،

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ١١١، ١١٢، ١١٣.

على أَنَّ الخبرةَ والتجربةَ أحدثتا أثرهما في تتخيلِ عباراتهِ وتراكيبه، أمّا التصفيةُ فكانت لإبعادِ الحشوِ والتفصيلِ، وبترِ بواذرِ الافتعال. ولم يبقَ في شعره إلا الرقةُ، كمثلِ المهرِ الضامرِ المستعدِّ للجري في حلقةِ السباقِ، أو السيفِ اللامعِ.

قصائدُ الأمِّ والطفولة

لقد نالتِ الأمُّ والطفولةُ جزءاً قيماً من شعرِ ريمون عازار الوجدانيّ. هذا النوعُ من الشعرِ ينفردُ بأصالةِ النفسِ الشعريِّ، وصفاءِ النيةِ والنبوةِ وصدقِ الجوانبيّةِ، لتدلَّ بشفافيّةٍ إلى حقيقةِ التجربةِ النفسيّةِ، وبعْدِ الرؤى والانفعالِ الجماليِّ القابضِ على جمالِ اللَّفظِ الشعريِّ. وقد وَجَدَ عازار في مفلذاتهِ الوجدانيّةِ، الإشراقَ والحنانَ والنَّغمَ وحرارةَ النبْلِ والعاطفةِ.

أخذَ دربه إلى البهاءِ النفسيِّ، فعَبَّرَ إلى الرّونقِ اللَّفظيِّ، على أننا نلاحظُ، أنه بفضلِ صدقيّتهِ، وحرارةِ التفجّرِ الدائمِ في داخله وحيويّتهِ، يمنحُ الصّورَ والطاقتِ الذاتيةِ قيماً فنيّةً جديدةً تزخرُ بالتجربةِ النفسيّةِ غنىً واكتنازاً. ومن هنا قدرَ أن ينفذَ إلى حياةِ الآخرين ليزيدَ من العواطفِ، ويثيرَ في القارئِ البهجةَ والغبطةَ التي يشعرُ فيها.

وأحسبُ أنَّ مصدرَ الأصداءِ المتجاوبةِ بينَ الشاعرِ والمُرسلِ إليه أي القارئ، وهو أنَّ عازارَ يشعرُ بحضورِ الإنسانِ شعورًا متساميًا، هذا بالنسبةِ للمرءِ العاديِّ، فكيفَ إذا كانَ الشعورُ يلفُّ الأمَّ والحفيدَ والأولادَ. هذه الخاصَّةُ في شعرِ أبي ربيع "ريمون عازار" حلَّت انعكاسًا سويًّا عن احترامهِ المطلقِ بالآدميِّ.

وفي هذا الضَّوءِ يرى يَدَي أُمِّه سفينةَ خلاص، ووجهَ الحياةِ بملامحِهِ، ويَرى في "ساره" أَقْمَطَةً مِنَ النُّورِ، والنَّعمى والبشارة، يرى فيها ملاكًا وطفلةً من فيضِ الجنانِ والرَّؤى حيثُ الوهجُ وفَرَحُ الأمومةِ، وسرورُ الوالدينِ والجديين، يقولُ في قصيدةِ "ساره":

وُلِدَتْ ترفلُ بالأنوارِ سارهَ
فرَسَتْ في مرفأِ العمرِ منارَه
وتراعتُ في سَمانا أنجمُ
تَحْمِلُ النُّعمى إلينا والبشارةَ

أَمَلَكُ حَلَّ، أُم رُؤيا انجلتُ
أَم سَحَابُ يسكُبُ الماءَ نضارا
طفلةٌ في بسمةٍ نُغنى بها
تَشْتَهِي أَنْ نَعْبِرَ الدُّنيا صِغارا

... نَبَتِي بَيْتًا لَهَا مِنْ كَوَكَبٍ
وبها نَبِي مِنَ الْحُبِّ دِيَارًا

... فهنا وَهَجٌ، وَغَرْسٌ وَجَنَى
وهناكَ الْوَرْدُ يَزْدَادُ ازْدِهَارًا
فانْعَمِي يَا أُمُّ قَدْ نِلْتَ الْمُنَى
وانْتَشِي يَا وَالِدَا مِنْهَا انْبَهَارًا
وافرحي يا "كُرم" يا جَدَّتَهَا
كنتِ رَمَزَ الْأُمِّ، حَبًّا لَا يُجَارَى

فاكبري سارَةَ، بهاءً مُنْزَلًا
زَنْبَقًا يَخْتَالُ طَيِّبًا وَنَضَارَةً
أَرْزَةً تَعْلُو، وَتَمْضِي فِي الْمَدَى
ويظلُّ الْعَمْرُ وَعْدًا وَانْتِصَارًا^١

قُدِّرَ لِأَبِي "ربيع" الجدُّ أَنْ يَنْعَمَ بِلَفْتَةٍ مِنَ الدَّهْرِ، قَلَّ أَنْ يَنْعَمَ بِهَا إِنْسَانٌ
آخِرٌ، فَهُوَ أَبٌ لثَلَاثَةِ "دكاترة" - حماهُمُ اللهُ - وَجَدُّ لِأَحْفَادٍ - حَفَظَهُمُ اللهُ - أَمَّا
الزَّوْجَةُ الْجَدَّةُ، فَقَدْ تَعِيشُ الْيَوْمَ فِي قَلْبِ الْغِبْطَةِ وَدَفْعِ الْعَائِلَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ،
وَإِذَا أَقْبَلَ نَحْوَ حَفِيدِهِ "راي"، يَتَذَكَّرُ صَوْتَهُ الْآتِي مِنْ قَلْبِ الصَّبَاحِ الَّذِي

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٨٣، ٨٤، ٨٥.

زَفَّهَ البَشَارَةَ المَلأَى بِالزَّهْرِ والعَبِيرِ، وأَقْمَطَةَ الوليدِ الأميرِ القادمِ على
أَجْنَحَةِ الربيعِ الجديدِ، وبزوغِ الشَّمْسِ، ومرايا الزَّمانِ، يقول لحفيده
"راي":

أَتَيْتَ...

وكانَ الصَّبَاحُ البَهِيُّ

يَزِفُ إلينا الخَبَرَ

... وكانتْ جِنانُ العَبِيرِ

تَمُدُّ وشاحَ الزَّهْرِ

هَتَفْنَا...

فَأَنْتَ الوليدُ الأميرُ

... وُلِدْتَ فَحَلَّ الرَّبِيعُ الجَدِيدُ

... وَعَبَرَ تواليَ اللَّيالي نُسَامِرُ وعدًا

يَهْلُ... يَهْلُ، وَأَنْتَ المَطَرُ

فَيَبْزُغُ نَجْمٌ

وَتُشْرِقُ شَمْسٌ

وَنُبْصِرُ خَلْفَ مرايا الزَّمانِ

مَسارًا يَخْطُ كُتَابَ القَدَرِ.

حفيدى

تقولُ القلوبُ بأنَّكَ فيها
تَدْفُقُ حُبًّا، وفيضُ حنانٍ
وأجملُ بُشرى
تقولُ الورودُ بأنَّكَ روضٌ
وأكثرُ منه رُواءً وعِطرا
تقولُ القصائدُ إنَّكَ أرحبُ
منها بحورا وأروعُ شعرا^١

لا بدَّ من القولِ، إنَّ الشَّاعِرَ ريمونَ عازار، حرَّكَ أزمَةَ الشُّعْرِ مِنْ جَدِيدٍ،
ولكنَّهُ قَدَّمَ نماذجَ حَيَّةً، على أَنَّ القُضِيَّةَ بجملتها قُضِيَّةُ الشَّاعِرِ ذاتِهِ،
فبقدرِ ما يكونُ إحساسُ الشَّاعِرِ بالحياةِ والبشرِ، يكونُ موقفُهُ، موقفَ
تعاطفٍ وجدانيٍّ من مَهَمَّاتِهِ التَّطَوُّرُ في الكائِنِ، أمَّا الحِركَةُ فهي متَّصِلَةٌ
أبداً بـماضٍ لا بدَّ أن يتحوَّلَ إلى مستقبلٍ، تبدأ منه الشَّحْنَةُ الحِركِيَّةُ
الوجدانيَّةُ والفنِّيَّةُ وفقَ المسارِ الكونيِّ الشَّامِلِ لكلِّ بشريٍّ وأمر.

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٨٦، ٨٧، ٨٨.

شاعرُ الوطن والأرض

عودة الفينيقي

الشاعرُ ريمون عازار، شاعرُ النّخبة.
يقطنُ القصيدةَ، ثمَّ يُعلي مداميكَ وطنيّةٍ من الشعرِ.
يرسمُ حدودَ أرضِهِ والتّضاريسَ، ويتنشّقُ من نسائِهِ، ويعيشُ المُنَاخَ،
فَتَبْنِي القوافي والتراكيبُ منازلَ، وحنينًا في الدخائلِ، وشعبًا من أمنيّاتِهِ
التماسكُ، وأنَّ يعودَ منارةٌ لحياةِ البشرِ.
قصيدتُهُ الوطنيّةُ، تجسّدُ تآلفًا لوحدةٍ، وبرنامجًا من مقوّماتِهِ الأخلاقِ
والتطلّعِ، أمّا القضيةُ التي تهَمُّ المواطنَ، فتمتازُ بالإحساسِ، ورفضِ الذلِّ
والخنوعِ أمامَ التحدّياتِ والصّمتِ.
يُذكرُنا بطائرِ الفينيقي، وباللّبنانيِّ عبرَ العصورِ.
يُذكرُنا بالأجدادِ القدامى والجُددِ الذين حَصَرُوا همَّهُم في الحفاظِ على
المجدِ والعملِ وعلى الأهدافِ النبيلةِ، وصيانةِ الحريّاتِ واستقلالِ الأرضِ
والكلمةِ.
إنَّه يطالبُ الفردَ، والشَّعبَ، بتحمُّلِ التّبعاتِ والمسؤوليّاتِ بطريقةٍ لا
تعرفُ الأمرَ المباشرَ، كتلكِ الملقاةِ على العاتقِ تُجاهِ الوطنِ والأرضِ.
المرحلةُ الوطنيّةُ اليومَ تحتاجُ إلى العُلَى والعنفوانِ ولجَمِ القوى المتهافئةِ
على وطنٍ أحيَرامَ وقدموسَ.
وطننا يحتاجُ إلى السّواعدِ والصّبرِ، والتفكيرِ الجِدِّي والتوازنِ.

أَمَّا نحنُ بدورِنا، فنسألُ معه عن الخطى القادرة على الوصولِ والخلاصِ
 مِنَ القهرِ والانحطاطِ، والشيلِ بوطنٍ عانى الكثيرَ.
 يطالبُ الشاعرُ عازار بالخروجِ مِنَ الأزمَةِ، والتَّغييرِ، والتَّقدُّمِ والخلاصِ
 مِنَ التَّخلفِ الذي أصابَ الأرضَ والكيانَ اللَّبنانيَ.
 لقد خشيَ هذا الشاعرُ أن يسقطَ لبنانُ.

خافَ عليه مِنَ السَّياطِ التي لا ترحمُ.
 طالبَ العالمَ بالألا يكونَ دميةً في أيدي العابثينَ، وإنَّما أرادَ الانطلاقَ له،
 والأحلامَ الجميلةَ خارجَ حدودِ تفكيره، لأنَّ الوطنَ بنظره ليس جبلاً أو
 سهلاً فحسب، وإنَّما هو حالةٌ ذهنيَّةٌ وتفكيريةٌ وأهدافٌ إنسانيَّةٌ يبتُ فيها
 منطلقات من واقع الحياة والزَّمنِ.

لدى قراءتنا القصائدَ الوطنيَّةَ عند الشاعرِ عازار، يتبادرُ إلى ذهننا همُّهُ
 الوطنيُّ، ونستشفُّ القوميَّةَ اللَّبنانيَّةَ، وهنا أتذكَّرُ الشاعرَ الفلسطينيَّ،
 الصِّديقَ محمود درويشَ، الذي ربطَ روحَهُ بأرضِهِ، وفكرَهُ وشعرَهُ
 بوطنه، ولذلك علَّقَ رؤياهُ بطائرِ الفينيقِ، والثرى، وهذا الارتباطُ بشكلٍ
 عامٍّ، لا يقلُّ من قيمةِ الكتابةِ، وشأنها، بل يرفعُ من حبِّ الوطنِ، ويجعلُهُ
 قدوةً بين أوطانِ العالمِ. ولعلَّ هذا الواقعَ الشعريَّ عنده، جعلنا نشيرُ إلى
 الحقيقةِ الوطنيَّةِ في قصائدهِ.

حبُّهُ لِلبنانِ نزعةٌ أخلاقيَّةٌ متساميةٌ، شقَّتْ أمامَهُ دروباً إصلاحيةً،
 ومِساحاتٍ أبعادها مترامية، يطلُّ منها المرءُ على ثورةٍ مطلوبةٍ ليست

معلنة، ووقفه لبنانية مدعومة بالآراءِ ضدَّ الظلم، وثمة مواقف تدعو لرصِّ الصَّوفِ.

يتراءى للقارئ في شعره الوطني عقيدة لم أعرف ماهيتها أو مداها، كل ما عرفته أنه لبناني من دون تعصّب، يطلب حلاً للعقد والمشكلات العالقة، ويطرح أفكاراً تمت للعدل بصلة، من هذه الوجهة، تشعر بأنه رجل قانون بقدر ما هو شاعر، يؤاخي هموم الناس، ويلقي عليهم من شفيف القوافي والعبارات.

كلامه الوطني يحمل صدقاً ضميماً، ونبضاً صادقاً، وتواصلاً فيه مشاركة تمتاز بالحيوية الخلاقة، والتعاطي الدقيق، والموضوعية الهادفة. ولا شك، فتقافته الواسعة الأطراف وبخاصة الأدبية والشعرية، استطاع عبرها، أن يلم بثقافة متنوعة، متكاملة.

ريمون عازار.

وثيق الصّلات بالثقافة العارمة، سواء كانت عربية أو أجنبية، فهذا التقيف يتابع الفكر بدأب متواصل وأمانة، تماماً كما هو أمام قضايا الناس وملفاتهم، على رغم تأثره ببعض التيارات المختلفة، ولا سيما الشعرية منها، التي تساعد على نشر المعرفة والثقافة والمدنية.

هذا الصليب، راح يفتش عن دروب الإصلاح، حاملاً في طياته عوامل الزمان والقدر والأمكنة المحيطة به.

مِنْ مَهَمَّاتِهِ الرَّئِيسَةِ، أَنْ يَسَاعِدَ عَلَى تَرْسِيخِ الْهَدْوِ النَّفْسِيِّ وَالتَّغْنِي
بِفَضَائِلِ النَّفْسِ، وَجَمَالَ الْأَرْضِ وَالْأَرْزِ، عَلَى أَنَّهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ
مَكَانَةٍ وَقَدْرَةٍ لِيَمْلَأَ الطَّمَأْنِينَةَ فِي الدَّخَائِلِ، وَيَقْرِبَ الْإِصْلَاحَ لِبَنِي وَطْنِهِ.
أَعْطَى لِبَنَانَهُ مَا فِي ثَنَائِهَا ضُلُوعِهِ، فَكَانَ شَاعِرَ الْوَطَنِ، الْمَلْتَزِمَ بِالشَّجَاعَةِ،
وَالْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ، أَمَّا عُلُوُّ الْهَامَةِ فِي أَعْلَى مَنَاطِحِهَا.
وَلَعَلَّ شِعْرَهُ هَذَا أَضَاءَ أَمَاكِنَ الْعَتَمَةِ، وَزَوَايَا الدِّيْجُورِ، وَامْحَى الْقَلْقَ مِنْ
الْأَفْنَدَةِ وَالرُّوحِ، وَرَسَمَ الْمَعَالِمَ فَجَعَلَهَا وَاضِحَةً فِي الْوَطَنِ الْجَرِيحِ، الَّذِي
سَيَنْتَقِضُ كَمَا قَلْنَا، كَطَائِرِ الْفِينِيقِ.

يقول:

وَبَكَتْ فِي كُلِّ عَيْنٍ دَمْعَةٌ
وَذَوَتْ فِي حَدَقَةِ الْجَرْحِ الْعَيُونَُ

فَهَنَّا الْأَرْضُ ارْتَحَالَ، وَهَنَّا
جُنَّتِ الْحَرْبُ، فَاتَّيَ يَرْحَلُونَ

... رَوَّعُوا الْأَجْوَاءَ حَتَّى شَهَبَهَا
زَلْزَلُوا الْأَرْضَ، وَرَاحُوا يَجْهَلُونَ

... زَرَعُوا فِي سَاحِلِهَا رِيحَ الْوَعَى
فَاتَّيَ بِالْعَصْفِ قَوْمٌ يَثَارُونَ

... فإخري يا زحل، أدهشت العلى
كنت في الجلى، كما السيف يكون

سأل المجد، أهل منك اسمهُ
فتغاولى نهرك الهادي الحرون

جرّحوها؟ ما يضـيرن إذا
ساعد الأبطال أدمته الطعون

... من جبال الأرض حتى عامل
من مغيب الشمس حتى حرمون

... هل تظنون انتهينا شيعة؟
ينتهي الشر، ونحن المجمعون

إن تهـن من أمّة أعناقها
فجبين الأرض شمس لا تهـون

ينهض الفينيـق من أرماسه
يسقط الموت، ويبقى المؤمنون

لا تقولوا درَسَتْ أوطانكم
بلَّغُوا الدُّنْيَا، فَإِنَّا قَادِمُونَ^١

آثار الجراح

مِنْ حَقِّهِ كَشَاعِرٍ طَلِيعِيٍّ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَى الْمَوَاضِيْعِ الَّتِي تَهْمُ الْوَطْنَ
وَالْأَرْضَ، وَأَنْ يَمْزِجَ وَجْدَانَهُ وَدَمَهُ بَثْرَى أَرْضِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْإِشْكَالِيَّاتِ
الَّتِي تَعْتَرِضُ مَسِيرَةَ لُبْنَانَ، لِأَنَّ مُحَاكَاةَ الْوَاقِعِ تَفْرِضُ الْحُلُولَ، أَوْ عَلَى
الْأَقْلَ تَسَاهُمُ فِي عَرْضِ مَبَادِيءٍ تَخْلُصُ إِلَى إِيجَادِ مَخَارِجَ تُسَهِّلُ الْأُمُورَ،
وَهَذَا شَأْنٌ ضَرُورِيٌّ، لِأَنَّ قَضَايَا الْوَطَنِ مِنْ قَضَايَا الْمَوَاطِنِ الرَّئِيسَةِ.
مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ، عَرَفَ شَاعِرُنَا أَنَّ يَبِينُ جِرَاحَ الْوَطَنِ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَنَّ
يَجْهَزُ السَّوَادَ لِيَبْقَى جَبِينُ الْأَرْضِ فِي حُضُورٍ. وَهَلِ الشَّمْسُ تَغِيبُ؟
لَقَدْ بَيَّنَّ آثَارَ الْجِرَاحِ، وَأَشَارَ إِلَى الْوَجَعِ، وَتَقَمَّصَ رُوحَ الصَّارِخِينَ، ثُمَّ
أَصْغَى إِلَيْهِمْ. وَهَكَذَا ضَجَّ فِي كَيَانِهِ مُصِيرُ الْأُمَّةِ، لِيَعْلَنَ الْقِيَامَةُ وَالْحُرِّيَّةُ
فِي ظِلِّ الْقَهْرِ وَالظُّلْمِ.

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦.

وَمَنْ يَدْخُلُ فِي رَحَابِ مَفْلاذَاتِهِ الْوِطْنِيَّةِ يَجِدُ الْعَاطِفَةَ الْمُنْسَاحَةَ فِي الْأَمْكَنَةِ
وَالْمَطَارِحِ اللَّبْنَانِيَّةِ، مِنْ زَحْلِهِ، إِلَى صَيْدَا، إِلَى صَنْينَ، إِلَى الْأَرَزِ وَسُوى
ذَلِكَ.

أَلَمْ تَرَ مَعِيَ نَكْهَةَ الشَّعْرِ الْمُنْتَفِضِ فِي قَصِيدَةِ "عُودَةِ الْفِينِيْقِ"؟ وَهَذَا النُّوعُ
مِنَ الشَّعْرِ لَهُ عَلاَقَةٌ مُبَاشِرَةٌ بِالْبَشَرِيِّ، الْمَحَافِظُ عَلَى كِرَامَتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ،
وَبِخَاصَّةِ الْبَشَرِيِّ الْمَرْهَفِ، الَّذِي يَشْقَعُ اللَّبْنَاتِ بِيَدِيهِ لِيَجْعَلَهَا إِرْثًا مُنْتَظَمًا،
وَبِهَذَا يَعْبرُ عَنْ مَكْنُونَانَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وَعَنْ مَكْنُونَاتِ غَيْرِهِ مِنْ مُوَاطِنِيهِ.

شِعْرُهُ الْوِطْنِيُّ يَمْتَازُ بِالْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِ لُبْنَانَ وَالنَّاسِ الْمَغْلُوبِ عَلَى
أَمْرِهِمْ، أَمَّا الْغَايَةُ الْمُتْلَى فَأَبْدًا الْنَهْوضُ بِالْوَطَنِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ
صَعْبًا لِأَنَّ الْقِيَامَةَ مِنَ الرَّمَادِ لَا بَدْءَ مِنْهَا، وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ،
كَنْقَلِ الْوَقَائِعِ وَالْحَالَاتِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْمَوْطِنُ، كَيْفَ لَا؟ وَلِبْنَانُ وَطَنُ الْعُلَى
وَالْعَنْفَوَانِ.

لِبْنَانُ وَطَنُ أَحِيرَامَ وَقَدْمُوسَ.

لِبْنَانُ أَدُونَ وَعَشْتَرُوتَ.

لِبْنَانُ وَطَنُ الْأُمّهَاتِ وَالْأَبْطَالِ وَأَرْضِ الطَّيِّبِ وَالْأَحْلَامِ وَالْأَسَاطِيرِ
وَالْإِنْطِلَاقِ وَالرَّؤْيَا، وَجَرَحِ النِّضَالِ:

وَطَنِي الْعُلَى وَالْعَنْفَوَانُ

وَسَفِينَةُ فَوْقَ الزَّمَانِ

... وطني أحيرام^١ وقدموس^٢
 وبيت^٣ للألوهة لا يُنال^٤
 وطني أدون^٥ وعشثروت^٦
 وقصة^٧ وسع^٨ الخيال^٩

... وطني صلاة^{١٠} الأمهات^{١١}
 وصولة^{١٢} الأبطال^{١٣}
 ... كان^{١٤} الذبيحة^{١٥} والقيامة^{١٦} والرجاء^{١٧}

وطني رفعتك^{١٨} في يمين^{١٩} الحق^{٢٠} سيفاً^{٢١}
 وعلى^{٢٢} جفون^{٢٣} الطيب^{٢٤} والأحلام^{٢٥} طيفاً^{٢٦}
 ... أنت^{٢٧} الأساطير^{٢٨} العتاق^{٢٩}

... أنت^{٣٠} الدم^{٣١} المهرق^{٣٢}
 في أرض^{٣٣} الفدا^{٣٤} والإنطلاق^{٣٥}

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، ص ١٧، ١٨، ١٩.

دورُ الرؤيا

يجعلُكَ وأنتَ تقرأهُ تشعُرُ، بأنَّ ما قالَهُ يحترقُ في الزَّمانِ والمكانِ
باندياحاتِ الغارقينَ بالتفكيرِ وأماكنِ الجمرِ. على أنَّ الأمورَ تفرضُ إرادةَ
الوصولِ إلى الأملِ والمُبتغى.

كلامُهُ يبدأُ من الإنسانِ وينتهي إليه.
طريقُهُ يُنارُ ببريقِ الرؤيا والأحلامِ، ويمتازُ بأرضِ الفداءِ والانطلاقِ عبْرَ
قضيّةٍ يُدافعُ عنها من الجهاتِ الأربعِ، أمّا المحطّاتُ فتتقادُ له بيُسْرٍ
وطواعيةٍ إلى أطواقِ لغويّةٍ، وخليليّةٍ، جهزتْ إمكاناتها، لتكونَ بحجمِ
المصيرِ والواقعاتِ ونميقِ التعابيرِ.
وقصيدةُ أبي ربيع (ريمون عازار)، تتغنّى بالأرضِ المبنيةِ بغدِ الرؤيا،
وجرحِ النضالِ، والوطنِ الذي يهزمُ المستحيلَ. يقولُ:

وَطَنِي، بِنِينِكَ مِنْ غَدِ الرُّوْيَا
وَمِنْ جُرْحِ النُّضالِ
وَطَنِي هَزَمْتَ الْمُسْتَحِيلَ
وَصَرْتَ مَا فَوْقَ الْمُحَالِ^١

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ١٩.

هذا الشاعرُ نَحَاتُ قَادِرٌ، معرفيٌّ، إنسانيٌّ.
يَعْرِفُ كَيْفَ يُشَذِّبُ الْأُصُولَ فِي عَمَقِ الزَّمَانِ وَالْقَدَرِ، وَخَبِيرٌ بِتَأْجِيحِ دِمَاءِ
الْجَسَدِ عِنْدَمَا الْوَاجِبُ لِبْنَانِ.

وهو الواقفُ بالضرورةِ للدِّفَاعِ عَنْ حَقُوقِ النَّاسِ، وَالْكِيانِ، وَهُوَ يَقُولُ
دَائِمًا، لَا أَدَبَ وَلَا شِعَرَ وَلَا حَيَاةَ مَعَ الذِّلِّ وَالْقَهْرِ وَالْجَبَنِ.
وَعَازَارُ مَصُورٌ لِلوِجْدَانِ وَالْعِظَائِمِ وَصَدَى الْمَشَاعِرِ: وَلَكَمْ رَأَى لِبْنَانَ
أَرْوَقَةً مِنْ نُورٍ لَمْ يَقَوْ عَلَيْهِ اللَّيْلُ بِأَرْمَاسِهِ، وَأَشْبَاحِ الْمَوْتِ:

فَعَلَى أَرْوَقَةِ النُّورِ هَـوَتُ
حُجُبُ اللَّيْلِ، وَأَشْبَاحُ الْمَنُونِ^١

يَرِصُدُ الْحَرَكَاتِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الْحَرِيَّةِ الَّتِي يَرِيدُ أَهْلُهَا أَنْ تَتَفَجَّرَ وَتَوْتِيَ
ثَمَارَهَا، وَهُوَ مُلَمٌّ بِالْقَضَايَا الْمَطْرُوحَةِ.
كَمَا أَنَّهُ يَعْيِ مَعَالِمَ الطَّرْقِ، وَلَا سَيِّمَا الَّتِي أَضَاءَ جَوَانِبَهَا، وَرَشَّهَا بِطَيْبِ
الْأَبْطَالِ وَالسَّوَادِ، وَالشَّعْرِ الْوَائِقِ بِمُسْتَقْبَلِ زَاهِرٍ، وَعَزِيمَةٍ مِنْ مَنْطَلَقَاتِهَا
الْمَسِيرَاتِ الْوُطْنِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ.

وَالشَّاعِرُ عَازَارُ،

يَبْحَثُ فِي أَدَبِهِ عَنِ الصَّلَةِ التَّلَقَائِيَّةِ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ.

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٣٠.

أبياتُه الوطنيَّةُ، تمتدُّ وتمتدُّ لتشملَ أهدافَ الأُمَّةِ، جاعلاً من لبنانَ القلبَ الخافق، الذي نشأ فيه إبداعُه وذاتُه الخلاقةُ، أو لأنَّه خطُّ الوحي الأوَّل، وقد نلحظُ من بعيدٍ تمازجاً روحياً، واندماجاً بين الإبداعِ والنَّفسِ، وقضايا الناس.

لم يلجأ إلى اللُّغزِ في كتاباته، أو إلى الطَّلاسمِ ليدرِّجَ الحرِّيَّةَ التي ينشدُها، وإنَّما يتوخَّاهَا حرِّيَّةً نابغةً من صلبِ الواقعِ، وضرورةً صادرةً عن وعي وثوابت.

يتكلَّمُ بانفتاح، ويشرحُ الإشكاليَّاتِ، وفي النَّفسِ جبروتٌ ومكانةٌ تُسهِّلُ الصَّعوباتِ التي تعترضُ الدُّروبَ.

إنَّه يطلبُ الغلبةَ، ويرفضُ الاستسلامَ، والهرولةَ المكسورةَ. ولم يغبِ أملُ الشاعرِ عازار، على رغمِ المشكلاتِ، ولم تغبِ قدرةُ اللُّبنانيِّينَ وبطولاتهم، لأنَّ القوَّةَ وإرادةَ البقاءِ عمرُها من عمرِ لبنانَ في التاريخ.

بلى! اللُّبنانيُّ كطائرِ الفينيقيِّ، عندما يقومُ، ينقُبُ عن الصَّلابَةِ التي يبقِيها إلى حين في رحابِ الحقائقِ، ومُدُنِ النُّورِ، وشطآنِ الفنونِ، وشوارعِ بيروت، وخطرِ الشرِّقِ، وصوَرٍ وصيدا، ثمَّ يعيِّدها همُّ الشَّرِّفاءِ في الوطنِ الكبيرِ، وطنِ الحرفِ، والأبجديةِ، لأنَّ الحياةَ بنظرِهِم مواقفُ عزٍّ، تتبَّعُ من قلبِ الواقعاتِ، وتتجسَّسُ في الهنيئاتِ الشَّديدةِ، القاسيةِ، والصِّراعاتِ القلقةِ.

على أَنَّ الشَّعْرَ الوطنيَّ، له منابر ثابتة، وأكثر من حضور، أمّا الكلمة فلها تأديةُ الدَّورِ الكاملِ.

القولُ الوطنيُّ، وبخاصَّةِ الشَّعرِ، أخذَ الجانبَ الرئيسَ قُرْبَ الواقفينَ في السَّاحاتِ، والرواقَاتِ، من دونِ أنْ تنتهي العزائمُ. وإذا وهنتِ العزائمُ قواها الشاعرُ.

وإذا ضعفتِ الإراداتُ أذكاهَا، وإذا خارتِ القوى، ونامتِ النَّخوةُ في العروقِ، أوقدَ فيها روحَ الحماسةِ والشَّجاعةِ. وطالبهم بالنَّخوةِ، واستعجلهم النضالَ بعد نوماتِ العصبِ، يقولُ شاعرُ لبنان سعيد عقل؛ مصوِّراً أهلَ الأرضِ اللَّبنانيَّةِ، بهذا الكلامِ:

أَهْلِي، وَيَغْلَوْنَ، يَغْدُو الْمَوْتُ لِعِبَتَهُمْ
إِذَا تَطَلَّعَ صَوْبَ السَّافِحِ عُودَانُ
مِنْ حَفْنَةٍ وَشَذَا أَرْزُ كَفَايَتُهُمْ،
زَنُوذُهُمْ إِنْ تَقَلَّ الْأَرْضُ أَوْطَانُ.^١

وهذا الشاعرُ ريمون عازار، يبشِّرُ بلبنانَ المآتي، مجدّاً للحضارةِ التي أضاعها في تاريخِ البشرِ.

١ - ديوان، كما الأعمدة، سعيد عقل، ص ٨، دار الكتاب اللبناني - بيروت.

يَبْشُرُ بَعْلَبَكَّ وَصُورَ، بَعُودَ صَوْلْجَانِ الْحَقِّ إِلَى مَكَانِهِ الطَّبِيعِيِّ.
يَبْشُرُ بَلْبَنَانَ الْبَطُولَاتِ.

يَبْشُرُ بِضَرْبِ الْمَجَازِفِ وَالْخَلْقِ...

لَبْنَانُهُ يَرْفُضُ الْمَوْتَ وَالذَّمَارَ.

لَبْنَانُهُ نَقِيضُ الْمَوْتِ، لِأَنَّهُ صَنُو الْخُلُودِ.

لَبْنَانُهُ مَهْدٌ لِلْفَتْوحَاتِ الْعِظَائِمِ...

بَيْرُوتُهُ فِي الشَّرْقِ مَنْارَةٌ، وَسَيْفٌ لِفَخْرِ الدِّينِ.

لَقَدْ شَغَلَهُ الْوَطَنُ، فَكَانَ كَالشَّعْرَاءِ الْأَصْلَاءِ كَمَحْمُودِ دُرُوشِ، وَابْرَاهِيمِ
طُوقَانَ، وَسَمِيحِ قَاسِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَجَنُوا الشَّعْرَ عَلَى خَمِيرَةِ
الْمَجْدِ، فَنَّا يَحْمِلُ الْهَمُومَ الْوَطَنِيَّةَ، وَالْقَضِيَّةَ بِكَامِلِ مَتَاعِبِهَا. اقْرَأْ مَا جَاءَ
فِي قَصِيدَةِ "هُوَذَا لَبْنَانُ آتِ":

هَلِّلِي يَا بَعْلَبَكُّ

وَانْهَضِي يَا صُورُ مِنْ بَيْنِ الرِّكَامِ

... هُوَذَا التَّارِيخُ آتٍ

هُوَذَا لَبْنَانُ آتٍ

يَكْتَسِي بِالْأَرْجَوَانِ

يَحْمِلُ الْحَقَّ إِلَيْهِ الصَّوْلُجَانُ

... هُوَذَا لَبْنَانُ آتٍ

يحملُ الشَّرْقَ بعَيْنِيهِ، وَهَدْيَ الْأَنْبِيَاءِ
وَيَدَاهُ مِنْ كُنُوزِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ سَوَاءً.

إِنَّ لِبْنَانَ بَطُولَاتٌ وَحَقٌّ
وَجَمَالَ وَمَجَازِيفٌ وَخَلَقٌ
... لَمْ يَكُنْ لِبْنَانُ مَوْتًا وَدَمَارًا
إِنَّ لِبْنَانَ نَقِيضُ الْمَوْتِ، صِنُوءٌ لِلْخُلُودِ

... عُودُوا لِلْفَتْوحَاتِ الْعِظَائِمِ
... وَجْهًا وَقُلُوبًا
إِنَّ رَبَّ الْمَجْدِ قَدْ كَانَ مَسِيحًا وَصَلِيْبًا.

أَشْعَلِي، بِيْرُوتُ، فِي الشَّرْقِ الْمَنَارَةَ
وَأُضْيِيئِي، ضَرْبَ الْعَنْفِ الْحَضَارَةَ
إِنَّ فَخْرَ الدِّينِ آتٍ
إِنَّهُ التَّارِيخُ آتٍ
إِيَّاهُ فَخْرَ الدِّينِ
يَا سَيْفَ الْإِبَاءِ

في هذا القولِ يُعلي حقيقةَ التاريخِ والمصيرِ، ويمسحُ السَّامَ عن الوجوهِ،
ويشيعُ الفرحَ في القلوبِ.
ما قاله في قصائدهِ الوطنيّةِ ثورةً حضاريّةً، أمّا التحديّ ففي العودةِ
والوصولِ وغايةِ الأفعالِ.
ما كانَ وهو يطلبُ الحرّيّةَ كالَّذي يتكئُ على الجرحِ، ويلعنُ الظَّلامَ، وإنّما
لوّحَ للشمسِ، والشَّهابِ، والضياءِ، والصَّهيلِ.
يقولُ:

لوّحوا للشمسِ، غنّوا للنسائمِ
أيقظوا الأمجادَ
... يا شهاباً في رحابِ الشرقِ
يأتي في الضياءِ
... يا صهيلاً يملأُ الأصقاعَ رُعْباً... ودويّاً^١

ألا تراه معي من المقاومين؟
وهنا أُعاجِلُ إلى القولِ، لأشيرَ، إنّ المقاومةَ علامةٌ فارقةٌ في شعبنا، فمنّا
من يقاومُ بالسَّلاحِ، وهناك من يقاومُ بالفكرِ والكلمةِ والعلمِ، وفي أيِّ حالٍ،
المقاومةُ عملٌ تكامليٌّ وضرورةٌ لا بدَّ منها:

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٤٨، ٤٩.

يا لقاءً شاءَ المجدُ قوياً
 ... لَطَّخُوا التاريخ...
 أرجعه نقياً
 ... إفتحوا للنور أبوابَ المدينة
 ... هو وجهُ المجدِ آتٍ
 هو وجهُ الحبِّ آتٍ
 وليكنْ للوطنِ الرَّحْبُ الولاءُ
 ولتعدْ للأُنْجُمِ الزُّرْقُ السَّمَاءُ^١

شاعرُ الوطن

إذا كانَ كَهْنَةُ الإِيْمَانِ والطَّبِيعَةِ، مرتِّلِينَ في محاريبِ الصَّلَاةِ، والهِكْلِ
 الأَفْيَحِ.

وإذا كانَ الإِيْمَانُ بالشَّاعِرِ بأنَّه يَخْلُصُ مِنَ التَّهْلُكَةِ، ويرفَعُ مَجْدَ الإنسانِ
 إلى فوق، كما كانَ حالُ الشَّاعِرِ في العصورِ القَدِيمَةِ، فأحرَّ به أن يذودَ
 عن وطنِ كَلْبَنانَ، مَنَحَهُ اللهُ الجَمَالَاتِ المَبْثُوثَةَ في زواياه الأَرْبَعِ،

١ - ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٤٩.

والشَّاعِرُ وَحْدَهُ لَدِيهِ الْقُدْرَةُ أَنْ يُظْهِرَ حَقَائِقَهُ، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ الْمَكَارَةَ وَكُلَّ
أَنْوَاعِ الْمَخَاطِرِ، وَأَنْ يَحَدِّدَ أَقْدَاسَهُ.

وَإِذَا كَانَ لِلْفِكْرِ مَكَانَةٌ فِي تَأْهِيلِ الْعَالَمِ، فَلِلشَّعْرِ سِيَادَةٌ عَلَى الْأَرْوَاحِ
وَالْقُلُوبِ، وَلِلْقَافِيَةِ صَوْلَجَانٌ مِنْ شَأْنِهِ الرَّهْبَةِ، وَالسَّلْطَانِ.

وَحَدَهُمُ الشَّعْرَاءُ يَرْفَعُونَ الْأَوْطَانَ، وَيُشِيدُونَ الْعُرُوشَ.

وَحَدَهُمُ يَبْقُونَ فِي التَّارِيخِ، أَمَّا الْآخَرُونَ فَيَنْزِلُونَ.

وَحَدَهُمُ يَبْنُونَ الْمَمَالِكَ، وَرُؤْيَاهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ تَضِيءُ مَعَالِمَ الطُّرُقِ.

بِإِمْكَانِهِمْ وَحَدَهُمُ أَنْ يَنْتَصِرُوا عَلَى الْجَافِلِ وَالْجِيُوشِ وَالْمُسْتَبْدِينَ،
وَيَبْنُونَ قَنَاظِرَ السَّوْدِ، وَيُؤَثِّلُونَ الْأَمْجَادَ.

وَطَنُ رَيْمُونِ عَازَارٍ، يَسْكُنُ الْحُلْمَ وَالرُّؤْيَا وَالْمَخِيلَةَ وَالذَّاكِرَةَ، وَالنَّصْلَ
وَالدَّمَاءَ. فَهَا هُوَ الصَّوْتُ وَالْوَجْهُ وَالذِّكْرِيَّاتُ.

وَهَا هُوَ يَحْذَرُ مِنَ "الثَّلَاثِينَ"، وَتَدْنِيسِ الْأَرْضِ، وَاسْتِبَاحَةِ الدِّيَارِ، ثُمَّ قَالَ
إِنَّ مِنْ يَكُونُ النَّصْلَ لَا يَبْكِي الدَّمَاءَ:

أَيْنَ يَا قَايِينَ هَابِيلُ أَخُوكَ

سَلْ دِمَاءُ

لَا تَسَلْ مَنْ خَدَعُوكَ

كَيْفَ تَشْكُو

"والثلاثون" ألا تدري
 يهودٌ وصليبٌ وانتحارٌ
 ... ويعلو صوتُ مَنْ ماتوا على الحقِّ
 وقد صاروا الضيَّاء:
 من يكونُ النصلُ
 لا يبكي الدماءُ^١

هو يعرفُ أنَّ لبنانَ لا يخلصُ إلا على ساعدِ أبنائه، من هنا شكّا وطنُ
 الإنسانِ والحضارةِ المقصَّرينَ، وهو يغمزُ من قنّاةِ ميزتهِ في الوجودِ،
 وما ميزتهُ إلا الأفايحُ والبخورُ، والطائرُ الغريِّدُ، والقِمَمُ السّمحاءُ وقواريرُ
 الطيبِ، والبشائرُ والمنائرُ، وبيتُ الصّلاةِ، وربيعُ الأمِّ، وأرضُ الشّذا، وما
 أنعمَ اللهُ على الجنانِ. يستغيثُ؟ بلى! اقرأ:

وشكّوتُم
 فشكّا لبنانُ منكمُ والإباءُ
 واتّهمتمُ
 وأياديكمُ غبارٌ...
 ودماءٌ...

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشّمس، ص ٧٨، ٧٩.

دَنَسُوا الْأَرْضَ صَرَخَتْ
واستباحوا، ما بَغَى الشَّرُّ،
الدَّيَّارِ

مِنْ فَجَاجِ الْمَوْتِ جَاؤُوا
مِنْ شَعَابِ الْجَنِّ جَاؤُوا
مِنْ مَفَازَاتِ الصَّحَارَى

... فَعَلَى الْمَوْجِ رِيَاخٌ وَقَوَارِبُ
وفحیحُ الصَّلِّ
في ليلِ العناكبِ

وبكيتُمُ
وَفُتَاتُ النَّصْرِ وَهَمٌّ وَرِيَاءُ
واتهمَّتُمُ
وأَيَادِيكُمْ غِبَارٌ...
ودماءُ^١

أَحَبُّ لِبْنَانٍ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ، وَرَأَى خِلَاصَهُ بِالتَّكَاتُفِ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، لَا بِالثَّلَاثِينَ
مِنَ الْفُضَّةِ، وَلَا بِالمُؤَامِرَاتِ الَّتِي تَسْتَهْدَفُ حَدُودَهُ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمس، ص ٧٦، ٧٧، ٧٨.

ألفاه بالوحدة والدِّفاع عنه، وتألّف الأفنْدَة وتوحيدِ الرأي والكلمة. وفي
 اللَّيالي الطّاخية، تُشرقُ كلماتُ ريمون عازار لتضيءَ ظلامَ الصّحارى،
 وتبدّدُ المخاوف، ثمَّ يُرسلُ المحبّة لتُعلنَ الحرّيّة التي لا يقبلُ إلّاها الوطن.
 كما أنّه يشيرُ إلى إسقاطِ الفتنِ بالحبِّ، وإسقاطِ الحروبِ بالحرفِ،
 وتضميدِ الجراحِ بالإبداعِ والنّورِ، وكسرِ القلمِ الحرِّ بالانتفاضة، وبَعثِ
 التاريخِ بولادةٍ سرمدية.

أما رأيتَ معي الفجرَ الآتي؟

ينقلُهُ على طرفِ اليراعة والسّواعدِ والبطولاتِ، ورشُّ الكرامة طيبًا،
 وحضارة تتسنّمُ الدّنيا والمياسمَ، وصنّاجات للنصرِ تتفخُّها النخوةُ
 والشجاعةُ في عمقِ الدروب؛ يقولُ في قصيدة حرف وحرب:

يَهْدِمُ المَدْفَعُ قَصْرًا
 فَتَعْلِي لِلْحَضَارَاتِ قُصُورًا
 تُوْغِلُ الحَرْبُ بَلْبَنَانَ جِرَاحًا
 فَتَحِيلُ الجُرْحَ
 إِبْدَاعًا وَنُورًا

قُلْ لَشَعْبِ
 يُسْقِطُ الْفِتْنَةَ بِالْحُبِّ
 وَبِالْحَرْفِ الحُرُوبًا

يَكْسِرُونَ الْقَلَمَ الْحُرَّ
فَيَأْبَى الْقَلَمُ الْحُرُّ السُّكُوتَ
قُلْ لَهُ - وَلْيَفْتَحِ الزَّهْرُ الدُّرُوبَا -
أَنْتَ شَعْبٌ
وُلِدَ التَّارِيخُ فِيهِ
سَرْمَدِيٌّ
لَا يَمُوتُ^١

عاشقُ الوطن

إنَّه ينفخُ بوقَ البطولةِ، والبقاءِ، وجذوةَ العنفوانِ، وبشارةَ النصرِ وقيامَةِ
لبنانِ التَّارِيخِ الذي لا يموتُ.
وَمِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَتَّيْرُ الْإِنْتِبَاهَ، أَنَّهُ يُعَبِّرُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمَوَاطِنِ
تَعْبِيرًا مُبَاشِرًا، بَلْ إِنَّهُ يُلْجَأُ إِلَى الرَّمْزِ وَالتَّارِيخِ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ التَّارِيخَ
وَلِبْنَانَ تَوَاقُنَ، وَعَلَى رَغْمِ الْإِسْتِطْرَادِ أحيانًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْقِدِ الْوُضُوحَ،
كَأُولَئِكَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ وَرَاءَهُمْ قَضِيَّةٌ يَعْمَلُونَ لِأَجْلِهَا، وَلَعَلَّهَا الْقَضِيَّةُ
الْمُرْتَبِطَةُ بِالْجَمَاهِيرِ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشَّمْسِ، ص ٨٣، ٨٤.

شِعْرُهُ الوطنيُّ ينفردُ بالدِّقَّةِ.

وَإِذَا لَمَحْنَا رَمُوزًا فِي السِّيَاقِ، فَإِنَّهُ يَسْتَخْدِمُهَا فِي الْمَجَالَاتِ الْفَنِيَّةِ
وَالوِجْدَانِيَّةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يُلْجَأَ إِلَى مَطَارِحٍ مَعْتَمَةٍ وَقَاتِمَةٍ، عَلَى أَنْ غَايَتُهُ
الْفَهْمُ وَالتَّأْثِيرُ.

الشاعرُ ريمون عازار.

هَمُّهُ أَنْ يَبْقَى لِبْنَانُ دَرَّةَ الْعَالَمِ، وَشَعْبُهُ سَالِمًا.

لِذَلِكَ فَهُوَ يَكْرِسُ الْحُرِّيَّةَ وَيَقْدِّسُهَا، وَيُؤْمِنُ بِالْأَرْضِ وَالْإِنْسَانِ وَيَعْتَبِرُهُمَا
مَحَوْرَ كُلِّ شَيْءٍ.

أَنَا لَا أَقُولُ إِنَّهُ صُوفِيٌّ، كَشُعْرَاءِ الْأَرْضِ الْمَفْقُودَةِ، الْمَسْلُوبَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ
يَعِيشُ التَّجَرُّبَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالْوَطَنِيَّةَ الَّتِي عَاشَهَا شَاعِرُ فِلَسْطِينَ مُحَمَّدُ
دُرُويش، وَالَّتِي حَدَّدَهَا الشَّاعِرُ جُورْجُ غَانِمُ.

فِي أَيِّ حَالٍ، هُوَ شَاعِرٌ عَاشِقٌ لَوْطَنِهِ.

مَتَأَثَّرٌ بِمَا يَحْدَقُ بِهِ، مِنْ هُنَا تَحَدَّثَ عَنْ هَدْمِ الْمَدْفَعِ لِلْقُصُورِ، وَأَعَادَ
لِلأَذْهَانِ حَضَارَةَ وَطَنِنَا، وَالرَّيْشَةَ الْوَلُوعِ بِالْحَرْفِ وَالتَّارِيخِ. وَعِنْدَمَا شَعَرَ
بِالْمَأْسَاءِ تَدْنُو، وَالْمُؤَامَرَةَ تَقْتَرِبُ، أَطْلَقَ شِعْرًا يُلَامِسُ الْوِجْدَانَ وَالْعَقْلَ
وَالضَّمِيرَ، وَقَدْ هَالَهُ الْعَنْفُ وَالْقَسْوَةُ، فَرَفَضَتْ مُشَاعِرُهُ الْوِيلَاتِ.

فَرُؤْيِيَّتُهُ الْوِجْدَانِيَّةُ، تَجَسَّدَتْ فِي مَحَبَّتِهِ لَوْطَنِهِ، فَكَادَتْ تَكُونُ هَذِهِ الْوِجْدَانِيَّةُ
كَامِلَةً فِي أَعْمَاقِهِ.

رؤيتُهُ نقلها على جدرانِ الوطنِ.
عاطفتُهُ تعمقُ، إزاءَ خنجرٍ يُغمَدُ في جسمِ لبنان:

ماذا فعلتَ بِموطني...
ماذا جنيتَ ونَجَّيتَني
إن كنتَ تشهدُ للمسيحِ
أو كنتَ تهتِفُ في المدى
اللهُ أَكْبَرُ
ومَراحِمُ الأديانِ تتشرُّها
على لبنانِ خنجرٌ^١

كلمةٌ ماذا، تحملُ الكثيرَ مِنَ المعاني.
فيها العاطفةُ، والإنسانيةُ والأخلاقُ.
فيها الشؤونُ المرتبطةُ بالقضيةِ اللَّبنانيَّةِ، التي تكتنفُ حياته كلَّ لحظة.
كما أنَّ هذا الواقعَ يرتبطُ بكلِّ خلجةٍ من خلجاتِ ذاته، كمن يسألُ عن
جرحٍ لا يُساومُ عليه، ولا يُقترَعُ على مقتنياته، فلذلك كلُّ ما يحيطُ به لا
يُقلُّ مِنَ الارتباطِ بالكيانِ والحريةِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٨٥.

وأحياناً يمزجُ بين الحبيبة ولبنان، ويجعلُ منهما شأنًا تتلاعبُ بهما العاطفة، يقول:

أُحِبُّكَ

مِنْ شَذَا لِبْنَانَ حُبِّي^١

هكذا يقوده الحديثُ إلى لبنان، فالعاطفةُ تتواصلُ بطريقةً فنيّةً، إلى درجةٍ عاليةٍ في إطارٍ من المشاعرِ العميقةِ المرهفةِ. فعاطفةُ الحبِّ إلى محبوبته، هي نفسها عاطفةُ الحبِّ إلى الأرضِ المجرّوحةِ المضروبةِ بخنجرٍ، الأرضِ التي شهدَ لها المسيحُ، والمآذنُ التي رَفَعَتْ لها كلمةَ الله.

قصائدهُ في هذا المجالِ، ليست وليدةَ التأملِ، أو الصدفةِ، فهو شاعرٌ له علاقةٌ مباشرةٌ بالناسِ، ومحامٍ عن الناسِ، لا الشرِّكاتِ، تشغلهُ قضايا الجماعة، وهو على علمٍ مُسبقٍ بأنَّ الكلمةَ لا قيمةَ لها، إذا لم تكن مصباحًا كاشفًا للظلام، ونبضًا صادقًا يحرِّكُ المحبّةَ، التي تطولُ الوطنَ والشَّعبَ، والآفاقَ الواسعةَ التي تطلُّ على ثورةِ الإصلاحِ ضدَّ الاستغلالِ، ودروبِ الحقِّ، في وطنٍ مذبوحٍ، النَّاسُ فيه صُمٌّ، والكفرُ مستبدٌّ به، والإيمانُ في غيابٍ مطلقٍ.

يقول:

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ١٩.

هَلْ صَارَ يَصْرَعُنَا الإلهُ
على دُرُوبِ الحَقِّ
في الوطنِ الجريحِ
الصَّمُّ في ساحاتنا لا يَسْمَعُونَ
والكُفْرُ يَعَصِفُ بِالْعُتَاةِ
فإنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ
مَجْدُ تَرَابِكَ
فالسَّمَاءُ هي التُّرابُ الحُرُّ
في الوطنِ الجريحِ^١

هذا الشاعرُ استطاعَ أن يأخذَ مكانَهُ وأن يكونَ نفسهُ فنيًّا وثقافيًّا بشكلٍ ممتازٍ ومتكاملٍ.

إنَّهُ وثيقُ الصِّلَةِ بالثقافتينِ الفرنسيَّةِ والعربيَّةِ، وواحدٌ مِنَ المبرِّزينِ في الأغراضِ الشعريَّةِ، ومن الكبارِ في حبِّه للبنانَ الَّذي قرَّطَهُ بقصائدٍ فيها من الريادةِ كفيًّا.

يسكنُ القصيدةَ، ويبني هياكلَ لها وأوطانًا مِنَ الشعرِ، ثمَّ يرسمُ حدودًا على الورقِ، ويبسطُ سهولًا ويرفعُ قبابًا ويشكِّلُ تضاريسَ مِنَ الحُسْنِ، أمَّا المعمراتُ فهي مِنَ النسائمِ وجوارِ الشَّمسِ والمجَرَّاتِ الضَّوئيةِ.

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمسِ، ص ٨٦.

وقد أراه معلقاً بالحصى والنثرى.

ولا يستطيع أن يفرّ من الذكريات، لأنّ وطنه أكثر من جغرافية، وتخوم،
وإنما هو كذلك حالة ذهنيّة، ومخزن للحياة الحرّة التي تقوم على العمر،
وترتكز على الزمان والمكان والكرامة والحياة التي تنطفئ شموعها.

ثمّ اشتغل كالمناضلين في ساح الشرف.

حمل لبنان في عقله وقلبه، ووطن قلمه، في تحرير القصيدة العربيّة، من
النمطيّة التقليديّة، وسعى إلى خلق توازن بين الاتجاهات، وجعل القصيدة
الوطنية في إطار الوضوح.

عهدنا بالرجل، أنّه ارتبط بالأرض والوطن حتى العبادة.

بنوه عائلة واحدة، مركزهم القلب.

على أنّ الدين، والطوائف إذا لم تجمع، فهي تفرّق وتقتل الوطن
والشعب:

عهدي أنا

لبنان أفديه

وفي الأرضين أعبده وحسبي

وبنوه، ما فرقت في الأنساب،

أجمعهم بقلبي

الدين يقتلني

إِذَا عَصَفَتْ رِيَا حُ الدِّينِ
فِي وَطَنِي وَشَعْبِي^١

شاعرُ الالتزام

الشَّعْرُ هَمْ، وبخاصَّةِ الشَّعْرِ الوطنيِّ، لَأَنَّهُ وَقَفَ التَّزَامِي، تستسيغُهُ
المشاعرُ الوطنيَّةُ، وحبُّ الأرضِ والإنسانِ، وهو أَيْضًا انبعاثُ حضاريٍّ،
وتعلُّقٌ بالكيانِ.

نزلَ عازار في وطنيَّاته إلى الأعماقِ، ولم يتوقَّفْ، بل سعى إلى إدراكِ
الحقائقِ، فرفضَ رفضًا قاطعًا الطائفيةَ، التي تُفَرِّقُ وتُبْعِدُ، فرأى الشَّعْرَ
حالاَ وحدسًا ورؤيا، من هنا وَجَدَهُ نقطةَ ارتكازٍ على الإصلاحِ، والقيمِ
والأخلاقِ، والصِّراعِ في واقعِ الحيويَّةِ، والتقلُّباتِ المتطوِّرةِ. وفي مطلقِ
الأحيانِ رؤياه تستكنُّه محطاتُ التجربة المدفوعة بالشعورِ الذي يفرضُهُ
القريضُ على كثيرٍ من المستوياتِ.

صوَّرَ دائرةَ الشَّكْلِ النمطيِّ التقريريِّ، واستطاعَ أن يُعْطِيَ مجسَّمًا يرمزُ
إلى تجاربِ الإنسانِ التائه في وطنه، ثمَّ استمدَّ أخيلةً فيها من الواقعِ،
وصورًا مكثِّفةً مواءمةً تحملُ أصواتًا، تعمِّقُ التجربة الإنسانية في دوامةٍ

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشمس، ص ٨٦، ٨٧.

السَّام، وهذه الأمور لا يراها إلاَّ الشَّاعرُ الحياديُّ عبر توحِّده وتوَهِّجه وانطلاقه، وعبر حدسه واستغواره، وعبر تطلُّعاته، وهذا ما كان يترأى لنا، من خلال إصدارات ريمون عازار الشعرية، ودواوينه الأربعة.

شعرُ ريمون عازار، يستمدُّ قُوَّتَهُ من محابر رؤياه، ومن حقبات عمره، حيثُ يتحرَّى الأشياء بذاته في وجوه مختلفة، بأمرٍ من الفكر، ووقع الثقافة، وإدراك المستويات، ومن ثمَّ يتعاملُ مع الثوابت والحقائق التي تمتدُّ من ذاتيتها لتعانق تجربة الكائنات البشرية العامة في الحياة.

فالشَّاعرُ هذا، لا يعتبرُ الشعرَ مجردَ كلامٍ، وإنما هو مرتبطٌ بالإنسان ومحيطه، وفاعلٌ بالضرورة، وهو موثوقٌ بالإرادة، والكرامة.

أمَّا مسألة وحدة القصيدة العضوية، فيمكنُ تفسيرها بمعزلٍ عن الرَّموز التي تهلكُ الأبيات، فالشاعر عازار كان بناءً ناجحاً، وهذا "المعمرجي العنيطوري" يمتازُ بشخصيةٍ قوامها الثقة والإقناع والقدوة في التعاطي، أمَّا البناءُ الجيدُ فيقومُ على الأصول والأضلاع المتساوية المتجهة دائماً نحو المجراتِ الضوئيةِ وأشعةِ الشمسِ، وكلُّ ما نقصدهُ تركيبَ الكلمات، التي أخذت منحنىً هندسياً متماسكاً، عرَفه في يفاعته وفي مُطلِّ الشباب.

والملفتُ أنَّه مؤمنٌ بشكلٍ لا يقبلُ الشكَّ، باللهِ ووطنه، وانفتاحه على الصليب والهلال، همُّهُ أن يكونَ لبنانُ وطنَ الفرد، موحدَ الأجزاء والأطراف.

اقرأ:

ما هَمَّني
إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ
أَنَّ رَبَّكَ بَيْتُهُ صَوَّبَ الْجَنُوبِ
أَوْ كُنْتُ تُؤْمِنُ
أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ
فِي الْغَرْبِ الرَّحِيبِ
فَأَنَا هُنَا

وطني لقاءُ الله والإنسانِ يَبْقَى
فِي الْهَالِ وَفِي الصَّلِيبِ
ويشوقُني
أَنْ يَسْتَعِيدَ الشَّمْسَ لِبْنَانِي
وَأَنْ يَبْقَى جَنُوبِي^١

الاهتمامُ بالحياةِ الوطنيَّةِ مِنْ شَأْنِ المحامي، ورجلِ القانونِ، وهذا الاهتمامُ
امتدادٌ بالمسيرةِ الثقافيَّةِ والفكريَّةِ، وهذا واقعٌ علمناه عن قربٍ في مختلفِ
أقطارِ العالمِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٨٧، ٨٨.

وقصائدُ ريمون عازار، تؤلَّفُ إحدى محطاتِ تفكيرِه في رحابِ الوطنِ
اللُّبْنانيِّ، ويبدو أنَّها محصَّلةُ التفاعلِ الطويلِ، في ذاتِه، فنراه يُحاكي
المرئياتِ والواقعَ، والشَّهيدَ، ويستتطقُ التاريخَ من جوانبِه كافَّةً، ولا سيَّما
الأرضَ التي مزَّقتها الأحقادُ، والوطنَ الذي هسَّمتهُ القبائلُ، وتحكَّمتْ به
العبيدُ أعداءُ الحرِّيَّة، الذين أثاروا الحروبَ على ترابِه وثرَاه. يقولُ في
قصيدةٍ "مع الفجر يعودُ الشهداء":

أحسُّ الأرضَ في وطني

تميدُ

تمزَّقهُ القبائلُ

والعبيدُ

يُثيرُونَ الحروبَ على ترابي

فلا أفنى

ويغمرُني الخلودُ

تهدِّمُني القذائفُ^١

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٩١.

الشَّهيدُ مع هذا الشاعرِ عنوانُ نضالٍ وعنفوانٍ وإِباءٍ، مثلُ هذه الخطوطِ
والعناوينِ، تثبَّتْ عُمقُ تجذُّرِهِ في أرضِ لبنانِ الحضارةِ والتراثِ، وتعيذُ
إلى الأذهانِ أحداثَ الماضي.

ريمون عازار،

منذُ نعومةِ أظفارِهِ، كان توجُّهُهُ الوطنيَّ يدعو إلى توحيدِ الوطنِ،
والتركيزِ على إبرازِ المُثلِ الرئيسةِ التي تجمعُ أهلَ الوطنِ لا التفرقةَ،
والمقوِّماتِ لمفهومٍ واحدٍ، وتقديسِ دمِ الشهيدِ، ومعالجةِ الهمومِ التي تنتابُ
النفوسَ، من دونِ أن ينسى قيمةَ شدِّ أو اصرِ أبناءِ الأرضِ الواحدةِ.
ومحاولةُ توظيفِ الشعرِ، في المصَبِّ الوطنيِّ والاجتماعيِّ، بدأها عازار
في حلقةِ الثَّريَّا، ومجلسِ المتن الشمالي للثقافة، ووزَّعها خلالَ
المحاضراتِ والأمسياتِ، التي كانت تجتذبُ العديدَ من السَّامعينَ
والمحاورينَ، ورجالِ الثقافةِ وغيرهم.
فهو لا يبالي بحالِهِ، عاشَ أو بقيَ حيًّا، ألْهمُ أن يزودَ عن الدِّيارِ، أمَّا
الشهادةُ في سبيلِ وطنِهِ، فهي مجدٌّ، وإن بقيَ حيًّا، فنعمَ حياةُ الشهيدِ:

... لا أبالي

تَقَطَّعْني السُّيُوفُ

ولا أَحيدُ

أزودُ

فَإِنْ قَضَيْتُ فَذَاكَ مَجْدِي
وَإِنْ أَحْيَا
أَنَا الْحَيُّ الشَّهِيدُ^١

وفي قصيدة "مع الفجر يعودُ الشهداء"، نزعة تقمّصيّة، وكذلك في "عودة الفينيق".

وهناك حلولٌ كبرى وفكروية، تشعُّ منها خيوطٌ بعيدة، لعلّها خيوطٌ إيديولوجيّة، أو مناهجٌ كليّة تَضَعُ التحركَ الإنسانيّ في نمطِ الاستشراقِ المنتظر. يقولُ:

إِذَا أَحْرَقْتُمْ جَسَدِي وَأَرْضِي
فَمَنْ خَلَلَ الرَّمَادِ
يَشْعُ وَمُضِي
وَيَبْقَى الْحَقُّ يَعْصِمُنِي
وَنَبْضِي
وَيُشْرِقُ مِنْ دَمِي
فَجَرٌّ جَدِيدُ^٢

١ - ديوان، أجنحةٌ إلى الشّمس، ص ٩٢.

٢ - المصدر نفسه، ص ٩٢، ٩٣.

وفي دواوينه المنشورة، تناولُ لمواضيعَ حيائيَّة، تدخلُ في صميم الاهتماماتِ الوطنيَّة، وفي هذا عمَلتْ عملُها رسالةُ المحاماة، فأنكرَ ما لا يحلُّ، وطالبَ بالمنطق، وهذا حاله في كلِّ محاضراته وأمسياته النثرية والشعرية، فلفتَ الكثيرين بحجته ومكانته الأدبيَّة، ممَّا دفعني لأدوِّن ما ردَّده الأب سمعان بطيش لمناسبة تكريم الشَّاعر ريمون عازار في دار نعمان للثقافة - جونية - قال:

تصغى إليك النِّيَّراتُ فتطربُ
وتعبُ من خمِرِ البيانِ وتشربُ
خلَّ البلابلَ في الرِّياضِ وشدوها
واصدَحَ بشِعرِكَ، إنَّ شِعرَكَ أعذبُ
وتودُّ لو كانتْ قوافيكَ التي
تسبي عقولَ الملهمين وتخلبُ

ولا نحسبنا بحاجةٍ إلى الإشارةِ للأبعادِ الوطنيَّةِ أكثرَ ممَّا قدَّمنا، لأنَّ مواقفَ الشَّاعر ريمون عازار بالغة المرونة والشجاعة والمعرفة.

١- هذه الأبيات ردَّدها الأب سمعان بطيش ليلة كُرِّمَ الشَّاعر الكبير ريمون عازار الواقع فيها ٢١/١/٢٠٠٩، ونالَ شهادة تكريم وفاءً لعطاءه الشعري، وأطلقتُ عليه لقبَ شاعرِ المَجَرَّاتِ الضَّوئية.

وَلَكَمْ شَدَّدَ عَلَى تَغْلِيْبِ الْاَعْتِبَارِ الْوِطْنِيِّ، وَإِزَالَةِ الْعُقَبَاتِ أَمَامَ مَسِيرَةِ الْوِطْنِ. ثُمَّ زَادَ طَرْحَهَا بَحْدَةَ الْمُؤْمِنِ بِالْأَرْضِ وَالْكِيانِ، وَبِخَاصَّةٍ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْبَحْثِ عَنِ الْمَخَارِجِ وَالْخِلَاصِ مِنَ الصَّرَاعِ وَالْفَوْضَى، وَكُلِّ مَا يَفْرُقُ بَيْنَ اللَّبْنَانِيِّينَ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، أَذْكَرُ أَنَّ أَبَا رَبِيعَ، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ كَثِيرًا، لَا تَتَعَارَضُ مَفَاهِيمُهُ مَعَ الْأَدْيَانِ، وَقَدْ جَمَعَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً الْهَلَالَ بِالصَّلِيبِ، وَالْكَنَائِسَ بِالْمَآذِنِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْدِّينَ الْمَسِيحِيَّ لَا يَعْرِفَانِ الطَّبَقِيَّةَ، وَالْفَوَارِقَ. وَثَمَّةُ شَوَاهِدُ وَمَقَالَاتٍ نَشَرَهَا، تَبَيَّنُ أَنَّ الرُّؤْيَا السِّيَاسِيَّةَ وَالْوَطَنِيَّةَ تَحْدِيدًا، تَقِفُ فِي قَلْبِ اِهْتِمَامَاتِ شَاعِرِنَا هَذَا، وَتَشْكُلُ حَجَرَ الزَّوَايَةِ، وَالْمَدْمَاكَ الْأَسَاسَ فِي أَعْمَالِهِ الْفِكْرِيَّةِ، وَمَجَالَاتِ الْكِتَابَةِ، وَالْعِلْمِ الْوَاسِعِ. عَلَى أَنَّنا نَنُوءُ بِالرُّوحِ الْمُنْفَتِحِ عَلَى كُلِّ الثَّقَافَاتِ، وَمَجْمُوعِ الْإِيدِيُولُوجِيَّاتِ، وَهَنَا أَحْصَرُ عَمَلَهُ بِالْكَشْفِ عَنِ التَّرَاثِ الْوِطْنِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ التَّرَاثِ اللَّغَوِيِّ وَالْمَعْجَمِيِّ الْفِكْرِيِّ.

ريمون عازار شاعرُ المواقف والمنابر

خُلِقَ ليقفَ على المنابرِ وقصورِ العدلِ، يَشْدُو مغنّيًا الإنسانَ والأرضَ،
ويُلقي على الأسماعِ من ثروتهِ التي لا تُبَدَّدُ، وهو الَّذي فرّقَ بينَ الغنى
والمادّةِ، فجمعَ مِنَ الأوّلِ، ولم يكثرثْ لغيرهِ حتّى لا يفرطَ بسمعتهِ، أو
يطولها حساب.

إنّه أميرُ خلقٍ، وحسبُهُ الصّيّت والمحتدّ والشعرُ، والجبين العالي، والقول
الجريء، أمّا كلامُهُ فمضمونُ البقاءِ والتداولِ، لأنّ في أعماقه من جزيلِ
العوارفِ والترنّحِ الهادئ.

الشاعرُ ريمون عازار،

وُجِدَ ليكونَ بينَ الرّجالِ الذينَ اتّوا ليُثبِتوا للملأِ المناقبِيّةَ العاليةَ والأخلاقَ
التي سلّطَ عليها من نورِ قلبه.
أحبّ النَّاسَ فبادلوه المحبّةَ.

كتبَ عنهم، وأنشدَ فوقَ المنابرِ، فردّوا عليه بالإكبارِ، وبالشجورِ المحبّبِ،
والرّغبةِ المُستجابةِ، أمّا المُضافُ إلى ذلك، فهو بذلُ العيونِ، والغبُّ من
معينِ التراثِ.

إذا قامَ للشّعرِ، أعطى المجدَ للكلمةِ والتّفعيلةِ والقافيةِ، وهو يعرفُ أنّ
المنبرَ من أبعادهِ وأهدافه، الفصاحةُ، والقولُ المُصفّى، ولا سبيلَ لآخذ.

وإذا نهضَ للنثر، غمَّسَ قلمَهُ بماءِ المآقي، وآثَرَ أن يكونَ المثالَ في طَرَحِ الأحكامِ، ولم ينسَ في ذلكَ ما علَّمَتْهُ المحاماةُ من حقٍّ، وتعمَّقِ بجِدَّةِ الرسالةِ وصمتِ المكتفي، ومجاورةِ الضميرِ، وترجيحِ الخيرِ. لقد أقسمَ أن يكونَ لمواقفهِ الشعريةِ والمنبريةِ هزّةً، فكانتْ له وقفاتٌ عزٌّ غيرَ عاديةٍ، تُرفِدهُ ثقافةٌ مصهورةٌ على لَهَبِ الكلامِ الواعي. أو يسألُ بعدُ عن نجاحه؟

يحرِّقُ من صبرِهِ وجهِهِ، ويُداري الكلمةَ بالحُسنَى حتَّى يفيضَ أَفْقالُ الرّصدِ عن بابِها المختومِ، ويتعبُ أسلاكَ عينيه ليضيءَ للقصيدةِ حتَّى تعبرَ بسلامٍ، فإذا لقوله قلائدٌ ومعادنٌ من مقالعِ النّورِ والمجراتِ الضوئيةِ، وفضائلِ حجارتهَا من الدّررِ المشعّةِ والمُناخاتِ الرخيّةِ.

قصائدهُ المنبريةُ تسنمتُ ذرّوةَ الأنّاقةِ.

الله! ما أنبلُهُ في التعاطي، فوقَ الخشباتِ الضّاجّةِ بالقولِ المنعمِ. على أنّ الملفتَ رباطةُ الجأشِ والمنطقِ، ولا عجبَ، فهو المحامي العظيم الذي شهدتْ له أعمدةُ وقصورِ العدلِ بالانضباطِ، وفقهِ القانونِ، ونقاءِ الأحكامِ ينخلُّها الفكرُ الصّافي والبيانُ الشفيفُ والوقعُ الصّائبُ.

قصيدتهُ كان يرى فواصلها في الكنيسةِ.

كان يراها في عينِ المحكومِ.

يراها في جارةِ الشّمسِ.

يَراها في قِسماتِ شاعرٍ أو كاتبٍ أو في إنسانٍ يستحقُّ أن يُقالَ فيه قصيدةٌ أو مقالةٌ.

وعندما يشعُرُ بولادةِ الأثرِ الأدبيِّ، يلجأُ إلى بستانِ الخليل، فإذا القوافي في منتهى الحضورِ، وقد أخالهُ ما نظمَ إلّا وهو في نفسٍ ترَضَى عن الذي يُقالُ فيه.

ففي اليومِ الذي رَحَلَ فيه الفنّانُ الكبيرُ منصورُ الرّحبانيّ التقيتُ الشاعرَ ريمونَ عازارَ في أنطلياس والدّمْعةُ في عينيه، تبادلُها الدّمْعةُ حزنًا على سيّدٍ هو فوقَ الإبداعِ، غنى الشّرقَ ولبنانَ، فقال لي: "خلقت القصيدة"، وفعلاً كانتِ القصيدةُ من عيونِ الشّعْرِ.

يوزّعُ على النّاسِ الإرنانَ العذبَ والديباجةَ الدّالةَ على رصانةِ الوثائقِ من عمله، والشّعْرِ الأصوليِّ، المتجاوبِ مع الأسماعِ، والبهاءِ العدنيِّ. هذا الذي عينٌ له على الشّمسِ، وعينٌ على الشّعْرِ، له انبساطٌ يدعو إلى تكامليةِ الرّؤى، وقد نادى بالغنائيةِ، فولّجتُ مشغلَهُ، ومن هناك تعافى على النّوالِ المنضبطِ في بسطِ العارفِ والقادرِ على دخولِ هيكلِ الشّعْرِ. فالطّرفُ على الخزّ والمطارفِ أمّا المنظومُ فقد اختير من اللؤلؤ.

ريمون عازار.

تجاوزَ بسهولةِ صعوبةِ المحتملِ، ولم يخفِ الطّوافَ في الآفاقِ، بل قصدها، ومن دونِ تردّدٍ جاورَ الأجوازَ على لذّةِ الواصلِ بارتياحٍ، وعلى القادرِ المقتحمِ في فرحِ القاطفِ من الكواكبِ.

في وقوفه على المنابر، تعادلَ الجمالُ على يديه، وغدتِ البلاغةُ من أسرارِهِ أيضاً، ثم أدركَ ضرورةَ الانفلاتِ والصدقيّةِ وهو في موضعِ الحُكم، والبُعدِ عن الجُمودِ والتزمّت، ولعلَّ في ذلكَ ما يسبغُ الدقّةَ إلى جانبِ المتعةِ على جوانبِ أدبه.

لِمَ وقف؟

لأنّه تعشّقَ الأدبَ والشّعَرَ والنّقْدَ والكلمةَ بشكلٍ عامٍّ، وقد أخذَ في عنايته أصحابَ الفكرِ والشّعراء.

ولِمَ نجحَ على أعوادِ المنابرِ؟

لأنّه من المتّقينَ الكبارِ، الذين عرّفوا أصحابَ الرأيِ الحرِّ، والفكرِ القدوةِ في الغربِ والشرقِ، وبدأ ذلكَ مع تطلّعاتِ اليازجيينَ والبستانيّينَ وأبناءِ الشرتوني، وفرح أنطون، وفي الجانبِ الآخرِ فولتير، وروسو، ورينان ونيتشه وغيرهم، من الذين قرأنا لهم، هؤلاء جاؤوا خفافاً من رواسبِ التقليدِ، وثقالاً في عرَضِ نتاجهم الجديد.

هذا المتقلّتُ من القديمِ، أخذَ مقياساً له أديبُ إسحق وحافظ ابراهيم وأحمد فارس الشدياق بمطارحاتِهِ، فقد أقبلَ يكملُ ثورتهِ ناقداً ومقرّظاً أمامَ الناسِ. على أنّه اختلاطٌ يُرضي الأذواقَ الأدبيّةَ، وقد يقاربُ في هذا المجالِ الأديبَ الكبيرَ مارون عبود، حيثُ الواقعيّةُ من دونِ احتمالِ تفريقٍ.

إنَّه قارئٌ ولا جدال.

لاحقَ الحركاتِ الأدبيَّةَ المعاصرةَ بتؤدَّةٍ، وأعطى رأيه في مناسباتٍ كثيرةٍ، وأبدى ملاحظاتٍ تمثِّلُ الموضوعيَّةَ والدقَّةَ في ما كُتِبَ في إطارٍ من الصِّراحةِ الممتعةِ، وبَنى نقدَهُ على محكِّ الذَّوقِ وعدمِ التجنِّي، أمَّا المحبَّةُ فقد غلبتِ الأهواءَ الشخصيَّةَ، لأنَّ الأنانيَّةَ ليست من طبعه، والحدِّ ليس من خمائره، من هنا نجحتِ المواقفُ والحديثُ عن الأثرِ الذي يتناولُهُ فوقَ المنابرِ.

ريمون عازار،

على لسانه تقوَّمتِ العباراتُ أباريقُ ملأى بالطَّيبِ، وحقاقَ عطرٍ من أريجِ جارةِ الشَّمسِ، وعبقِ الصَّنوبرِ الممتنيِّ.
فهو من السَّجِّيَّةِ المنطلقةِ على انتباهِ.

القريبُ من الآخرين

ما بَعْدَ يومًا عن أَحَبَّائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْرَابِهِ، وما أَهْمَلَ نَوَازِعَ قَوْمِهِ وَأَدَبَ وَطْنِهِ، ولا تَغَاضَى عن قَضَايَا تَهْمُ النَّاسِ، بل كان على اتِّصالٍ بعارفيه، مترفعًا عن الابتذالِ، فإذا طَرَحَهُ لِلشُّوْنِ شَهادَةُ حقٍّ بِالْأَدَبِ والشُّعْرِ والشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ.

وها شاعرُنَا يقفُ ليلقيَ في خَلَدِنَا وَخَلَدِ الرَّئِيسِ الدُّكْتُورِ غَالِبِ غَانِمٍ، كَلِمَةً
الإِعْجَابِ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ الشَّائِعِ وَالْأَصِيلِ، وَقَدْ أَجْرَى عَلَى قَوَافِيهِ مَدَدًا
وَفِيرًا مِنْ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْقَانُونِ وَسِوَى ذَلِكَ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ يَتَوَجَّحُ
الكَلِمَةُ وَالْعَدَالَةُ:

الْحَقُّ نَحْنُ، وَنَحْنُ السَّيْفُ وَالْغَضَبُ
إِنْ مُسَّتِ الْأَرْضُ، أَوْ إِنْ مُسَّتِ الْكُتُبُ

... سَيْفُ الْمُحَامِلِينَ أَقْلَامُ مَسْنَنَةٍ
وَصَرْخَةُ تَوْقُظِ الدُّنْيَا فَتَقْلَبُ

... إِنَّ الْعَدَالََةَ بَعْضُ مَنْ تَأْتُنَا
وَالشَّرُّ بَعْضُ مَنْ أَلْقَا النُّجُبُ

... إِنْ شِئْتَ تَدْفَعُ عَنْ قَوْمِ ظِلَامَتِهِمْ
بِالنَّصِّ نَدْلِي، وَبِالْقَانُونِ نَعْتَصِبُ

... وَيَهْتَفُ الدَّهْرُ مِنْ مُحَرَّابِ هَيْكَلِهِ
أَنْ شِئْنَا الشُّعْرُ، أَنْ آدَابُنَا الْأَدَبُ.

مَنْ، وَيَغْدُونَ مِنْ أَنْصَافِ آلِهَةٍ
يُسْتَنْزَلُ الْعَدْلُ، إِنْ أَقْوَسَ لَهُمْ نَصَبُوا

تُبْنِي المَدَائِنُ إِن سَالَتْ يَرَاعَتُهُمْ
وَتَرْجِعُ الْأَرْضُ غَابَاتٍ إِذَا ذَهَبُوا

... أَهْلُ الْقَضَاءِ، وَنَحْنُ: الدَّارُ وَاحِدَةٌ
نَأْتِي وَيَأْتُونَ، مَا غَبْنَا وَمَا اغْتَرَبُوا

يَمْشِي إِلَيْهِمْ فَتَانَا "غَالِبٌ" شَغْفًا
وَيَغْنَمُ الْمَجْدُ، إِنَّ الْمَجْدَ يُغْتَصَبُ

... عِلْمٌ وَخَلْقٌ وَحِزْمٌ فِي تَوَاضِعِهِ
وَفَوْقَ صِنْنٍ أَنْفٌ دُونَهُ السُّحْبُ.

تَتَوَعَّ الوَهْجُ، خِذْ مِنْ وَمُضِيهِ قَبَسًا
فَقَهَّهَا وَنَقَدًا وَآدَابًا بِهَا الْأَرْبُ

... هَزَّ الْمَنَابِرَ حَتَّى قَالَ مَنْ سَمِعُوا:
فَلْيَقْتَفِ الدَّرَبَ مَنْ خَطَّوَا وَمَنْ خَطَّبُوا.

كَتَابُكَ الْفَذُّ فِي الْإِبْدَاعِ مَعْتَصِمٌ
عَزَّ الْأَصِيلُ، وَهَانَ الشَّائِعُ الذَّرْبُ

... زانَ الكلامَ، وقالَ الفصلَ في زَمَنِ

توزَّعَ الدُّجْلُ والإعْجامُ والرُّغْبُ

لا لَن نُرِيحَكَ، فَالتَّكْرِيمُ مُنْطَلَقٌ

لا يَسْتَوِي المَجْدُ حتَّى يكثرَ الطَّلَبُ.

يا "حكمة" الضَّادِ عادَ الأَمْسُ ملْعَبًا

نَسَعَى إِلَيْكَ مَتَى الأَنْوارُ تَصْطَخِبُ

كم "غالب" مِنْكَ يا أُمِّي وكم رُسُلٌ

صانوا الحَقِيقَةَ، ما خانوا، وما ارتكبوا

... يا حاملَ العَشْرِ من زَناتٍ "حِكمَتِه"

أُعْطِيتَ فَيضًا، ويُعْطِي بِحَرْكِ اللَّجْبِ

الرَّجُلُ بَعِيدُ المُرْتَقَى، له في الأَعْرَاقِ مَكانَةٌ ومُحتَدٌّ، أَمَّا العَنفوانُ فَعَلَى
طَرَفِ الرِّيشَةِ، وحديثِ الأَبْوَةِ.

١ - من ديوان، بين الحجرِ والسَّنابل، ص ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥.

ما أغلقَ الدُّرُوبَ على الشُّعْرِ، وما أَقْفَلَ بابًا على شاعرٍ، أو أديبٍ، وإنَّما كان للمنبرِ معه شوقِ التَّصافي، والمودَّة، ومع المكرِّمينَ حكايةَ أخوَّة، أينَ منها حكاياتُ العزِّ، ومواسمُ الخزِّ.

الشاعرُ عازار،

ما تهَيَّبَ الوقفات، وإذا أنشدَ دانَ الإبداعُ له، وكذلكِ البلاغةُ، وهل البلاغةُ غيرُ الوضوح، والملوكيَّةِ التي تأتلقُ؟ وهو، أنَّى وقفَ، ووجدَ، كانَ دومًا على مستوى احترامِ الجَمعِ والمعجبينَ.

في أيِّ حال.

نحنُ اليومَ أحوجُ الناسِ إلى الأصالةِ، وأدبِ الكبارِ أمثالِ الشاعرِ المحامي ريمون عازار، لنتزوَّدَ مِنَ الأجواءِ الصبيحةِ، بما يكفي من أسبابِ الحياةِ والوجودِ.

وعندما نغورُ إلى الأمامِ عن ظاهرِ الأمورِ، تتكشفُ لنا معاني الحياةِ والإنسانِ، والوجودِ في أدبِ عازار، فكانَ لنا منه نماذجٌ تحدِّثُ كلَّ إنسانٍ. وقد لمحناه أنَّه كانَ أكثرَ الناسِ التفاتًا إلى مختلفِ الشؤونِ الحياتيَّةِ التي تحرَّكُ المجتمعاتِ الإنسانيَّةَ، وأنَّه كانَ أكثرَ الناسِ شغفًا وإخلاصًا للآخرين، ولعلَّ هذه الميزةَ جعلته قريبًا من البشرِ، موظفًا في سبيلهم طاقاته الفكريةَ والشعريةَ والمعرفيةَ المبذولةَ في مجرى العمرِ والحياةِ.

فإنَّ وُلَّةَ غِيَابِ صَدِيقٍ، وَقَفَ مُتَأَلِّمًا، يَتَذَكَّرُ حَصَادَهُ، وَيَعِيشُ أُسِيرَ
الذِّكْرِ، وَتَفْرِيجَ الْكَرْبِ، وَمَدَى الْخَلْدِ، وَإِذَا اقْتَرَبَتْ أَكْثَرُ وَجَدَتْ
التَّفَاصِيلَ وَالْجَزْئِيَّاتِ فِي الرَّاحِلِ الْقَرِيبِ مِنْهُ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ مِنْ رَفَقَاءِ
الثَّرِيَّا، وَمَجْلَسِ الْمَتْنِ الشَّمَالِيِّ لِلتَّقَافَةِ، وَقَدْ يَأْخُذُ الْقَارِئُ مَعَهُ إِلَى رَحَابِ
الْخَلْدِ، لِيَرَى مَوْقِعَ الْمَحَامِي جُوزْفَ بَاسِيَلَا:

عَلَّيْتُ فَاسْطَطْعُ، مَدَاكَ الْحَقُّ وَالْخُلْدُ
فَإِنَّمَا الشَّمْسُ فِي الْعِلْيَاءِ تَتَقَدُّ

... هُنَاكَ صُرْتَ الْهُدَى يَنْهَلُ فِي دِيمِ
وَهَا هُنَا بِـ"شَقِيقٍ" الضَّوْءِ يُرْتَشَدُ

فَعِنْدَنَا الْأَرْضُ لَا تَنْفَكُ مُشْرِقَةً
وَعِنْدَكَ الشَّمْسُ فِي الْجَنَّاتِ تَبْتَرِدُ.

فِي "مَجْلَسِ الْمَتْنِ" كَمْ أَعْلَامُكَ ارْتَفَعَتْ
يَوْمَ الرِّئَاسَاتِ إِقْدَامٌ وَلَا عَقْدُ

... إِنَّ لَفَّاكَ الصَّمْتَ، خَلْنَا الطُّورَ مُنْخَنِيًا
وَإِنْ نَطَقْتَ، تَغَاوَى فِي الصَّدَى الْجَلْدُ

كَمْ كُنْتَ لِلْحُبِّ، وَالشَّيْمَاتِ عَالِيَةً
وَعَظُمَةُ الْأُسْدِ إِمَّا ضِيَمَتِ الْأُسْدُ

... قُلْ لِلتَّقَافَةِ، مَنْ إِلَّاكَ هَدَاهُ
حُلْمٌ كَمَا الْهَرَمُ الْعَمَلَقُ يَنْعَقِدُ

فَيَسْتَتِي الْقَلَمُ الْمَبْرِيُّ مِنْطَقًا
مَسَارُهُ الْخَلْقُ، وَالْحَرِيَّةُ الْمَدْدُ

... الضَّادُ نَحْنُ، لَهَا لَبْنَانُ مُعْتَصَمٌ
وَدُونَ لَبْنَانٍ لَا ضَادَّ وَلَا عَضَدُ.

يَا ابْنَ الْمُحَامَاةِ، كَمْ سَاعَلْتَ مُزْدَهِيًّا
أَيَذْكُرُ الْمَجْدُ كَمْ فُرْسَانُكَ أَنْفَرَدُوا

فِي الْفَقْهِ، فِي الْفِكْرِ، فِي الْإِبْدَاعِ صَوْلَتُهُمْ
وَفِي السِّيَاسَةِ سَيْلُ الرُّسُلِ يَطَّرِدُ

هُمُ الْبَطُولَاتُ، هُمْ لَبْنَانُ فِي دِمِهِمْ
هُمُ الْقِيَادَاتُ، هُمْ فِي الْهَيْكَلِ الْعُمْدُ

قصرُ العدالة، كم أَلْهَبْتَ ساحتَهُ
أَنْتَ الكميُّ العَصِيُّ الرائيُّ الغَرْدُ¹

أَحَبَّهُ النَّاسُ فتواصلوا معه، وتواصلَ معهم، يحيا حياتَهُم، ويحترمُ قضاياَهُم، ووقفتهُ تُجاهَهُم، انشدادُ الإنسانِ بأهوائِهِ، وحنينِهِ وذكرياتِهِ معهم، واعتزازه بهم، مِنْ دُونِ أَنْ ينسى التاريخَ والتراثَ وطرائقَ العيشِ والمحبةَ المتبادلة.

وقفاتُهُ المنبريَّةُ تبدَّتْ في جميعِ تجلّياتِهِ الإبداعيةِ، في الوطنِ، والوجدانِ، وشتّى الأغراضِ الشعريَّةِ.

وكلماتُ ريمون عازار، هي مِنْ تعاليمِهِ التي لَفَّها بمادَّةٍ شفافةٍ إنسانيَّةٍ لُفِحَتْ بوهجٍ نورانيٍّ، فغدَتْ على حسنٍ وجمالٍ كبيرين، وإذا الصَّورُ مُسَّتْ بروحٍ.

لم يُدركْ محتَماتِ الكائنِ البشريِّ فقط، وإنَّما أدركَ محتَماتِ الحياة، فإذا هو يطلُّ على المنابرِ بخلاصةٍ تشهدُ له بحسٍّ غنيٍّ، وقدرةٍ تغلَّبَ فيها على غيره، فإذا بين يَدَيْهِ شهادةٌ بشعرِهِ، ولا جدال.

على أَنْ شعورهُ لا يفارقهُ أبداً.

فهو يُودِعُ بعضَ خواطرِهِ وذكرياتِهِ بمن أحبَّ.

١ - ديوان، بين الحجرِ والسَّنابل، ص ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣.

وهناك وجوهٌ متعدّدةٌ تمثّلتُ في مواقفه، التي ارتفعَ فيها كسفيرٌ للكلمةِ الحرّةِ الجريئةِ، وللمحاماةِ، وأهلِ القلمِ والبلاغةِ، وفي هذا المقامِ، يذكّرنا بسعيد عقل شاعر لبنان، وديوانه "كما الأعمدة".

وهكذا تسنّم الشاعرُ عازارُ أدبَ المناسبات، ووضعهُ في أعلى مستويات الإبداع الشعريِّ، والغوصِ الفكريِّ. وحسبي أن أُشيرَ إلى قصيدته الأخيرة، لمناسبة رحيل الكبير منصور الرّحبانيِّ، حيثُ يستوقفنا، عنوانُ القصيدةِ "بالآباد يتحدُّ" فنرى نصاعةَ البيانِ والفصاحةَ، والرؤيةَ اللبّانيّةَ، وجلالَ الأهدافِ، حين يؤكّدُ على معاني مدرسةِ الأخوين عاصي ومنصور الموسيقيةَ، على الملكِ الذي راحَ يفتّشُ عن نصفه في جنانِ الخلدِ، وفي عينيه الأرزُ الذي يبكي وبعلبكُ الحزينة التي التوتُ أعمدتها حزناً على ملكها المتوجِّج، باعثةً إلى عاصي سلامَ الودِّ، ومحبةَ مدينةِ الشّمسِ، والشّدوِّ الباقي في لبنانَ والشرقِ إلى الأبدِ، تردّدُهُ هياكلُ المجدِ، والمشاعلُ، ومسارحُ الأبطالِ، والسيّوفُ، وبيارقُ العزِّ، والمكرّماتُ، ومحطّاتُ الأخوين تنقلها سفيرةُ النجومِ "فيروز" إلى قارّاتِ الأرضِ، يقولُ في قصيدةِ "بالآباد يتحدُّ":

الأرزُ يَبْكِي، ذُرَى لبنانَ تَرْتَعِدُ
وبعلبكُ التَّوَتُ مِنْ حُزْنِهَا العُمْدُ

... غَابَ الْمُتَوَجِّجُ، شَقَّ الْوَحْيُ بَرْدَتَهُ
وَأَظْلَمَ الشُّعْرُ، وَالْإِبْدَاعُ يُفْتَقَدُ.

مِنْ بَعْدِ عَاصِي جَلَا عَنْ أَرْضِنَا مَلِكُ
لَهُ النُّجُومُ عُرُوشٌ وَالْمَدَى أَبَدُ

أَدَّى الرَّسَالَةَ أَلْحَانًا مَجْنُحَةً
شَدُّوا وَشِعْرًا فَمَا مِنْ بَعْدِهِ أَحَدُ

... فَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ فِيهَا وَيُشْعِلُهَا
وَالْأَرْضُ حَزَنٌ فَلَا هَزَجٌ وَلَا رَغَدُ

يَا مَالِي الشَّرْقِ بِالْأَنْغَامِ مُذْهَلَةٌ
أَنْتَ الْيَنْابِيعُ، مِنْهَا الشَّرْقُ يَبْتَرِدُ

... ظَلَّلْتَ لِبْنَانَ بِالنُّعْمَى، تَلَوَّنَتْهُ
بِالْحُسْنِ، بِالسَّحْرِ، بِالْإِشْعَاعِ يَتَّقَدُ

تَسَاعَلَ الْكَوْنُ: هَلْ لِبْنَانُ مِنْ صُورٍ
أَمْ إِنَّ لِبْنَانَ بِالْفَرْدُوسِ يَنْفَرِدُ

... منك المشاعلُ، والأبواقُ لامعةٌ
تدورُ سابعاً، تدكُّ السُّورَ ينهمدُ

منك المسارحُ والأبطالُ زاحفةٌ
كأنّما ثورةُ الأحرارِ تتعقدُ

... بيارقُ العزِّ خفقٌ في مواكبِهِ
والمكرّماتُ حشودٌ مالها عددُ

يا أيُّهَا العُربُ أغناكم رحابُنةٌ
بالمُنجزاتِ كما لم يُغنِكم بلدُ

... تالّاتٌ مُدُنكم، فيروزُ توقظُها
بالفنِّ إنَّ يُوقظُ التاريخُ يحشُدُ

... عاصي، تسافرُ في العالي، تحاورُنا
تُوحى، فإنَّك في دُنيا الجمالِ غدُ

منصورُ منك ومنه، أنتمنا وطنُ
تُبّتُ الكيان، فلا فصلٌ ولا بُعدُ

إِنْ تَعْبُرَا الْأَفْقَ صَوَّبَ الْغَيْبِ لَا جَذْعُ
لَا تَتَطَفِّي الشَّمْسُ أَنْ فِي الْبَحْرِ تَعْتَمِدُ

مَنْ قَالَ بِالْمَوْتِ يَغْدُو الْعُمْرُ مُنْقَضِيًا
إِنَّ الْعَبَاقِرَ إِنْ مَاتُوا فَقَدْ وَلِدُوا^١

اعتمدَ مآثرَ الأشخاصِ وبخاصَّةِ أهلِ الرِّيشَةِ الولوعِ بالعطاءِ، أمَّا تباهيهِ فهو مستمرٌّ بطولِ باعِ اللَّبنانيِّينَ في مِيدانِ الأدبِ، ودليلُ هذا التباهي، بجودةِ الكتابةِ، ونظمِ الشعرِ ونورِ الفكرِ، والفطرةِ المستمَدَّةِ من جمالِ البيئَةِ.

لا يمكنُ أَنْ أَفْصَلَ مواقفَهُ المنبريَّةَ عن حسِّهِ وحبِّهِ لِلآخِرِينَ أبناءِ جلدتِهِ، وفي هذه الحالةِ يُشْبِهُ أَمِينَ نخله عندما كان يعتلي المنبرَ، فكانَ يضعُ نُصْبَ عَيْنِيهِ لِبْنَانَ وأدباءَ لِبْنَانَ، وكلَّنا قرأنا قصيدتَهُ في ذكرى أبي تمام التي جاءَ في مستهلِّها، مفاخرًا بلبنانَ الشاعرِ، وطنِ البلاغةِ، والفصاحةِ، ويغمزُ من قناةِ الشعراءِ اللَّبنانيِّينَ في سياقِ إنشاده، يقولُ:

إِفْسَحُوا فِي مَحْفَلِ الشُّعْرِ لَنَا،
نَحْنُ مِنْ لِبْنَانَ مِنْ عَلِيَا الدُّنْيَا

١ - ديوان، بين الحجرِ والسنابل، ص ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩.

جِـرَّةُ الأَرزِ، وضاحي ظُلِّهِ،
والرُّبى الخُضِرِ، ووشي المنحني

في الجمالِ الزَّهْوِ، والحقُّ الهُدَى،
مَكَّنَ اللهُ لَنَا ما مَكَّنَا.

... نحنُ في الفُصحى، رعينَا ذمَّما
وشرعنا دونها سمر القنا'

الإحساسُ المرهفُ

الشاعر ريمون عازار، هو الآخر، تدورُ تراكيبُهُ، وجمَلُهُ وأفكارُهُ، حول
الإحساسِ بالانتماءِ إلى طبيعةِ لبنان، ويعرضُ ذلكَ بصورٍ وأشكالٍ
مختلفةٍ، وهذه المشاعرُ، تبدو عنده تعبيراً مزدوجَ الدلالة، وبعدُ، لا تسَلُّ
عن وشائجِ تشدُّهِ إلى كبارٍ من عندنا، ككرم ملحم كرم، وجورج غانم،
وايليا أبي شديد وسواهم، على اختلافِ نحلهم وميولهم، على أنَّ همَّه
الارتباطُ بالثقافةِ والشعرِ.

قصائده إعلان صريح عن نفسه، فهو لبناني في تطلعاته، وأمين على تاريخ لبنان القديم والحديث، من هنا يذكر في سياق قصائده، قدموس، وأحيرام، وأمثالهما ولكنه لم يقر علناً بانتماء أولئك القدامى إلى البطن العربي، كما فعل أمين نخله والدكتور فؤاد افرام البستاني، اللذان غمزا من قناة عروبة أبناء فينيقية.

الشاعر والأديب الذي يتولاه عمره الدهر.
يتمثله معجلاً في مطاردة القدر، كأن الخلود مداه، وعالمه من ذرى
النور، على أن علاه لا تطوله سامقات.
وكرم الذي عاش على النشق الأسود، فكان غيابهُ صدمة في العالم
العربي، وضربة للأرز واليراع الذي بكاه.
صاحب الألف والقصتين، حديث أبوة على شق القلم، وحمل الكلمة التي
بمستوى الرسالة وأكثر.

يقول شاعرنا ريمون عازار في ذكرى كرم ملحم كرم، بعد مرور سنة
على وفاته:

لا تقل غاب والزمان طواه
عمره الدهر والخلود مدهاه

وذُرَاهُ فِي عَالَمِ النُّورِ فَتُحْ
أَيُّ فِكْرٍ لَمْ يَسْتَظِلَّ ذُرَاهُ.

أَيَقْظَ الشَّعْبَ صَوْتُهُ كُلَّ فَجْرٍ
وَاللَّيَالِي أَطْيَافُهَا مَا رَوَاهُ

وَتَجَلَّى فِي خِصْنِهِ عِبْقَرِيَّاهُ
وَتَسَامِي فَلا يُطَالُ عُلاهُ

... جَذَعَ الْعُرْبُ يَوْمَ قِيلَ تَوَارَى
وَشَاكَ الْأَرْزُ وَالْيَمْرُوعُ بَكَاهُ

... وَمَشَى مَوَكِبُ الْخُلُودِ يُحْيِي
عَائِدًا بِالْأَمْجَادِ مِنْ دُنْيَاهُ

يَا سِرَاجًا مَا ضَنَّ بِالزَّيْتِ نَوْرًا
فِي دُرُوبِ الْأَجْيَالِ ضَاءَ سَنَاهُ

يَا أَدِيبًا لَهُ الْمَنَابِرُ تَشْدُو
وَيُنَادِي لِبَنَانٍ فِي ذِكْرَاهُ

يسقطُ العرشُ والقصورُ ويبقى
للأديبِ الأديبِ ما قد بناهُ^١

ومما نتبينُهُ في أدبِ شاعرِ الشَّمسِ والمجراتِ عازار، الوجهَ اللَّبنانيَّ،
الذي يجمعُ الآلافَ المألوفةَ في المجتمعِ، كالقبولِ بالموتِ، والتهنئةِ
والتكريمِ وغير ذلك، ولكن جاعنا بمثل هذه الأمورِ، مضيئاً إخراجَهُ
الفنيَّ، المأخوذَ بالذوقِ، والطوافِ، بلَمْ بعضِ الوقعاتِ التي يمرُّ بها
الإنسانُ.

إنَّه في أيِّ حالٍ من أدباءِ اليواقيتِ، الذين يجمعون الياقوتةَ قربَ أختها،
ويحاولُ أن يكونَ قريباً للآخرين. وإذا كتبَ في مناسبةٍ ما، أو وقفَ على
منبرٍ ما، فيشعرُ بأنَّ واجباً يأخذهُ إلى هناك، طبعاً بعد الطلِّبِ إليه.

أمَّا التفاتُهُ فيتبدَّى بوضوحٍ صوبَ الإنسانِ، حتَّى في قوله ولقائه تراه في
قلبِ المجتمعِ والناسِ.

تراه بعلاماتٍ مميّزةٍ، بزمنٍ معيّنٍ ومكانٍ معيّنٍ، ومن هذه العلاماتِ
القصاصُ الذي تشيرُ إلى قيمِ الإنسانِ. وما أصدقَ الخواطرَ عنده إذا كانت
قريبةً من الأخلاقِ، والمتقفِ والحضاريِّ.

١ - ديوان، بين الحجرِ والسنابل، ص ٦٤، ٦٥، ٦٦.

وبعدُ، تَعَمَّدْنَا الاستشهادَ المُسهَّبَ، بنصوصٍ من الشاعرِ ريمون عازار، تمهيدًا للتدليلِ على قدرتهِ في الكتابةِ الشعريةِ، وحضورِهِ المطلوبِ على أعوادِ المنابرِ.

نجاحُهُ يتَّسِمُ ببهاءِ القولِ والصُّورِ والبلاغةِ التي أتقنها على مقاعدِ المدرسةِ، أمَّا السَّحرُ فأخاذهُ، يُقَارِبُ قدرةَ أمراءِ الكلامِ، الذين يشغلهم رونقُ الصِّياغةِ اللفظيةِ، والنُّولُ الذي ينسجُ الرائعةَ التي تختزنُ الأغوارَ المعرفيةَ، وما يضيءُ فيها من توقِّدِ الرؤيا، والرهافةِ، والمضمونِ. ففي قصيدةِ "وحده العالي يقع"، وجدنا في القصيدةِ على رغمِ المأساةِ، الرُّونقَ، وغنى المضمونِ، حيثُ كانا يدلَّانِ إلى طَرَفَيِ معادلةٍ، يمكنُ تسميتهما بهزَّةٍ الجماليا.

لقد ركَّزَ على الكثيرِ مما قلناه في قصيدةِ "وحده العالي يقع"، وذلك، لمناسبةِ اغتيالِ الشهيدِ موسى تامر:

هَلَعٌ...

وترتجفُ السَّماءُ

ولحظةُ كالسَّيفِ تُمعِنُ في الزَّمانِ

غَضَبٌ...

وتتكفئُ الشَّموسُ

وقد تخضَّبَ بالدمِّ المِهراقِ

وجه النيرانِ

ماذا؟

أزحلتُ أجهضتُ تاريخها
فكأنَّها العملاقُ يسقطُ
في بداياتِ الرّهانِ؟

موسى،

أيمكنُ أن يُسلَّ الليلُ
من غمدِ الصَّبّاحِ؟

موسى

أيمكنُ أن يراقَ الوردُ
أن تطوى الجراحُ على الجراحِ؟
أن لا تمرَّ على الضِّفافِ
ضراغمُ النّهرِ المفدّى
أن يعيثَ الباطلُ المسعورُ
بالحقِّ الصِّراحِ؟

... أيسمحُ أن يُزلزلَ قلبُ أمّك

... فليرفعوكَ

فأنتَ وحدكَ قلتَ لا

وَنَذَرْتُ زَحْلَةَ للْعُلَى والعنفوانِ
وحملتَ هَمَّ جبالِها السَّمَاءِ
هَمَّ الأَرْضِ هَمَّ السَّنْدِيانِ.
... ما هَمَّ أَنْ تَقَعَ الكواكبُ
وَحَدَهُ العَالِي يَقَعُ^١

شرفُ الشهادةِ

الشَّهِيدُ جَبَّارٌ وبطلٌ وقد يكونُ أكثرَ.
الشَّهِيدُ بغيابه يقولُ للعالمَ: أَنَا المتحدِّثُ باسمِ الحُرِّيَّةِ، والأوطانِ، من دونِ
عرقلة.
دمُهُ ووقفُهُ التي تتحدَّى الآتي من خارجِ الحدودِ، تتلو سيرتَه، ثمَّ يقترنُ
خبرُهُ بخبرِ الوطنِ والأُمَّةِ.
الشَّرِيفُ مِنَ النَّاسِ، يَتَمَنَّى أَنْ ينفذَ إلى حياةِ الشَّهِيدِ، ولكنَّ حَيَاتَه ما كانت
ملكاً له، وإنَّما هي للعامةِ، وللكيانِ، والاستقلالِ، كما أمكنةُ الصَّلَاةِ،
والمشاغُ الذي يُعطى بالعدلِ.

١ - ديوان، بين المجرّة والسنابل، ص ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣.

فذلك النظيرُ، الدكتور ألبير مخبير، الذي نُزّهَ في زمنهِ عن المبتذلاتِ، فَصَفَتْ جَوَانِيتهُ على الإخلاصِ، والحسِّ الوطنيِّ، والتضحية، وصوتِ الحقِّ، وطهارةِ الكفِّ، أمّا الجوهرُ فمن ملكاتِهِ وأحكامِهِ.

هو مِنَ الرِّجالِ الذين كانَ سعيُهُم الدائبِ توحيدَ الأهواءِ، وشدَّ الزوايا الأربعَ، ومحو التعادي والخصام.

غاب على وَجَعِ القلوبِ، هذا الذي عاصرَ الأزماتِ في ذروةِ حدِّتها، ولكن سرعانَ ما كان يجدُ الحلَّ، وإنْ تفلَّتْ من يدهِ، فكانَ يتكيَّفُ مع الواقعِ، حتَّى يحلَّ ما استعصى، أليست هذه عبقريةٌ في التعاطي والريادة؟ حَمَلَ الأعباءَ بصبرِ المؤمنِ باللهِ ولبنانَ، والأعباءُ في تلكِ الحقبةِ ليست يسيرةً، إنها من المسؤولياتِ الضخام.

تحاملَ على ذاته، ولم تغبَ عن بالهِ شهوةُ الحضورِ الفاعلِ، والدِّفاعِ عن وطنٍ تشهدُ له الدُّنيا بأسْرِها، لما يملكُ من عطاءاتِ فكريَّةٍ ومدنيَّةٍ، وبقي كما عرَفَهُ ناخبوهُ، حتَّى ثَقَلَ عليه البذلُ، فتركَ سماعتهُ أمانةً، وعينه على جراحِ لبنان.

يقولُ الشاعرُ ريمون عازار في مطوِّلةٍ "على قِمَمِ الزَّمانِ" الذي خصَّ بها الدكتور ألبير مخبير، وهو من هو في الأخلاقِ، والوطنيَّةِ، ورمزِ التحرُّرِ، والوئامِ:

ما غبت، بل ما زلت تخفق في القلوب
نهفو إليك كما العليل إلى الطبيب

تتلى مدى الأيام سفر تعب
للحق، تهدي في السلام وفي الحروب

ليظل لبنان الذي قدسنته
وطناً على قمم الزمان بلا شحوب.

حرمون مثلك شمخة علوية
وكتلجه، الشعب اصطفاك بلا عيوب

ثبتت كما صينين، رخب كالمدي
حصن إذا ما الشر أنذر بالهبوب

بالفقر تغني، بالمحبة تغتني
وغناهم مال تكدس في الجيوب.

... فالأرض واحدة، وشعبك واحد
وعليه تمطر مزنة الخير السكوب

... كم زاركَ المَرَضَى، كَأَنَّكَ مُرْسَلٌ
إِنْ مُسَّ ثَوْبُكَ جُدْتَ بِالْبُرِّ الْعَجِيبِ

... فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ بَتَّ مُطَوَّقًا
فَمَرَرْتَ تَخْفَى عَبْرَ عَتَمَاتِ الْمَغِيبِ

وَتَأْمَنَ الْإِجْمَاعُ إِلَّا وَاحِدًا...
فَالْبَدْرُ غَابَ وَضَاعَ فِي اللَّيْلِ الْقَطُوبِ

لَكِنَّمَا الْآتِي إِلَيْكَ مُعَاهِدًا
وَجِوَادُهُ التَّارِيخُ يَصْنَهُلُ فِي السُّهُوبِ:

لَبْنَانُ لِلْأَبْدَادِ يَبْقَى وَاحِدًا
حَرًّا، وَنُعْلِنُ دَوْلَةَ الْحَقِّ الْغُلُوبِ.

... أَلْبِيرُ يَا صِنُوهَ السِّيَادَةِ وَالْعُلَى
يَا رَمَزَ الْأَسْتِقْلَالِ فِي الْجَبَلِ الْمَهِيبِ

وَطَنُ الرِّسَالَةِ مَنْ مَنَّا يَمْتَلِئُهُ
إِلَّاكَ تُبْهِرُ بِالتَّأَلُّقِ وَالطُّيُوبِ

قد خلْتُ، في العلياءِ، صوتَكَ صارخاً:
لبنانُ بيتي، أرجعيني يا دُروبي

... في البرلمانِ أذودُ، ولتُصغِ الدُّنْيَى
لِلْعَدْلِ يَروِي قصَّةَ الحَقِّ السَّليبِ

... يا ساكنَ الأعلى، وقلْبُكَ ها هنا
لَتُوجِّجَ الإيمانَ بالوطنِ الحبيبِ

جاهدتَ كي تُعطَى بلادُكَ موقعاً
في الشَّمْسِ، تَلْبَسُ حلَّةَ النُّورِ القَشيبِ

قُلْ للنُّجُومِ: تَتَناثَرِي، فُتْرابُنَا
أغلى وأجملُ منك في الفَلَكِ الرَّحيبِ

المواقفُ تختلفُ باختلافِ المناسباتِ، ولكلِّ مناسبةٍ نكهتُها الخاصَّةُ،
فالقولُ في القاضي الرئيس مثلاً وهو يتسنَّمُ قوسَ العدلِ، يُشبِّهُ الكلامَ على
مصباحِ الحكمةِ التي لها الصَّلاحُ في زمنِ الفلسفةِ.

وفي هذا المجال، يرى الشاعرُ ريمون عازار، وهو المحامي الرائد، الذي كثرت مهمَّاتُه في هذا الميدان، أو لنقلُ اختارَ المحاماةَ ليشرفَ منها على ثوابتٍ وواقعاتٍ، أقلَّ ما يُقالُ فيها، إنها مدرسةُ العظائم. والمحامي الشاعر ريمون عازار، لم يبعد أبداً عن القاضي القادر، المهيأ ليحملَ كَفَّةَ ميزانِ العدلِ، وما أروعَ المختبرِ الذي يصفِي القلوبَ بحكمتهِ وجرأتهِ وهمَّتهِ الشِّمَاءَ.

ويومَ يتلاقى القاضي النَّزيه، بالمحامي الصَّادق، تبرزُ قضايا العدلِ على كثيرٍ من النباهة. واللافتُ في المحامي البليغ، أنه يخرجُ بخلاصاتٍ لها صلةٌ بالأدب، والمجتمع، وقصورِ العدلِ، والبيان، وإذا كانَ الرجلُ القانونيُّ يمتازُ بهذه المواصفاتِ، يكونَ ربحُه مضموناً بالحالاتِ كافَّةً، ويشهدُ له القاضي بذلك، سواء خسرَ الدعوى أو ربحها.

في أيِّ حالٍ.

المحاماةُ تمدُّ صاحبها بالدقَّةِ والموضوعيَّةِ والأمانة، والشَّعْرُ يُكسِبُه الأناقةَ والأداءَ الجيِّدَ، وبراعةَ المعالجاتِ، واحترامَ القضاةِ الذين يفصلونَ بينَ الناسِ، ويدلُّونَ بكلمتهم، يحدوهم العدلُ، والمواقفُ البعيدةُ عن العِثارِ. ومن هؤلاءِ القضاةِ، الرئيس جوني القزِّي الذي رفعه الشاعر ريمون عازار إلى ذروةِ الأخلاقِ، والدقَّةِ في الأحكامِ، وساحةِ النِّجمِ الساطع، اقرأ ما جاء في قصيدةٍ "من قربك النجم"، لصديقه القاضي، القزِّي:

الْعِلْمُ وَالْعَدْلُ وَالْوَجْدَانُ وَالْقِيَمُ
وَالْخُلُقُ وَالْحِلْمُ وَالْقَانُونُ وَالْقَلَمُ

هَذِي الْمَنَارَاتُ فِي أَمْدَانِكَ ارْتَفَعَتْ
وَالْحَقُّ عِنْدَكَ أَنَّى كُنْتَ يَبْتَهِمُ

تَحِيَا الْقُضَاءَ، وَقَدْ وُلِّيتَ سِدَّتَهُ
كَأَنَّمَا الرُّسُلُ فِي إِيْمَانِهِمْ ضَرَمُ.

... أَحْكَامُكَ الْعَدْلُ تَتْلُوها مَجْنَحَةً
كَالسَّيْفِ تَفْصِلُ، كَالْآيَاتِ تُحْتَرَمُ

سَأَلْتُ رَبَّكَ أَنْ يَرْعَاكَ فِي صُغْدٍ
تَعْلُو، وَتَعْلُو، كَأَنْ مِنْ قُرْبِكَ النُّجْمُ.

تُصَالِحُ النَّاسَ، تَشْقَى فِي مَحَبَّتِهِمْ
فِيَلْتَقُونَ، كَأَنْ مِنْ غَيْثِكَ النِّعَمُ

يَأْتُونَ "قَوْسَكَ" وَالْأَحْقَادُ لَاهِبَةً
وَيَنْتَهَوْنَ فَلَا حَقُّدٌ وَلَا أَلَمُ

... "جوني" نُجِّلُكَ، إِنَّ صَالِحَتَ أَوْ حَكَمَتَ
يَرَاعَةُ الْحَقَّ فِي يُمْنَاكَ تَعْتَصِمُ^١

التقديرُ للآخرين

هذا الذي ما عَرَفَ إِلَّا الْحَبَّ والتقديرَ إلى الآخرين، تمنيتُ أَنْ يَقَعَ بخطي،
أو يسيء، ورحتُ أُلْحَقُهُ بَيْنَ الْفَوَاصِلِ والقوافي، لأُشِيرَ إِلَى عَيْبٍ فِيهِ،
فما استطعتُ، لِأَنَّ المحاسنَ وحدها مِنْ أَعْدَالِهِ.

في قصيدته تراه كالباحثِ الذي يعالجُ في القضيةِ أمرًا صعبًا وشدةً، وكلِّما
استثيرَ لنقدٍ، سرعانَ ما ينكشفُ عن ارتياحٍ، ويتشاغلُ بالسَّماحِ، ومن ثمَّ
يمرُّ بالمعضلةِ، ويلهو بالمأزقِ مِنْ دُونِ تعبٍ، فتسلسُ أمامه المقادةُ،
ويدنو الرأيُ المقنعُ.

الشعرُ معه، إلحاحُ نزعةٍ، وثقافةٌ تعتلي الرُّوحَ، فالوقْدُ في الكلمةِ شُعْلٌ،
وتَرَفٌ متى تدبَّرها ريمون، أمَّا الطوافُ فبين الطرفِ وأبياتِ القصيدةِ.
تمتازُ لغتهُ بالكثافةِ، والتضمينِ والاكتنازِ، فهو يختلفُ عن شعراءِ مجلةِ
"شعر"، وبقي محافظًا على الأصالةِ، معتبرًا أَنَّ عظمةَ الشعرِ الحديثِ،
هي تنزيلُ الفكرِ إلى جانبِ التفعيلةِ واللغةِ البهيَّةِ.

١ - ديوان، بين الجُرَّةِ والسَّنابل، ص ٩٦، ٩٧، ٨٩.

ديوان "بين المجرة والسنابل" مثلاً، يضمُّ الكثيرَ من القصائد الكلاسيكية العموديّة. فهو لم يقيد الشعرَ كما يظنُّ أهلُ الحداثة، وإنما بقي على عظمة الشعرِ وتفجيرِ الطاقاتِ النفسيّة، شأنه في ذلك، شأن سعيد عقل، والأخطل الصغير وأمين نخلة، وحافظ إبراهيم، وأمراء الكلمة الشعرية الذين ربينا على موسيقى شعرهم.

لقد اعتمد الشاعرُ ريمون عازار، المناخَ الشعريّ الذي يُرضي الذوقَ الأدبيّ، وأنشدَ على المنابرِ ما يروقُ الذوقَ والجرسَ الموسيقي، فكتبَ قصائدَ توهّجت فيها اللّغة، وقدر أن يجمعَ الأصولَ والحداثة، فأُمتستَ جوهرةً فريدة، تشعُّ بالمضامينِ الحديثةِ التي تصفّت من الرواسبِ والكلماتِ العتيقة.

اختارَ الكلمةَ التي تتوافقُ مع الفكرة، واللّغةَ الجميلةَ التي تنزلُ فيها الأفكارُ المعبرّة، والتراكيبُ المعاصرة، المألوفة، وكلّما عدت إلى قصيدته رأيت نوراً يسطعُ ويضيءُ على المُرسَلِ إليه الكلام.

عندما أنشدَ قصيدته في ذكرى الشاعر الكبير جورج غانم، وهو من هو في الشعر، رأى فيه روحَ النبي، وأرجَ الزّهر، وتوهّجَ القول المنعم. إنّ الشعرَ المعافى، يجب أن يكونَ صادقاً، وأن يعبرَ عن دُخائلِ الذات، بعيداً عن المصطنع. وأفضل الشعراءِ أولئك الذين يتمتعون بثقافةٍ واسعة، ويؤدّون شعرهم بالمحبّة، كما هو حال الشاعر ريمون عازار الذي بكى رفيقَ دربه جورج غانم، ولأنَّ المحبّةَ شاملة، ذكرَ في سياقِ قصيدته

رفقاءُ أُخرَ، أمثالُ معالي الوزيرِ إدمون رزق، وشوقي أبي شقرا،
وميشال نعمه، ولو اتَّسعَ المكانُ لذكرَ جميعَ الرفقاءِ في مجلسِ المتن
الثقافي، وحلقةِ الثريا لما تردَّدَ أبداً.
اقرأ معي بعضَ ما جاءَ في مطوِّلةِ "كما النبيون" وهو يتذكَّرُ الشاعرَ
جورج غانم:

مَنْ قَالَ تَمْضِي، وَيَمْضِي الْعَرْسُ وَالشُّعْلُ
الشَّعْرُ بَاقٍ، وَمَكْتُوبٌ بِهِ الْأَزْلُ

وَهَلْ يُغَيِّبُ شِعْرُ كُنْتَ تَبْدَعُهُ
كَأَنَّ مَنْ رَبَّكَ الْآيَاتُ تَنْتَقِلُ

... كُنَّا الْأُخُوَّةَ تَصَفُّو فِي تَوَاصُلَانَا
كَخَمْرَةٍ عُنُقَتْ مَا شَابَهَا زَغَلُ

إِنْ مَسَّكَ الْجَرْحُ مَرَّ السَّيْفُ فِي كَبْدِي
وَإِنْ فَرَحْتَ فَقَلْبِي الطَّائِرُ الْجَنْدِلُ

حَدَّثْتَ عَنِّي فَعَارَ الزَّهْرُ مِنْ أَرْجٍ
وَجَلَسْتَ فِيكَ فَرَحَاتُ تَزْدَهِي الْقَلِيلُ

... مَا فَرَّقَ الْمَوْتَ، نَحْنُ الْمَوْتَ نَسْقِطُهُ
الشَّعْرُ أَقْوَى بِهِ نَحِيَا وَنَتَّصِلُ.

مِنَ الثَّرِيَّا انْطَلَقْنَا أَنْجَمًا سَاطِعَةً
فِي كُلِّ أَفْقٍ فَفَاضَ الْحَبُّ وَالْغَزْلُ

"إِدمون" شَعَّ و "شوقي" زَادَهَا كِبَرًا
وَمَرَّ "مِيشال" بِدَرًا كَادَ يَكْتَمِلُ

... مَذْهَلٌ شِعْرُكَ، بَايَعْنَاكَ فَأَنْدَفَعْتُ
أَفْرَاسُكَ الْبَيْضُ وَانْشَقَّتْ بِكَ السُّبُلُ

... صَنِينُ صِنُوكَ؟ أَمْ صَنِينُ أُغْنِيَةٍ
تَعْلُو، وَعَلِيْقَةُ الْإِشْرَاقِ تَشْتَعِلُ

... عَلَيَّتَهُ الشَّعْرُ؟ لَا، فَالْقَوْلُ مَجْتَزًا
إِنْ تَطْلُقِ النَّثَرَ قَالُوا دُونَهُ زُحَلُ

... يَا ابْنَ الْعِنَادِلِ وَالشَّخْرُوبِ، كَمْ بَزَغَتْ
مِنْ أَرْضِكَ الشَّمْسُ، كَمْ عَزَّتْ بِكَ الْمُثُلُ

... مِنْ سِنْدِيَانٍ وَمِنْ صَخْرٍ وَأَجْنَحَةٍ
"ضَهْرُ الْحَصِينِ" ابْتِئَاهُ الشَّاعِرُ الْجَلُّ

لِبَيْتِهِ الْمَجْدُ "عَبْدَ اللَّهِ" مِنْ جَبَلٍ
فَرَدٍ، تَطَّلَعَ بِالْأَبْنَاءِ فَاِمْتَثَلُوا

... يَا شَاعِرَ الْحَبِّ وَالْأَوْتَارِ تُلْهِبُهَا
كَمَا النَّبِيُّونَ فِي أَسْفَارِهِمْ فَعَلُوا^١

في مَقَلَّتِي هَذَا الْمُبْدَعِ، سَرَحاتٌ نَدِيَّةٌ، كَأَنَّهَا جُمِعَتْ مِنْ حَديقَةِ الْبِنْفَسِجِ
الْكُبْرَى، وَإِذَا اسْتَقَرَّ بَصْرُكَ عَلَى تَقَاسِيمِ وَجْهِهِ، رَأَيْتَ الْعَذُوبَةَ وَالسَّكِينَةَ
تَهْدَأُ عَلَى فَمٍ يَحْدِثُكَ عَنِ الْإِرَادَةِ الْعَرِيقَةِ، وَاحْتِرَامِ الرِّفْقَاءِ.
صَقَلَتْ أَخْلَاقُهُ تَقَافَةَ الشَّعْرِ وَالنَّثْرِ وَالْقَانُونِ، وَجَمَعَ الرِّصَانَةَ إِلَى الْجَدِيَّةِ،
مِنْ هُنَا لَا تَرَاهُ مَبْعَثَرَ الْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ، وَلَا تَجِدُ لِلْغَيْرَةِ وَالْحَسَدِ سَبِيلًا إِلَى
قَلْبِهِ. إِنَّهُ يَحْمِلُ لِأَصْدِقَائِهِ الْمَحَبَّةَ وَالتَّقْدِيرَ، أَمَّا الضَّمِيرُ فَهُوَ بِأَعْلَى مَنَاطِهِ.
وَإِذَا قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَزُورَهُ فِي مَكْتَبِهِ أَوْ مَنْزِلِهِ، رَأَيْتَ فِيهِ الْقُدُورَةَ وَالْمَثَالِيَّةَ فِي
التَّوَاصُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، وَلَوْ سَأَلْتَهُ عِبَارَةً يَخْتَارُهَا لَقَالَ: أَكْتُبُ ثَلَاثَ

١- ديوان، بين المَجَرَّةِ وَالسَّنَابِلِ، ص ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨.

كلمات، الضمير، المحبة، الإيمان بالله. وإذا انصرف إلى عمله، احتبس على نفسه، خوفاً من تهمة التبعج.

حديثه أطيب من العافية.

لا تخف من حجتّه، فهو يُقنعك، وفي النهاية له الغلبة، حيث يبدو أمامك المحامي الذي لا يشقّ له غبار، والشاعر القادر على بسطة باعه. أمّا لبنانيته، فهي أنصع من جبهة السيف، وكم يؤلمه أن يرى لبنان مفكّكاً، وشعبه ينساق إلى الضياع وعدم الاستقرار، فمثل هذه الحالة، تذكره بقول الشاعر المجيد:

... زعموها حرباً يُصانُ بها الحقُّ
وأخفّوا حقيقةً في الفؤادِ

مثلما تُنثرُ الزهورُ على النعشِ
لتخفي ما تحتَهُ من فسادِ

الذي يهمني من هذا الرجل المتعدّد المواهب، قدرته على قول الشعر. وإذا قُدِّرَ لك أن تستدرجه إلى إنشاد قصيدة قالها أو سيقولها لمناسبة ما، بصديق له مثلاً، أو شاعر أرادوا إحياء ذكرى له، فعندئذ تأكد من أنك تضمّ بجمع يدك، كلّ عوالمه وخاطره، وإذا بهذا الخاطر ينقلبُ شدوا في

أعماقه، فتَهوي على أوتارِ بَحْتِه أنغامُ الهوى، والذِّكرياتُ والآمالُ،
والأوزانُ، وصخبُ القوافي، وفي الطرسِ واليراعةِ عطشٌ ومجاعةٌ.

وقد تلمحهُ مشدودًا لتكريمِ رفيقٍ له، فكيفَ إذا كان الرفيقُ منيفُ موسى،
القباضُ على الشعرِ، ينشدُهُ فوق ذُرَى لبنان، وعلى أَسْماعِ عرائسِ
الشعرِ، ومنقولاً على الأشرعةِ والمجاديفِ، يُوزَعُ كما وُزِعَتِ الحروفُ،
من صُورٍ وجبيل لتفكَّ ألسنَ العالمِ في الدنيا الواسعة، فهو يقولُ في
قصيدةٍ "من مثل لبنان":

منيفٌ من ذروةِ الإشراقِ يَلْتَمِعُ
شعراً، تَجاذبُهُ الإِبْداعُ والوجعُ

يُصاعِدُ الشَّددَ للعِلياءِ، يَدْهَشُها،
تَشِيحُ عن عَزْفِها الدَّهريِّ، تَسْتَمِعُ.

عرائسُ الشَّعرِ، ولهاناً تُراوِدُهُ
عَبْرَ القصائدِ، في الأبياتِ تَضَّجُ

... روائعُ، أَنْتَ إِنِ لَمْسَتِها اشْتَعَلَتْ،
كما يَؤْجِجُ نارَ المَغْرَمِ الولعُ

... إِنَّ الْحَدَاثَةَ شِعْرٌ لَا زَمَانَ لَهُ
لَا الْأَحْيَايَاتُ وَلَا الْأَشْكَالُ وَالْبِدْعُ.

مَنْ مِثْلُ لُبْنَانَ، أَهْدَى الْكَوْنَ أَشْرَعَةً
تَوَزَّعَ الْحَرْفُ، وَالظُّلْمَاءُ تَنْقَشِغُ

... كَمْ مِنْ "سَعِيدٍ" أَعَادَ الشَّعْرَ مُعْجِزَةً
كَمْ مِنْ رَمُوزٍ أَضَاوُوهُ بِمَا ابْتَدَعُوا

... مَجَّدَتْ لُبْنَانَ، هَلْ صَانُوهُ، أَمْ طَعَنُوا
قَلْبَ الْمَحَبَّةِ، لَا يَدْرُونَ مَا صَانَعُوا

... يَا أَهْلَ لُبْنَانَ، هَبُّوا الْآنَ وَانْتَصَرُوا
بَعْدَ الْهَزَائِمِ، لَا يُجْدِيكُمُ الدَّمَعُ

الْحُبُّ وَحَدَهُ، وَالْأَقْلَامُ تُنْقِذُكُمْ
وَالْأَنْبِيَاءُ إِذَا مَا شِئْتُمْ رَجَعُوا

يَا حَارِسَ الشَّعْرِ، قَدْ رَصَّعْتَهُ كُتُبًا
بِالْيَاسَمِينَ، وَبِالْعَشَّاقِ، كَمْ سَاطَعُوا

بالسُّحرِ تُسْرِجُ أَفْرَاسًا مُطَهَّمَةً
عنانُها البرقُ والإيقاعُ والسَّجْعُ

شِئْتُ "الأميرة" أَنْ تَخْتَطَّهَا فَلَذَا
فِي كُلِّ حَرْفٍ بِهَا الْأَمْدَاءُ تَتَسَّعُ

لَا مِثْلُهَا الْجَنُّ، لَا الْأَطْيَافُ، لَا أَرْجُ
لَا الْعَيْنُ تَدْنُو، وَلَا يَسْتَنْزِلُ السَّمْعُ^١

قِيمُ الصداقةِ

تَلَقَى مَعَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ.

التَّقَاهُ فِي أَرْوَقَةٍ وَسَاحَةِ قَصْرِ الْعَدْلِ، حَيْثُ دَلَّتْ إِلَيْهِ حَيَوِيَّةٌ، مِتْفَجِّرَةٌ فِي
حَرَكَاتٍ أَوْسَعُ مِنَ الْمَكَانِ، وَأَبْعَدُ مِنْ مَرْمَى السَّمْعِ وَالنَّظَرِ.
أَحَبَّهُ مُحَامِيًا، وَأَدِيبًا، وَشَاعِرًا، وَأَمِيرَ طَلَّةٍ تَشِيلُ بِالنِّضَالِ إِلَى أَرْفَعِ
الْمُسْتَوِيَّاتِ، وَخِلَالَ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ، أُتِيحَ لِلْمُحَامِي الشَّاعِرِ رَيْمُونِ عَازَارِ،

١ - ديوان، بين الحجرِ والسَّنابل، ص ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

أَنْ يَخْتَبِرَ مَدَى أَصَالَةِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَبْرِصِيِّ وَسَجَايَاهُ الْخُلُقِيَّةَ وَالْأَدَبِيَّةَ وَالْقَانُونِيَّةَ.

عَرَفَ رُوحَهُ الْوَثَابَةَ، كَمَا أَنَا شَخْصِيًّا عَرَفْتُهَا. مَا كُنْتُ لِأَقْفَ عِنْدَ هَذِهِ الصِّفَاتِ، صِفَاتِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَبْرِصِيِّ، إِلَّا لِأَنِّي خَبَرْتُهُ عَنْ قَرَبٍ، كَمَا خَبَرَهُ الشَّاعِرُ وَالْمَحَامِي عَازَارُ، وَكُنَّا مُتَّفَقِينَ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الشَّمَائِلِ الْكَرِيمَةِ، الْمَزْدَانَةِ بِالْمَعْرِفِيَّةِ، وَالشَّمُولِيَّةِ. تَلَاقَيْنَا وَإِيَّاهُ عَلَى شَقَعٍ مِنْ مَدَامِيكَ الْكَلَامِ، وَقِرَاءَةٍ بَعْضِ الْمَذْكُرَاتِ، وَالَّذِي أَبْكَانَا فِي الرَّجُلِ الْعَظِيمِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَبْرِصِيِّ أَنَّهُ فَقَدَ السَّمْعَ وَالنَّظَرَ وَعَجَبْنَا كَيْفَ كَانَ يَقْبَلُ بِمَسَاحَةِ الْفِرَاشِ، وَحَرَكَاتِهِ أَوْسَعُ مِنْ دُنْيَاهُ كَمَا قَلْنَا، وَأَوْسَعُ مِنْ قُصُورِ الْعَدْلِ فِي لُبْنَانِ.

وَقَدْ زَايَلَ الْعَجَبُ عَازَارَ، عِنْدَمَا تَتَبَعَ رَفِيقَهُ فِي الْمَحَامَاةِ، وَزَايَلَهُ الذَّهُولُ عِنْدَمَا انْتَصَرَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَفَكِّرْ يَوْمًا أَنَّ الْمُنَاضِلَ هَذَا، سَيَكُونُ نَفْسَهُ سَمْنَةً يَصْرَعُهَا الْقَدَرُ.^١

قَصِيدَةُ عَازَارِ "سَفَرٌ إِلَى الْأَبَدِ" وَدَّعَ بِهَا صَدِيقَهُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَبْرِصِيِّ، مُشِيرًا إِلَى الْمَوَدَّةِ وَالصَّدَاقَةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَنْسَى النُّضَالَ الَّذِي تَرَكَ بِصِمَاتٍ لَا تُنْسَى وَلَا تَزُولُ مِنْ وَجْدَانِهِ.^٢

١ - "مصرع سمّنة" كتاب للمحامي الأديب عبدالله القبرصي، أنجزه في المعتقل عام ١٩٤٣.

٢ - عبدالله القبرصي، هو قطبٌ كبيرٌ في الحزب السوري القومي وقد رافق الزعيم أنطون سعادة.

تجلّت في الأبياتِ العفويةِ والحرارةِ والزخْمُ، وجملَةُ الخِصالِ التي رافقت
أميرَ المنابرِ هذا، بما أُوتِيَ مِنْ قدرةٍ في طلاقةِ اللسانِ، وقوّةِ العارضةِ
وسرعةِ البديهةِ.
ولنلاحظِ المكانةَ السّاميةَ التي ساقها الشاعرُ ريمون عازار، والنظرةَ
المثاليّةَ التي رآها في عبدالله قبرصي:

مَنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ هَذَا الصَّاعِدُ الْعَجَبُ
تَسَاءَلَتْ أَنْجَمٌ فِي الْأُفُقِ تَرْتَقِبُ

مَنْ كَانَ؟ قُلْنَا: فَرِيدًا فِي تَأْلُقِهِ.
تَسْرُبِلُ الشَّمْسُ، جَاءَ الْفُلُكُ يَغْتَصِبُ

هُوَ الْمَحَامَاةُ، فِي سَاحَاتِهَا عَلَمٌ
هُوَ الْعَقِيدَةُ فِي التَّارِيخِ تَلْتَهِبُ

هُوَ النَّضَالُ وَلَوْ كَلَّتْ سَوَاعِدُهُ
هُوَ السَّحَابُ إِذَا مَا جَفَّتِ السُّحُبُ

هُوَ الْمَحَبَّةُ، غَمَرٌ فِي تَدْفُقِهِ
هُوَ الْبَلَاغَةُ، وَهُوَ الشَّعْرُ وَالْأَدَبُ

... كَأَنَّكَ الْكُورَةُ^١ الْخَضِرَاءُ مِنْهُمْ رَأً
فَيَنْبُتُ الْأَرْضُ وَالزَّيْتُونُ وَالْعِنَابُ

... لَمْ تَصْرَعْ السَّمْنَةَ الْهَيْفَاءَ، بَلْ بُعِثَتْ
شِعْرًا، تُرَدِّدُهُ الْأَنْهَارُ وَالْهَضَبُ

رَافَعْتَ بِالْعَدْلِ، عَلَّي "الْقَصْرُ" هَامَتُهُ
وَقَالَتْ "الْقَوْسُ": أَنْتَ الْفَقْهُ وَالْخُطْبُ

كُنْتَ الْمَحَامِي أَمِينًا فِي رِسَالَتِهِ
وَرُحْتَ تَعْضُدُ مَنْ بِالظَّلَمِ قَدْ نَكَبُوا

... اللَّهُ فِي اسْمِكَ، عَبْدَ اللَّهِ، كَمْ هَبَّةٍ
مِنْهُ إِلَيْكَ، وَكَمْ شُوهِدَتْ تَقْتَرِبُ

... وَأُمَّةٌ، قَلْتَ نَحْيِيهَا عَلَى قِيمٍ
دَرْبُ إِلَهِ اللَّهِ فِي إِسْرَائِيلَ الْأَرْبُ^٢.

١ - نشيرُ إلى أنَّ عبد الله القبرصي هو من منطقة الكورة.

٢ - ديوان، بين الجرة والسنايل، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١.

وعندما رَحَلَ عاصي وَرَحَلَتْ معه عيونُ شعبٍ بكاملِهِ، فكانَ من الطبيعيِّ
بمكان أن يبحثَ عنه الشاعرُ ريمون عازار، فلو كانتِ القضيةُ أرضيَّةً
لرَبِحَ الدعوى، دعوى بقاءهِ بين محبِّيه وعارفيه، دعوى بقاءهِ في لبنان
والشرق، ولكنَّ القَدَرَ فوقَ كلِّ الطاقاتِ.

عاصي ومنصور رحلا، وتركَا شعباً من الأحلام، يُلمِّمُ ذكرى لقاءِ
الأمس، والفنَّ الرَّحْباني، من موسيقى وشعرٍ ومسرح.
ففي كلِّ ما قيل، وما كُتِبَ عن الجامعةِ الرَّحْبانيَّةِ، يبقى غيرُ شاملٍ لذلكِ
الفيضِ وبخاصَّةٍ في الشعرِ.

يقولُ الشاعرُ عازار، وهو المقرَّبُ من منصور وعاصي والياس والعائلةِ
الفنيَّةِ برمتِها، إنَّ العملَ الشعريَّ أيضاً يشكِّلُ المكوِّنَ الأساسَ في عملِ
الرحبانيين، وممَّا قاله أيضاً في مطلعِ الخمسينياتِ حينَ شَعَرَ المتفقونَ في
لبنانَ والبلادِ العربيَّةِ، أنَّ كلماتِ الأغنياتِ الرَّحْبانيَّةِ، التي زينَها صوتُ
فيروز، قُدَّتْ وقُصِّبَتْ من مقلعِ الجمالِ والأصالةِ.

وهيَّ على عازار أن يتكلَّمَ على تجربةِ الرَّحْبانيين، وعلى توحِّدِ الإبداعِ
الشعريِّ من كلامٍ وتلحينٍ وعزفٍ، وخلقِ دراميٍّ، أمَّا التلاقي بين
الأخوينِ العبقريين، فبقي في تواصلِ الأعمالِ الإبداعيةِ حتى الفراقِ الذي
فُرضَ على سيِّدِ الفنِّ عاصي.

في قصيدة "شعب من الأحلام"، تركنا نسالُ معه، هل عاصي من الأرض؟ أم من النجوم؟ أم من سطوع الشعر؟ وبالتالي فإن السؤال لم يكن لعاصي وحده، فهناك منصور، ومؤسسة "الرحابنة" التي هي أكبر من مدرسة.

في أي حال.

جال عاصي فوق الأحلام.

في يده اليمنى أرزة، وفي اليسرى معول، أمّا الغاية من تجواله فتكمن في زرع الأرزة الخضراء التي سيستقبل في ظلّها نصفه الثاني منصور؛ يقول في الذكرى الأولى لغياب عاصي الرحباني:

أَنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ، أَمْ أَنْتُمْ مِنَ النُّجُمِ
أَمْ أَنْتُمْ مِنْ سَطْوَعِ الشَّعْرِ فِي الظُّلُمِ

... أَنْتُمْ رَحَابِنَةٌ، شُمْ، عَلَى يَدِكُمْ
تَفَجَّرَتْ سُدُومٌ فِي أَفْقِهَا الْهَرَمِ

وجال عاصي، فكان الحلم ملعبه
وكان كالأرزة الخضراء في العلم.

... مِنْ فَوْقُ جَدَّتْكُمْ، وَالْيَمَّ خَاتَمُهَا
فَكُنْتُ عَاصِي عِناقَ الْيَمِّ وَالْقَمَمِ

... كُنْتُ الْأَصَالَةَ، أَبْعَادًا مَجْنَحَةً
كَنَارَةِ الرُّوحِ، نَائِي الْبَدءِ وَالْخُتْمِ

... فَيَرُوزُ غَنَّتْ، تُرَى بَعْدُ الْغَنَاءُ سَوَى
دَرْبِ إِلَهِي اللهُ عَبْرَ النُّورِ وَالنَّعَمِ

لِبْنَانٍ صَارَ عَلَى آهَاتِهَا وَطْنًا
فَوْقَ الْجَمَالِ، وَفَوْقَ الضَّوِّ وَالْحُلُمِ

... يُقَالُ غَبَّتْ؟ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْتَ هُنَا
فِي الْحَبِّ، فِي الْوَرْدِ، فِي الْأَطْيَافِ، فِي الدَّيَمِ

... مَنْصُورٌ، مَا الْفَتْحُ، مَا الْأَسْطُورَةُ انْطَلَقَتْ
إِلَّا وَعَلَيْتَ فِي الْقَامَاتِ وَالْهَمَمِ

... وَلَنْ تَتَامَ، سَتَبْقَى الْعَرَسَ فِي غَدْنَا
مَنْ كَوَّكَبَ الْفَنِّ وَالتَّارِيخَ لَمْ يَنْمِ

الشاعر المحامي ريمون عازار.

هو من الشعراء، الذين أفسحوا في شعرهم، عن مفاتيح الغبطة والانسراح الداخلي.

لقد خصّصَ هذا الشاعر في دواوينه الأربعة مجالاً واسعاً للموسيقى، كأنّه نذرَ كلَّ قصائده ولا سيما في المطوّلات المنبريّة، لوصفِ فرح الاستماع. وفي النماذج التي أوردناها في كتابنا هذا، خير دليل على أنّ قيمة أدبه، لا تكمنُ فقط في ديباجته، وأسلوبه، واستخدامه الملفت لكيمياء الألفاظ، وإنما يلفتك في سياق كلامه الخلفيّة المعرفيّة، والفكريّة التي ترتفعُ في أساس القصيدة.

كلّ ما كتبه تشكّل من خطرات تضيء في معارج فكريّة متلاحقة، تتحدّر من أغوار العقل الواعي المنتبه للدقائق والجزئيات، وتتنزّل في قوالب متخيّرة لطلّوتها وحسن أدائها وموقعها في الرّصف والإيقاع والإيحاء. ولعلّ هذه القدرة الشعريّة، جعلت سيادة المطران جورج خضر وهو القادر العظيم في الأدب والفلسفة واللاهوت، يقول في ريمون عازار الشاعر:

"وما زادني فيك متعةً وموانسةً أنّك عدتَ بي إلى الوضوح. أنا معك أن لنا حقّ الخروج من قبضة العمود الخليلي، وهو بين يديك طيّع فإنّ

الرؤيا تنشئ لنفسها وسيلةً والشعر الطيب ينسألُ من الشفتينِ بتفعيلةٍ وبلا
تفعيلةٍ لأنَّ النَّارَ كالرَّوْحِ تهبُّ حيثُ تُشاء^١.

في أيِّ حالٍ.

مثلُ هذا الصَّنِيعِ الذي يثورُ على أنوالِ الحريرِ، ورونقِ النسيجِ اللَّفْظيِّ،
هو حَصَادُ قوَى بالغَةِ المضاءِ والنفازِ والابتداعِ.

١ - من مقالة أُلقيت في ندوةٍ حول شعر ريمون عازار في مجلس الفكر في بيت مري، يوم الجمعة الواقع فيه ٢٣ كانون الأوّل عام ١٩٩٤.

موقعُ الشّاعر
ريّمون عازار
في الشّعْر العربي

الأصالة الجمالية

شعرُ ريمون عازار، من حيثُ هو جماليٌّ، وفتٌ مسكٌ، وفنٌ كلاميٌّ، فيه الأصالةُ والحداثةُ.

الأصالةُ بمفهومِها الدقيق، تعني المخزونَ الثريَّ الذي يتوافرُ فيه التَّكاملُ والنموُّ على أنقٍ ما في البيانِ والترصيعِ.

تجربةُ هذا الشاعر، تجددتُ فيها القدراتُ والطَّاقاتُ الذاتيةُ والفكريةُ المملأى بمقوِّماتِ العطاءِ وخمائرِ اليراعةِ الحاضرةِ أبداً لريِّ المساحةِ البيضاءِ، وغيثِ القرطاسِ، وفعلِ الإنتاجِ والبدعِ.

يومَ قرأتُ شعره، شعرتُ بحطِّ الطرفِ على الطرفةِ، وبالتجاربِ الشعريةِ، تتفاعلُ فيها الموضوعاتُ الإنسانيةُ، التي اتخذتُ ألقاً يواكبُ كنهَ المعاناةِ على جرسٍ ولغةٍ صافيةٍ، تتقَّتْ من الأدراهِ والعيوبِ، وفي هذا الموقعِ فهو يشبهُ الكثيرَ من شعراءِ العربِ، الذين تجمعُهم التجربةُ واللغةُ والصَّورُ والبلاغةُ، ولكن لكلٍّ منهم منحاه الخاص والمستقلُّ.

في قوله وشعره جوانبٌ شتَّى، تبرزُ ذاته المستقلَّةَ في الشعرِ العربيِّ، هذا لا يعني أنَّه لا يلتقي أحياناً مع بعض الشعراءِ الذين تشدُّهم النواحي الوجدانيةُ.

الشاعرُ ريمون عازار،

جمعَ القَدْرُ تعبَهُ.

حملَ متاعبَ كثيرةً، أخفاها في دخائله، ولم يصرِّحْ عنها علناً، أمّا الشَّيْءُ الذي لم يستطع إخفاءه، فهو الثَّورَةُ التي تجتاحُ الأشكالَ الشعريَّةَ، وأظنُّه غمزَ من دونِ تصرُّيحٍ، فنالَ من "مجلة شعر".

فهو يحملُ أعباءَ الثَّورَةِ الأدبيَّةِ.

طبعاً الثَّورَةُ الشكليَّةُ، وحلُّ المعضلاتِ الفكريَّةِ والإنسانيَّةِ مِنْ خلالِ الشَّعرِ القادرِ على التغيُّيرِ.

اضطلاعهُ ممكنٌ، لأنَّه مجهَّزٌ بوسائلِ النَّجاحِ والقدرةِ، وقد نجحَ إلى حدٍّ بعيدٍ، وبخاصَّةٍ في ثورتهِ التعبيريَّةِ.

تمكَّنَ من الوصولِ برصيدهِ الثقافيِّ والشَّعريِّ، وإبداعِ تعابيرِهِ العربيَّةِ، التي ثبَّتَها بالأصالةِ وروائعِ التراثِ. دفعَ طاقتهُ بالنَّفْسِ المُعافى.

وبقيَ على استيعابِ رؤياه، ومجالاتِ الإيحاءِ، والصَّورِ النَّباضَةِ الزاخرةِ بالعافيةِ، أمّا الرموزُ فقد وَجَدَناها متراميةً بحذرٍ في ديوانيه، "عبور إلى البهاء" و "بين المجرَّةِ والسَّنبُلِ".

طوَّعَ عباراتهِ الشَّعريَّةَ، ليجعلَ الحركةَ الإيقاعيَّةَ تجري مِنْ دونِ عوائقَ، وهذا ما فعلَهُ الشاعرُ محمود درويش، وبلند الحيدري، وخليل حاوي وغيرهم من شعراءِ العرب.

ثمّ وقفَ إزاءَ الحركةِ الإيقاعيّةِ، ولا سيّما الداخليّةِ، الآتيةِ مِنَ المِساخاتِ
الصوتيّةِ، وجذورِ التجاربِ النفسيّةِ، ومفارقِ الزمانِ، والحبِّ الصادقِ.
لفتنتني الروعةُ الغنائيّةُ، والدقّةُ في تصويرِ ألّقِ ووسعِ الضياءِ، والرجاءِ،
والفصولِ، والعطاءِ والمحبةِ، يقولُ في قصيدةِ "ملء الزّمن":

أُحبُّكِ مهما تناءى الزّمانُ
... أُحبُّكِ ملءَ الوجودِ وأكثرُ
وأَمْضي بحبِّكِ عبرَ السّنينِ
كَأَنِّي أَقْوَى
كَأَنِّي أَكْبَرُ

أُحبُّكِ وسعَ الضياءِ
... أُحبُّكِ وسعَ الرّجاءِ

... أُحبُّكِ بعدَ الرّبيعِ ربيعاً
وبعدَ العشيّةِ خبزاً وخمراً
وبعدَ الخريفِ انتظاراً لوعدِ
جديدٍ وبُشرى
أُحبُّكِ مثلَ المحبّةِ تُعطى
ويبقى العطاءُ السّخيُّ سخيّاً

ومثلَ صلاةً تَضَوُّعُ ابتِهالاً
فأُخِطِفُ صَوْبَ السَّمَاءِ نَبِيًّا^١

وجوه الجدة

كلماتٌ جديدةٌ من عمقِ الوجدانِ.
عبارتهُ وجهٌ من وجوهِ الجدةِ ونجاحِ التأليفِ، ومشاركة رائدة في الثورةِ الأدبيةِ.

ترسمُ شعرُهُ مدارجَ الغنائيةِ، والأغوارَ الذاتيةِ، وولجَ بابِ الحياةِ الأدبيةِ، فكرَّم، وواسى، وتغزَّلَ، وأخذَ همومَ الناسِ بتلميحاتٍ واضحةٍ المعالمِ، وكانَ بارعاً بينَ شعراءِ العربِ، وشاهداً واقعياً في التصنيفِ اللغوي والأوزانِ.

ثم أدركَ سرَّ الوجودِ، من دونِ أن يتجاوزَ خطَّ القولِ المنغمِّ، والتفعيلةِ الخليليةِ، أمّا الاقتحامُ الحرَّ أحياناً، فيمكنُ أن يُعدَّ من الجوانبِ المهمةِ في الثوراتِ الأدبيةِ.

١ - من ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٣٧، ٣٨.

ومما يلفتنا في نتاجه، توسيع مدى الشعور والمدارك والأحاسيس الشعرية، إضافةً إلى فنّه في توليد المعاني، والأبعاد الحديثة، وشأنه في هذا، شأن ابن الرومي، الذي أدخل الحداثة العباسية في قصائده، وذلك، لحركة الفكر، وتطوير الكلام الشعري، ولا غرو، فريمون عازار شاعرٌ مجيدٌ ولا جدال.

هذا الشاعرُ، حدّد نوعَ عمله، وهو توظيفُ الشعرِ والأدبِ ليكونا في خدمةِ الأصالةِ والحقِّ، وهنا لا بدّ من التذكير في هذا السياق، بأنّ الشاعرَ عازار هو من المحامين الذين يُشارُ إليهم بالبنان في لبنان.

وفي أيِّ حال.

أصبحَ الشاعرُ في المجتمعاتِ البشريّةِ معنيًا بحملِ المسؤوليّاتِ إلى جانب الإبداعِ الجماليّ، وبخاصّةِ تغييرِ المفاهيم في الحياةِ والمجتمع، والإسهام بفرضِ الأخلاقِ، والظواهراتِ الثقافيّةِ والعلميّةِ والفكريّةِ والفلسفيّةِ وعلاقاتِ البشرِ الأخلاقيّةِ. فهذا حالُ حافظِ إبراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقي ومحمد مهدي الجواهري، وأديب اسحق وغيرهم.

في باقاتهِ المنسّقة، نجدُه خائضًا غمرةَ صراعٍ داخليٍّ، فهو يرى في المحبّةِ تحرّرًا في الوجودِ، وإشراقَ نورٍ يعلو أبراجَ الرّؤى والجوانبيّةِ، حيثُ الدّروبُ المضيئةُ، والحدودُ المشرّعةُ، والتّلاقي بعدَ التمزّقِ، والربيع بعد الجفافِ، والمناجاةُ الذاتيةُ، وارتياحُ الآفاقِ، ومما قاله أيضًا:

نخب...١

تقبض الضفاف

تنادي العطاش تعالوا إليّ

يحل الربيع الندي

ويبقى ربيعاً ندياً.١

نوع شعره يرتبط بمركزيّة الشعر العربيّ.

ولا ريب، فالارتباط الدلاليّ قائمٌ مع الكثير من شعراء العرب، في مصر، والأردن، والسودان، وأراه يلتقي مع الفيتوري في كثير من الفواصل والمقاطع ومع البوصيري، وإن تكررّ الكلام بصيغ مختلفة، أمّا الإبداع اللانهاييّ ففي استمرار.

مثل هذا الشعر، يدلُّ إلى الحركة الحديثة، والحيويّة في لغتنا العربيّة.

الشاعر ريمون عازار،

يُفتش بموضوعيّة متناهية، عن منافذ خلاص للكائن البشريّ في رؤياه. ويُحاول بما أُوتي من قدرة، للتغلب على الأزّماّت النفسيّة لعلّه يصل إلى حتميّة الخلاص الإيجابي.

درستُ شِعْرَهُ فلفتتني المثاليَّةُ التي أخذتُ مكانَهَا في عمقِ الرؤيا، ووسطَ
هذا الإطارِ اتَّحدَ مع بعضِ الشُّعراءِ الصوفيِّين.
على أَنَّهُ يجعلُكَ أَنْ تتلمَّحَ ما تُدرِكُهُ بالرُّؤيا التي تحدَّثَ عنها في مقدِّمةِ
أحدِ دواوينِهِ، ثمَّ يربطُكَ بالقولِ مِنْ دونِ اضطرابٍ أو قلقٍ.

نحبُّ فتولدُ دُنيا جديدةُ
وينهضُ كُونٌ قديمٌ تعثرُ
ويبرزُ فجرُ الوجودِ نقيًّا
يعيدُ إلينا الزَّمانَ شديًّا
نُصفى...
ونحيا الرِّجاءَ الكبيرَ...
ونكبرُ.^١

بهاء القصيدة

مِنْ هنا نُدرِكُ أَنَّ الفنَّ الشعريَّ، يتَّصلُ بالإنسانِ والوجودِ والطبيعةِ
والواقعِ، وقد تدخلُ التعابيرُ الرؤيويَّةُ في صلبِ الواقعِ أحيانًا كثيرةً،
وعندما يُقالُ أَجملُ الشعرِ، توظَّفُ القصيدةُ بكاملِ بهائِها للإنسانِ، وتبرزُ

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٣٠، ٣١.

رؤى لا تنتهي في الحرف، بل تأخذُ أبعادًا في الضوءِ والمجراتِ
والإبحارِ وفي مُنتهى الكلامِ المصفى يقول في أجمل الشعرِ:

- ما هو الشعرُ؟ سألت،

ولمن أبهى قصيده؟

- مثلك الشعرُ المصفى

كلما عاودته عادَ جديدًا

مثلك الشعرُ رؤى لا تنتهي في الحرفِ

أو عبّر كهوف لا تضاء

مثلك الشعرُ إذا لامسته

أشعلَ اللمسُ مجراتِ السماءِ

فهبيني أن أغني

منك بحرُ الشعرِ والإبحارِ مني

واغرسيني في ترابِ الأمسِ

في الدنيا الجديدة

أنشدَ الخالقُ في البدءِ، فكنتِ

أولَ الشعرِ وفي أبهى قصيده^١

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٢٣، ٢٤.

في كلِّ ما تقدَّم، نجدُ لهاثاً مضمخاً بعطرِ الفرَحِ البعيدِ القريبِ، أمّا
المحاولاتُ فصادقةٌ، تنبجسُ من عفويَّةِ الإنسانِ المحبِّ المتقلِّبِ من أقمطةِ
النفْسِ المدركةِ.

كلماتُهُ حالمةٌ، تستمدُّ جمالها من دقاتِ داخليَّةٍ حارَّةٍ، تخترقُ الحبَّ،
ويجبُ ألاَّ نغفلَ الطلاوةَ والرقَّةَ، والجوَّ الذي خلقَ حالةً تعيدُ للوجدانِ
الانفعالَ والتأثُّرَ والوجدَ، والأسئلةَ التي ينتظرُ لها أجوبةَ صريحة، يقولُ:

سائِليني

ما تُرى طعمُ الرحيقِ

ما تُرى طعمُ الهوى

في نهاياتِ الطريقِ

... في خميلاتِ المضيقِ

وانبعاثِ ثمَّ موتِ

وقياماتِ

وتتلى قصَّةُ الإنسانِ

في العهدِ العتيقِ.

... نشوةٌ أن نزرعَ الدُّنيا

بأيدينا رياحيناً

ونحيا الخُلْدَ في الحبِّ الطليقِ

فاملأِي الكأسَ لتبقى
شفةُ الولهانِ ثملَى
بالرَّحيقِ^١

وعبرَ الجولةِ مع شاعرنا، نرى وجهًا آخر، تتجددُ فيه تقاسيمُ الغزلِ، على
وَقَعِ تجربةٍ، تسيرُ على هدى الإدراكِ والإحساسِ الواقعيِّ، والهيامِ.
فالنشوةُ تتحدَّثُ عن نفسها:

لا تقولي بـدَّ الدهرُ غرامي
أنتِ في الأعماقِ شوقي واضطرامي

كلَّما مرَّ على حبي زمانُ
زادَ حبي وعَلا فيَّ هيامي

وإذا ما لفتةٌ منك احتوتني
خلتُ أنَّ النُّورَ يمشي في ظلامي

أو سكبتُ الوجَدَ خمراً في عروقي
جُنَّ عمري، وانتشَت فيَّ عظامي^١

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٤٠، ٤١.

وَمِنْ مَعَالِمِ شَاعِرِيَّةِ عَازَارٍ، تَتَابَعُ الْمَعَانِي.

وَتَتَجَسَّدُ قُوَى الْأَسْرِ فِي كَلَامِهِ، عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْ مَعْنَى إِلَى آخِرٍ بِتَدَرُّجٍ رَاقٍ لَا تَشَوُّبُهُ شَائِبَةٌ أَوْ تَعَثَّرُ يُذَكَّرُ، وَإِنَّمَا يَسْجُلُ لِمَحَاتٍ مِضَاءَ بِالتَّجَارِبِ الْجَمَالِيَّةِ.

لَوْ حَاوَلْنَا أَنْ نَقِيسَ شِعْرَ رَيْمُونِ عَازَارٍ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، لَوَجَدْنَا فِيهِ النُّزْعَةَ الْمِثَالِيَّةَ، فَهُوَ بِالإِضَافَةِ إِلَى بَرَاعَتِهِ فِي جَرِّ قَلَمِهِ الشَّعْرِيِّ، يَمْتَنِّزُ بِالتَّذَوُّقِ، وَالْمَكَانَةِ الَّتِي وَجَدْنَاهَا عِنْدَ شَاعِرِ لُبْنَانَ سَعِيدِ عَقْلٍ، وَالْأَخْطَلِ الصَّغِيرِ وَأَمِينِ نَخْلَةٍ وَخَلِيلِ مَطْرَانَ وَغَيْرِهِمْ.

كَمَا أَنَّ امْتَنَازَ بِالإِيقَاعِ وَتَوَزِيْعِهِ عَلَى مَبَاسِطِ الْقَصِيدَةِ، وَالصُّورَةِ الْمَوْجَّهَةِ. شِعْرُهُ الْمَحْدَثُ، حَافِظٌ عَلَى الْغَنَائِيَّةِ الْمَطْلُوبَةِ، وَالتَّفَاعُلِ الذَاتِيِّ أَمَّا رُؤْيَاهُ، فَقَدْ نَفَذَتْ إِلَى الْأَشْيَاءِ الظَّاهِرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى دَخَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَمِنْ هَذَا الْمَنْطَلَقِ، تَقْصِيْنَا مَوَاقِفَهُ فِي دَوَاوِينِهِ، كَمَا تَقْصِيْنَا مَوَاقِفَ غَيْرِهِ مِنْ شُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ.

لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا عَنِ الرَّمْزِ الْحَضَارِيِّ، وَالطَّاقَاتِ الْفَاعِلَةِ، الَّتِي أَمَدَّتِ الصُّورَ الْمُوَحِّيةَ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْكِتَابَةِ إِجْمَالًا.

الطاقة الإبداعية في شعر ريمون عازار

الطاقة الإبداعية

الكلامُ على شعر المحامي الشاعر ريمون عازار مهما ينبسط ويمتدُّ، تظلُّ الجِدَّةُ فيه بأعلى بهائها، أمَّا القارئُ فيستمرُّ معه من دونِ رتوبٍ أو جفاءٍ. شعرُ هذا الطوَّافِ في حقولِ الوجدِ والجمالِ، الذي تستهويه نيازكُ المجرَّاتِ الضوئيةِ، انطلقَ على أجنحةِ الشَّمسِ ليزرعَ حلوَ النِّعمِ والحيويةِ في القريضِ العربيِّ الجديدِ، الذي امتازَ باللفظِ المألوفِ، والأساليبِ الحديثةِ والموسيقى المستحبةِ، والصناعةِ المتقنةِ.

الأغراضُ الشعريةُ التي سقاها ريمون عازار من رشيحِ عينيهِ، جاءتْ مواكبةً لطبيعتهِ الهادئةِ، ولكم كان يُشبهُ شغلةَ الحريرِ باتقانهم وحلَّ الخيوطِ.

لم يُسرِّعْ وراءَ الفنونِ كافَّةً، وليسَ من طبعهِ أن يعركَ في المشكلاتِ، كما يفعلُ المؤرِّخُ والفيلسوفُ والمأجورُ، لأنَّ الشعرَ كما يراه، فنٌّ له أهدافُهُ وأبعادهُ وتخومُهُ، وقصاراهُ أن يُثيرَ السَّامعَ ويتركهُ متفاعلاً في أغوارِ نفسه، قابضاً على الداراتِ الموصدةِ والأحاسيسِ.

والواقعُ أنَّ أبا ربيع، قد قرأ كثيراً، وقطفَ من الغمرِ كفيًا، وأدركَ الأدبَ الجديدَ المتحرِّرَ، وأخذَ ما يناسبُهُ ثم انطلقَ بروحٍ وثابةٍ على بعضِ

مشتملاتِ الحُسْنِ والوَقْعِ الموسيقيّ، وفي هذا الموقِعِ بالذَّاتِ، طَلَبَ المرأةَ
المثالَ، والصدَاقَةَ المثلَى، والحبَّ الرَاقِي. أَمَّا رَأَيْتَ مَعِيَ أَنَّهُ كسعيد عقل
في نُبلِ الكُتَابَةِ؟

على أَنَّ العنَاصِرَ المَتمَثِّلَةَ بالدَّهْشَةِ والرَّوْعَةِ، انطَبَعَتْ بِطَابعٍ مِنْ سِمَاتِهِ،
فَتَدَفَّقَتْ على غَزَّارَتِهِ بِبُسرٍ وطَوَاعِيَةٍ. أَمَّا الشاعِريَّةُ فَقَدْ بَلَغَتْ حَدَّ القُضِيَّةِ،
واستعجَلَتْ جَمَعَ الخيالِ الصافي المجرَّد، والإحساسِ المَرهَف، والصُّورِ
الحَيَّةِ، والأناشيدِ المنبَعِثَةِ مِنَ الدَّاخلِ، التي لَمَلَمَتْ وَجَعًا دَاخلِيًّا، وشوقًا
يَعُودُهُ كُلَّمَا دَعَتْ الحَاجَةَ، إلى بحرٍ صيدا، وَلَمْ الغلالِ مِنْ قَمَحٍ وزيتونٍ
وقولِ أنبياء، أَوْ لَعَلَّهُ يَنْبُتُ زَهْرًا وقَمَحًا وزيتًا، وَيَبْنِي المَحَبَّةَ بَيْتًا بَيْتًا
والسَّلَامَ والنُّورَ والنَّارَ وشمُوخَ البِزَاةِ.
يقولُ:

ستبقى ظلالِي على بحرٍ صيدا
فإنِّي على بحرٍ صيدا مَشَيْتُ
وَيَفْرَحُ شَعْبُ الجَنُوبِ
فإنِّي إلى بيتِ صيدا
لَأَبْقَى أَتَيْتُ
وَأَنْبُتُ زَهْرًا وقَمَحًا وزَيْتًا
وَأَبْنِي المَحَبَّةَ بَيْتًا فَبَيْتًا
أَنَا لَا تَخَافُوا حَيَاةً وَخَلَقُ

أنا لا تخافوا سلاماً وحقاً
 يُزَلِّلُ صَوْتِي الجِدَارَا
 وأسْكُبُ نوراً ونارا
 أَرُدُّ شُمُوخَ البُزَاةِ
 وأَغْدُو لِكُلِّ شَرِيدِ الدِّيَارِ
 ديارا

قَتَلْتُمْ عُهُودَ السَّلَامِ بِأَرْضِي
 فَلَمْ تَقْتُلُونِي
 فكلُّ صَبَاحٍ يَمُرُّ نَبِيٍّ
 ويرسمُ وجهي
 ... على كلِّ نَفْحَةٍ حُبٍّ وَوَمَضَةٍ شُهْبِ
 ... وأَوْقِظُ وَسْعَ الخُلُودِ
 "جُبَيْلِي" و "صُورِي"
 وكلَّ العُصُورِ
 وإنْ مَزَقَّتْنِي تَبْقَى عَصُورِي^١

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٧٢، ٧٣، ٧٥.

القلبُ وافاه، وقد لَمَعَ البَشْرُ في عَيْنَيْهِ، كَأَنَّهُ في جُمُعِ السَّعَادَةِ وَأَكْمَاتِ
الْغِبْطَةِ.

مفتاحُ النشوةِ في كلِّ عبارةٍ، وعلى كلِّ حَرْفٍ، وفي نقلةِ الفتونِ، وأجنحةِ
الشمسِ والغمامِ، ومجاديحِ السَّمَاءِ، والميازِينِ، ورذاذِ المطرِ.
خيالُ هذا الشَّاعِرِ الكبيرِ، هَدَّبَ السِّيَاقَ، واعتَمَرَ بَثَّ اللُّوَاعِجِ، ثمَّ وزَّعَ
مطاوي الدخائلِ بين النفسِ مِنْ جهةٍ، والعقلِ والفكرِ مِنْ جهةٍ أُخْرَى، من
دونِ أَنْ ينسى الفؤَادَ النابضَ والشعورَ والأخيلةَ. وقد وَسَّطَ طيورَ المساءِ،
لعلَّ صلاتها تجمعُ بينَ الحبيبينِ، يقولُ:

أُغْنِي
أُحِبُّكَ كُنْتُ أُغْنِي
وَيَتَعَبُ مِنْكَ الْغِنَاءُ وَمَنِي
وَأُشْرِعُ صَدْرَكَ لِلرَّيْحِ بَيْدَرُ
وَأَقْطِفُ شَهْدًا وَأَنْهَلُ كَوْتَرُ
أُحِبُّكَ كُنْتُ أُغْنِي
وَأَسْكُرُ
لَأَجْلِكَ
كُنْتُ أُعَاقِرُ خَمَرَ التَّمَنِّي^١

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٦٣.

الرُّومَانِسيَّةُ وَالْخَيَالُ

وقد أراه رومَنسيًّا في رؤيا نوَّارٍ .
يتذوَّقُ الجمالَ إزاءَ وجهِ الأرضِ المزنبِقِ .
يحلمُ بالأرديةِ المترفةِ، الموشَّحةِ بالأُفُقِ الأزرقِ، حيثُ الإلهُ يمنحُ ويفتحُ
الدُّنيا على الحبِّ، والأحرفِ وتيهِ المزاميرِ، وبهاءِ الأنبياءِ، ومدارِ
الشمسِ، وتدفُّقِ البحارِ .

يقولُ في رؤيا نوَّارٍ :

كَانَ وَجْهُ الْأَرْضِ زَنْبِقٌ
وَرِدَاءُ الْأُفُقِ أَزْرَقُ
وَالْإِلَهُ يَفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى الْحُبِّ
وَبَابُ اللَّيْلِ يُغْلَقُ .
وَضَهَرَتْ ...

كُنْتُ فِي الْأَمْسِ هَيُولَى
أَحْرَفًا فِي الْبَدْءِ أُولَى
وَأَنَا أَكْتُبُ فِي التَّيْهِ مَزَامِيرِي
نَبِيًّا وَرَسُولًا

وانتظاراً في المسافاتِ مُعلّق^١

وفي قصيدة "غوى" يشدُّك الشَّعرُ إلى اللَّيلِ والعيونِ والقَدَّ اللَّعوبِ، واللَّحْنِ المدوِّي، والغرقِ في الانفلاتِ، ولهيبِ الرِّقصِ.
الصَّورةُ بحدِّ ذاتِها إغراءٌ عَجَبٌ، توقُّظُ جنونِ الخصرِ، وحلمَ الشبابِ، ونهوداً تُشعلُ الوجَدَ والشفاهَ.

أمّا الكشفُ فعن نفوسٍ عاشقةٍ، ونفسٍ وَجَدَتْ نفسها في الصِّبَا الغامرِ.
ويلجُّ الشاعرُ عازار بين القوافي والفواصلِ أن يظلَّ الغوى حلماً ليس بعيداً، في وقتٍ يضمُّ الفَرَحَ في العمرِ الواعدِ والخيالِ والطاقتِ الإبداعيةِ.

هذا المُبدِعُ لا يرى نفسه إلاَّ شابّاً، لم؟ لأنَّه لا يريدُ حاله إلاَّ طاقةً قادرةً على الإبداعِ، وشباباً متوثّباً بطيبِ العنبرِ والإغراءِ المثيرِ، أمّا النظرةُ فساميةٌ أبداً.

فهو لا يرى المرأةَ متعةً عابرةً، وإنَّما يراها هدفاً عزيزاً وغالياً، وفكرةً جميلةً، على أنَّ الغوى، انتصارٌ على البؤسِ والزَّوالِ، وتجربةٌ جماليةٌ مضاعفةٌ بالفرحِ، والفتونِ:

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ١١، ١٢.

أُرْقُصِي، فاللَّيْلُ نَشْوَانٌ طُروبُ
وعيونٌ في غوى القَدِّ تَذوبُ
وعَلَا اللّٰحْنُ يُدَوِّي في دمانا
فأمانينا انفلات... ورؤانا...
ولهيْبُ الرقصِ نارٌ في هوانا

حدَّثينا عن جُنونِ الخصرِ
عن حُلْمِ الشبابِ الغامرِ
عن نهودٍ تُشْعِلُ الوجَدَ
وتمضي في عُبَابِ نائِرٍ^١

عناصرُ الحيويَّةِ

يصحُّ التفكيرُ في ريمون عازار من ناحيتين، ناحيةِ الحكمِ في الشؤونِ العامَّةِ، وتحليلِ الأمورِ، وناحيةِ الشاعريَّةِ. ففي الناحيةِ الأولى برزتْ عواملُ الدقَّةِ في إعطاءِ الرأيِ بالأصولِ والأصالةِ من دونِ جَهْرٍ، حيثُ كانَ بعيدَ الغورِ في قصائدِ شتَّى، ينظرُ إلى الحقيقةِ بمنظارِ المولعِ

١- ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٧٢.

باستكناه الموضوعية، وبمنظار التجرد الآتي من عمق العقل النافذ، فمرة نراه في كفة الخيال، ومرة نجدّه في كفة المقالة النثرية الفاعلة في القارئ.

ومهما تنوّعت الروافد والأغراض، فتنقى ديباجته، وأساليبه في خطّ البيان الجمالي، والصورة الحية.

الحقيقة تدلُّ إلى شعره انسجاماً وطلاوة. كلماته وأوزانه وبخاصّة البحر البسيط، يظلُّ ترجمان شعوره، ومراة تتجلى فيها صور مشاعره وعواطفه، على أنّها ترسم انفعالاته المتشبهة بالنياط وخبىء العروق، من دون قلق، وهو في أيّ حال، شاعر نبيل. على أنّك تلاحظ لتوكّ وأنت تقرأ عازار، أنّه يأنف المسالمة على حقّ مهما كان نوعه.

فهو مرئيٌّ، ينهض به صدقه إلى ذرى الخوالج. ثمّ هو في الصّواب انصراف إلى الذات، وغوص على المخبّات، وفي مطلق الأحوال، تحسُّ أنّك مغمور بالفرح والانشراح.

المحامي الشاعر ريمون عازار،

سائح في دنيا الإبداع، في يمينه مدقّ طيب ومسك وفي يسراه حجر من عدة احتياطه، تسحق عليه أفلاويه دارينية وزهور خبّاها بنو عبد مناف.

وكما الظاهرةُ العلويةُ، يُقبلُ من خلالِ رؤاهُ، ليتركَ في عمقِ قارئهِ
وحبيبتهِ لحظاتِ الوصالِ، ثمَّ أنتَ معه في مختلفِ أوضاعك من حالكِ.
مع شاعرنا هذا، فُتِحَتْ أبوابُ، ونوافذُ، ومجراتُ مضيئةٌ، وقصورُ أُغْلِقَتْ
طويلاً، ولعلَّ أروعها مشارفُ الوجدانِ، والغزلِ، والمواقفِ المنبريةِ،
وكلُّ ما يتشوّفُ إليه في كلِّ أينٍ وأنٍ.
كلُّ ما قاله في دواوينهِ وشعرهِ، دعوةٌ بناءً على طاقةٍ، أعلنها من دونِ
مهرجانٍ.

عمل بوعي المؤمنِ بالكلمةِ، لأنها الرابطُ لكلِّ المفاصلِ.
تجربتهُ الجماليةُ، من لُمعِ البشرِ والضياءِ، كأنَّ النعمَ في مُعْجَمِ السَّناءِ.

في أيِّ حالٍ.
هو قدرةٌ مطمئنةٌ.

هو بعيدٌ عن المغالطاتِ والاعترافاتِ العشوائيةِ، والتقليدِ، يقولُ كلمتهُ كما
يتشَّهاها، ويعترفُ بالكلماتِ الحرةِ الجريئةِ.
جَمَعَ الكثيرَ من وجوهِ "الحلا"، فهو تارةً مثلُ نداءِ الطِّفلِ، وطوراً كنبضِ
عنيدٍ من شأنهِ أن ينهضَ بقوى القدرِ، والزَّمنِ وهو إلى ذلكَ عميقٌ من
أهلِ المدى، كموسيقى الأناشيدِ التي له فيها أكثرُ من تجربةٍ، على أنه
دوماً ريمون.

نقلَ شعره من الخطابةِ إلى الجماليةِ بقدرةٍ قادرٍ ومؤثِّرٍ.

يمشي بالمرسل إليه عبّر الذات في رائع السياق والحديث والنسق،
وشرف الخطى.

ومن الملاحظ أنه لا يُسمع لمزقه صدّى، إلا بمقدار ما يسمح به الإيحاء
والخيال والبلاغة ورؤيا المُحتمل وما ترسمه الأبعاد والتعبير، والذوق
والأذن السّموع.

عندما تكبّ على قراءة شعره، تراك على غير ضيق، لأنه من ذوي
الأبعاد البعيدة عن العُقد، ورحاب الحالات، ومسافات اليراعة الواعية.
وإذا خطا بين العمر والقدّر، يختلف عن غيره ممّا سبقه، عن أبي العلاء
المعري مثلاً، وأبي ماضي، فالأول متشائم، والثاني حائر، أما ريمون
عازار، فقد يشغل عقله، ثم يقبل الأحكام لأنها حق في عمر الإنسان
والكائنات، والعمر قبضة ريح منثورة في كل الدروب، والسؤال
المطروح دائماً، أين المصير؟ أمّا فكرة التقمص، فقد تأتته بين الحين
والحين من دون قصد على ما أظن، يقول في قصيدة "عمرنا والقدّر":

عُمرنا

ما عُمرنا؟

عمرنا وهم عميق

فجره ناء، ولا تمشي الطريق

وخطانا ملها هذا التراب

تَضْرِبُ الْأَرْضَ
وَيَطْوِيهَا الْيَبَابُ.

عُمْرُنَا قَبْضَةُ رِيحٍ
نُثِرَتْ فِي كُلِّ دَرْبٍ
وَسُؤَالٌ لَاهِتٌ: أَيْنَ الْمَصِيرُ...؟

عُمْرُنَا يَنْتَظِرُ
وَدَّ لو يَنْتَحِرُ...
جِيلُنَا يَنْشُدُ عِيْدَهُ
فَمَتَى نَبْدَأُ فِي دَرْبٍ جَدِيدَةٍ
وَمَتَى يَنْبَعِثُ
فَجَرُنَا الْآتِي عَلَى شَمْسِ الطُّمُوحِ
وَالْأَمَانِي الْبَاعِثَاتِ الدَّفْءِ
فِي الْقَلْبِ الْجَرِيحِ^١

١ - من ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩.

التفاعل الإبداعي

امتاز شاعرنا عازار، بتعابير تخص أوصافه ولغته مبتدعاً صوراً انفردت بحشد التلاوين، التي أضفى عليها، من غيار الشمس، وصلاة المساء والأصباغ، التي تصل بنا إلى عتبات الروعة. يضع الصورة أمامك، ويدلك إلى جديدها، كأنها محطات فوقية، ثم ينقلك على أسلاك قزحية، تتوارى حيناً، وتعود للظهور أحياناً لتألفها الأبصار. لقد عرف عن قرب مقاييس التغيير والتبديل، وتشبث بمعان تهم متذوق الشعر، الذي ينتظر سماع الموسيقى، أو كالغوي الذي يلاحق هبات العطر بين اللحظة واللحظة.

عازار، تفاعل مع محيطه الزماني. ثم نقل تفاعله إلى محبي القول المنعم، والقارئ، عبر لغة حديثة من دون أن يهدم جسر التواصل، وكان كمن أعد للمعتزم الرافي، فهو للأمر ولا امتراء، حتى يحافظ على أصالة الضاد، وقواعد العربية، والأنظمة التركيبية.

انطلاقاً من هذا الواقع، قلنا، إنه أخذ مكانه بين شعراء العرب. مقامه التفاعلي يرقى إلى فوق، ويسمو في امتداد حيوي، قاطعاً طرق التخيل، والملاحم الإدراكية، في نظام إشاري، يتمسك بحركة الحياة واللغة.

شاعرُ التفاعلِ، هو ذاكَ الذي يُحدثُ تغيُّراً، أو انقلاباً في شعرِ أهلِ زمانه، ويبرزُ حالةً تُستَظْهَرُ فيها التفعيلاتُ الخليليةُ، إذ تُنتزَعُ رقعا ساميةً تُبقي للشعرِ وهجَه، وهذا ما فعله الشاعرُ عازار، عندما تواصلَ مع الشعرِ وهو في اليفع.

ومما لا شكَّ فيه، أنَّه جدَّدَ في المواضيعِ والتعبيرِ، ووضعَ شكواه وأحكامه في أوعيةِ الفكرِ وعَلَبِ التراكيبِ حتَّى نَضَجَتْ، وزَكَتْ فيها الجِراءةُ، في نفسٍ بعيدةِ الأهدافِ والغاياتِ والمرامي، وغنيَّةِ المنازع.

ثمَّ أدركَ عن قُرْبِ أنَّ التعاطي والتجديدَ يتناولُ ثوابتَ الشؤونِ والأُمورِ، فجَدَّ المسيرَ قَصْدَ الإصلاحِ والتجديدِ، فلم يتأخَّرْ لحظةً واحدةً، وهو يعرفُ مسبقاً أنَّ القريضَ فكرةٌ مستجدَّة، يكتنفها هزُّ نياطِ القلوبِ، ومنافذِ الحواسِ، وكلُّ ما يستوي في العرفِ الفنيِّ.

بَدَتْ هذهِ الواقعاتُ بشكلٍ جليٍّ، عندما يجددُ مشاعرَ الودِّ، حتَّى لا نقولَ يستعيرُها.

ومن ميزاتِ فنِّه التفاعليِّ، أنَّه مباشرٌ.

ويمتازُ بنظافةِ القلبِ، ومكوناتِ الضميرِ، المدفوعةِ بالحبِّ النظيفِ، ونورِ العشقِ البعيدِ، ونضجِ الإنسانِ الواعي الحقيقةَ بكاملِ تفاصيلِها،

إقرأ:

ضُمَّنِي، فَالصَّيْفُ يُدْعوكَ إِلَيْهِ
وَنُمارِي، أَيُّ شَهْدٍ... أَيُّ وَعْدٍ...
أَتُرَى تَشْهَدُ بَعْدُ
جَنَّةً أَبْهَى وَأَغْنَى؟
أَتُرَى لِلْعَمْرِ مَعْنَى
إِنْ مَضَى الصَّيْفُ عَلَيْهِ؟

لَا تَدْعَنِي يَذْبُلُ الصَّيْفُ وَلَا تَأْتِي إِلَيَّ
تُجَدِّبُ الْأَرْضُ، إِذَا غَبَّتْ، وَلَمْ تَحْنُ عَلَيَّ
ضُمَّنِي إِنْ شِئْتَ أَنْ تَبْقَى الْحَيَاةُ
فِي صِبَاهَا
أَنْ تُضِيءَ النَّيِّرَاتُ
فِي سَمَاهَا

نَضَجَ الْحَبُّ بِقَلْبِي، وَالْقَطَافُ
يَمْلَأُ الرُّوضَ ثَمَارًا وَالضُّفَّافُ
ضُمَّنِي تَوْقِظُ بَأَعْمَاقِي الْوُجُودُ
إِنَّنَا نَبْعُ... وَأَرْضُ... وَخُلُودُ¹

١- ديوان، وطني الحب والجراح، ص ٨٣، ٨٤.

وهو في تساؤله عن تعب الإنسان فيه، يُعيدني مجدداً إلى الأناشيدِ
الطاغورية، التي تبحثُ عن سرِّ الحياةِ والشؤونِ، وإذا قال، فقولُه ممتلئٌ
بالمشاعرِ الإنسانيةِ، والإيمانِ، ولعلَّه في هذه الظاهرةِ، يلتقي مع المتأملين
في هيكلِ المناجاةِ، ورحابِ التجاربِ الإنسانيةِ من دونِ جهرٍ صارخٍ،
فبيحُ صوتهُ، قُربَ قنديلٍ يخبو، وقربَ إنسانٍ تعبٍ فيه، ومن ثمَّ انتهى
الكونُ صغيراً في يديه، يقولُ:

بُحَّ صوتي، يا إلهي

بُحَّ صوتي

وخبأ القنديلُ في أحداقِ زيتي

أترى قد شئتَ، يا الله

أن أفنى بموتي؟

... قبسُ منك أنا...

أم أنتَ مني...؟

تعبَ الإنسانُ فيَّ

وانتهى الكونُ صغيراً في يديَّ

فمتى تشرقُ بالنورِ عليَّ

... سوف أمضي، في صعودي

سوف أمضي

... وسأغدو، يا إلهي
في السماوات إليها.^١

ومن الجديد المستجدّ، عند شاعرنا، أنّ له على كلّ مظهرٍ من مظاهر الحياة منحىً ترتجى فيه النفس، وهو من توافرت فيه العاطفةُ الأدميّة، والصدق في التعاطي.

علينا أن نُشيرَ إلى تأثيره بالكلام المصفى من الدّخيل، وإذا قرأ للجميع فإنه يعتبر ذلك ضروريّاً، حتّى لا يقع في مغالطاتٍ لا ترحمُ الشاعرَ القدير.

على أنه أضفى على قصائده، ألفاظاً منخلّة، وكان بذلك يشبه شعراء الزّهد، وشيوخ التأمّل، والرّهبان الذين يُبشرون بروحانيّة القديسين، ولا غرو، فكان له مواقف في تصحيح بعض الأناشيد الليتورجيّة. وقد امتاز بمحبّته للناس كافّة، ثمّ زرع محبّته مرفقةً بهدوئه الذي ورثه عن والديه، في عائلتِه، فقال في قصيدة "عيدُها الحبّ":

عيدُها
عيدٌ لعيني وفؤادي
وحنينٌ في حنيني وودادي

١ - ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٩٠، ٩١.

فَهِيَ عُمْرٌ مِنْ "رَبِيعٍ"
 و"رِياضٍ"...
 وَهِيَ حُبٌّ وَجَمالٌ
 فِي "زِيادٍ"...
 ... إِنَّهَا حُبِّي...
 وَبَيْتِي... وَبِلادِي...^١

العمقُ الفني

كلامُهُ ينطلقُ مِنْ ميزانِ عدلٍ لا يَحيِفُ، هَمَّهُ سدادُ القصدِ، واستقامةُ
 المنهجِ، ومَعْقِلُ التقديرِ، أَمَّا مَنْطَقُهُ فرَخيْمُ الحواشي، يُبَيِّتُ عِبْرَ قوافيه
 المَلأى بالوضوحِ، ونفسه المَتمثِّلَةُ دائِماً بالصِّفاءِ، والرَّوْعَةِ، وَمِنْ البِساطَةِ
 الكَلِيَّةِ أَنْ يرفعَ بَيْتَهُ لِيُدرِكَ الرِّيحَ، والأَقمارَ والكواكبَ، والأُفُقَ كيفَ لا،
 وهو شاعرُ المَجَرَّاتِ الضَّوئيةِ، اقرَأ:

لا تُذَكِّرُنِي ببَيْتِي، بِالْجبالِ الشَّمِّ، بِالْأُفُقِ الرَّحِيبِ
 بِحُلُولِ الصَّيْفِ فِي حُلْمِ الأَمالِيدِ الرَطِيبِ

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٧٧.

... لا تُذَكِّرُنِي بِأَخْبَارِ النُجُومِ

بَارِيحِ الضَّوءِ فِي الْفَجْرِ

بِأَسْرَارِ السَّكُونِ

... مِنْ هُنَا مَرُّوا، فُغَابَ الْقَمَرِ

وَتَلَّشْتَ فِي النَّجِيعِ الذِّكْرُ^١

إنَّ دراسةَ الحقيقةِ، والعمقِ الفنيِّ، في كتابَةِ الشاعرِ ريمون عازار، تستحقُّ كشفًا معمقًا في المضمونِ والشَّكلِ.

وتقضي الضرورة أن ندرسَ بجديَّةٍ جماليَّةَ الكتابةِ، ومعالَمَ الفرحِ عند أبي "ربيع"، إلى جانبِ اللُّغةِ، وهندسةِ القصيدةِ، الملاءِ بالتراكيبِ الحيَّةِ، والمقوِّماتِ الأصيلةِ.

تجاه هذه الثوابتِ، لا بدَّ من إبداءِ رأيٍ وهو: إذا كان شعراءُ العرب، يَروُنَ في الشَّعرِ مقياسًا للنَّهضةِ الأدبيَّةِ، وانطلاقًا للشَّعرِ الناجحِ في العصرِ العباسيِّ، الذي كانَ فعلاً من أزهى العصورِ، فإنَّ جيلَ النَّهضةِ، من شعراءَ وكتبةٍ ولغويينَ، أولئك الذين عُرِفُوا بالمجدِّدينَ، يَسْعَوْنَ بكلِّ طاقاتهم وإمكاناتهم إلى طرحِ مواضيعَ جديدةٍ، ومعانٍ قريبةٍ المتناولِ، أمثال خليل مطران، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم وغيرهم.

١ - ديوان، وطني الحبِّ والجراح، ص ٢٠.

ولكن كلَّ ما يهْمُنَا اليومَ، فترةُ جيلِ الشاعرِ ريمون عازار، الذي اعتُبرَ واحداً، من الذين يهْمُهُم بقاءُ الشَّعرِ في مكانتِه، لأنَّه الأرقى والأسمى. وهكذا، فقد جعلَ ميخائيل نعيمة، الشاعرَ نبياً، وكاهناً، وفيلسوفاً^١.

أمَّا المؤمنون بالرمزيَّة، فقد جعلوه كائناتاً فوق مستوى البشر^٢. وقد قالَ في هذا المجالِ الشاعرُ والأديبُ يوسف غصوب: "إنَّ الشاعرَ يخلق لنفسه عالماً روحياً وخيالياً خاصاً به"^٣.

والكثرةُ الساحقةُ من أهلِ الضادِ، يعتقدون جازمين، أنَّ الفرقَ شاسعٌ بين رَجُلِ القوافي ورافعِ الشَّعرِ والإنسانِ العادي. فريمون عازار، هو واحدٌ ممَّن يقولون بالفنِّ للفنِّ (*L'art pour l'art*)، والشَّعرُ في ذروةِ الكمالِ الأدبيِّ.

منطقُ هذا الرائدِ لا يتغيَّرُ.

الشَّعرُ في أعماقه سِدْرَةٌ جماليَّةٌ.

والأوزانُ فعلٌ حركةٌ نورانيَّةٌ، أمَّا الموسيقى، فمن فعلِ الإيقاعِ الذي يرفعُ الإنسانِيَّةَ والمرءَ إلى مراتبِ عُليا، بعد أن يُحرِّكَ الأحاسيسَ والمشاعرَ في الدخائلِ.

١ - ميخائيل نعيمة، الغربال، دار صادر: ط٦، ١٩٦٠، ص ٨٤.

٢ - صلاح لبكي، الأديب، ع ١٩٣، ص ٨٥.

٣ - يوسف غصوب، المكشوف ١٩٣٧، ع ٩٢، ص ٦.

عندما تقرأ مثلاً قصيدة "المسافات الأخر"، تجدُ البراعةَ بين التفعيلةِ والتفعيلةِ، وغبطة القارئِ والسّامعِ من دونِ أن يدري.

تلاحظُ التعبيرَ يلجُ إلى أغوارِ الذاتِ بارتياحٍ، والبنفسجَ يرشُ العطرَ في الوجودِ، ويرمي من ألوانه خلفَ الصُّورِ والمُهَجِّ، ففي هذه القصيدةِ وغيرها، جعلني أن أقرأ من جديدٍ، يوسف غصوب، وصلاح الأسير، وألبير أديب، وصلاح لبكي، وسواهم من الذين عاشوا على نتاجِ الإلهامِ، والعبقريّةِ، وتحذوني الضرورةُ أن أذكرَ بمحبّةِ أولئك الذين عاشوا على نتاجِ الصنعةِ، كبشرِ فارس، وسعيد عقل، وعمر أبو ريشة....

اقرأ "المسافات الأخر" للشاعر ريمون عازار:

نبتَ البنفسجُ
في حنايا الغابِ
في ظلِّ الحَجَرِ
وتخبّأتْ ألوانُهُ
خلفَ الصُّورِ

وأنا أخبئُ مُهجَّتِي
وأروحُ أبني ضيعتي
مثل البنفسجِ

خارج الأسوار ما خلف المسافات الأخر^١

عازارُ هذا، قوله وإبداعُهُ هما في تواصلٍ، وبقدرٍ ما يُحرّكُهُما، يغوصُ في أبعادِ العروضِ، حتّى تأتيه الفكرةُ بشكلٍ أسرعَ وأعمقَ، أمّا الإلهامُ فيزيدُ في غنى تراكيبه، وفضيلة الإبداعِ في عرضِ التساوقِ والوضوحِ، والخلقِ والصنعةِ، وسلطنة الموسيقى.

في أيِّ حالٍ. هو، في هيكَلِ الشعرِ يسلكُ طريقَ الشفافيةِ، والمثالِ، والانسراحِ، والغبطةِ الداخليةِ.

ثمَّ يغيبُ في المسافاتِ الضوئيةِ، والأنغامِ الموسيقيةِ، التي كلّما ابتعدت في التموّجاتِ، يعيدها إلى محطّاتها، وهذا حال بول فاليري^٢ الذي أعلنَ للنفسِ أموراً لها خصوصيّاتها.

الشاعرُ عازار، نقلَ القارئَ إلى أُمكنةٍ يتواجدُ فيها، ليريه الموهبةَ والإبداعَ، وذلكَ عبْرَ الكلماتِ الموحيةِ التي أخذتُ حيّزاً مرموقاً في قلبِ النقاءِ والصّفاءِ، واللّغةِ التي نأتُ عن المصطلحاتِ، لأنّها رمزُ التفاهمِ والحقائقِ المعبرِ عنها، بأسلوبٍ ولغةٍ جديدين.

لغتهُ تشبّثتُ روحاً وانضباطاً في مقاييسَ واضحةٍ، بعيدة عن الإبهامِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٧، ٨.

٢ - شاعر فرنسي رمزي.

تراكيبه وعباراته منسقة، تجري وفق الأصول اللغوية، وهنا أشير إلى طاقة كان بإمكانها أن تفك القيود كلها، ولكن أبا "ربيع" سلم بمقولة الفن للفن، منقبا عن جوهر اللغة العربية، التي تنير وجدان قارئه، لذلك كان في أحيان كثيرة، يركز على اختيار المفردات، والنتاج المعبر، لأن هممه إبراز الجمالية والإحياء، وكل ما يطلبه الذوق. أمّا إذا أصيب بشيء من المعاناة، يرى السراب بحرا، والنار موجا، والشوق لهيبا:

حَبَبْتُ الْبَحْرَ فِي عَيْنِكَ
يَغْرَقُ
وَمَوْجَ النَّارِ يَحْرِقُنِي
فَأُحْرَقُ
وَيُحْرِقُ فِي لَهيبِ الشَّوْقِ عُمْرِي
وَأَنْتَ السَّرُّ أَدْنِيهِ
فَيُغْلَقُ
وَتَقْذِفُنِي الرِّيحُ
إِلَى سَرَابٍ
أَمُوتُ عَلَى مَشَارِفِهِ
وَأُخْلَقُ^١

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٢٩، ٣٠.

اليراعة النبّاضة

يمتاز أدبُه بمجمَلِه ببعضِ الألاعيبِ البيانيّةِ.
 السِّياقُ الشّعريُّ عنده، يأخذُ دائماً طريقاً نحو الوضوحِ مِنْ دونِ عوائِقَ،
 فهو يراعي منطقَ العصرِ، والتسلسلَ المنطقيَّ، والبعدَ عن الصّعوباتِ
 والتعقيدِ، وضعفِ التّأليفِ.
 ومن اللاّفتِ جدّاً أنّ هذا الشّاعرَ، لا يُخفي صدقَ شُعوره وإخلاصه
 وهُدوئه في جرّ الرّيشةِ، وقد يَسوقُه إخلاصُه إلى الاستقامةِ، وعدمِ التكلّفِ
 في اصطناعِ الصّورِ المبهمةِ.

اقرأ مثلاً ما جاء في قصيدة "قُبْلُ الصّيفِ":

لا تقولي قَدْ تَخَطَّيْتُ الرِّبِيعا
 أَنْتِ أَبْهَى
 كُلَّمَا الصَّيْفُ بِبُرْدِكَ تَوَشَّحَ
 أَنْتِ أَشْهَى
 كُلَّمَا العُنُقُودُ فِي الشَّمْسِ تَجَرَّحَ
 وَأَنَا يَا سَكْرَتِي
 مِمَّا سَقَى تَشْرِينَ خَمراً...
 أَتَرَنِّحُ.

لا تقولِي...

أنتِ أغلى^١

إنَّهُ واحدٌ من الذين دافعوا عن الشعرِ ولغةِ الضادِ وموسيقاها. أرادَ أن ينتشلها من الجُمادِ الذي سيطرَ عليها، فترات طويلة، وفي هذه النقطة تحديدًا، استطاعَ أن يلبسَ الكلمةَ الشعرِيَّةَ والنثرِيَّةَ ثوبًا نسلَ خيوطه من واقع الحضارة الجديدة، مستخدمًا لتطويع الكلمة النّارَ والمطارقَ اللَّيْنَةَ، وأزاملَ النَّحتِ، حتّى غدت طيّعةً بين أصابعه، ثمّ تلاعبَ بها في إطارِ الجَدَّةِ، يُقدِّمُ ويؤخِّرُ بمرونةِ الفهمِ والتّقيفِ وفقًا لمعطياتِ الهندسةِ والنّسقِ الطّباعيّ والعملِ الشّفيفِ.

يكتملُ جهدهُ أبدًا بفرحِ النّجاحِ والعطاءِ.

همُّهُ أن يجدَ المرءُ نفسه مَعه، في دروبِ الحسَنِ، وحدائقِ الجمالِ، والزّهرِ المفوِّفِ.

كما يهتمُّ نقلِ الحالةِ الشعرِيَّةِ، وشقّ الكلماتِ التي تستوفي حقّها البنيويّ في القصيدة، وفي هذا المجالِ، يخالفُ عازار رأيَ البرناسيينَ، وشعراء "مجلة شعر"، الذين يقرّون بالجزءِ المقبولِ، على حسابِ الكلِّ الجميلِ.

١ - ديوان، أجنحة إلى الشمس، ص ٢٧، ٢٨.

في أيِّ حالٍ. الشاعرُ ريمون عازار من رُوَّادِ التجديدِ.
وجدنا فيه الحنينَ إلى عالمٍ مثاليٍّ، مليءٍ بالفضائلِ الإنسانيةِ والكرامةِ
والحريةِ والتصويرِ الصادقِ، من دون أن يتقيَّدَ بالتقليدِ، إلَّا في الحدودِ
المرسومةِ للشاعرِ من الأصالةِ والعنايةِ والتفعيةِ وعلمِ العروضِ ورعايةِ
اللُّغةِ، وتجنُّبِ الإسفافِ.
يراعتهُ تزخرُ بتدفُّقِ الحركةِ النباضةِ، ولعلَّ خيرَ مثالٍ، قصائدهُ الإنسانيةِ
والوجدانيةِ، ففي مثل هذه القصائدِ، حرصَ على رسمِ صورهِ المتلاحقةِ.
كلَّ ما قاله، يتألَّقُ بأرستقراطيةِ المواقفِ.
حروفُهُ مدفوعةٌ من خلفِ قلبٍ وروحٍ، تشدُّها حاجاتٌ للتعبيرِ ملحاحٍ،
ومُنَاحٌ يتلمَّسُ مشارفَ النُّبلِ والأخلاقِ والتواصلِ الشَّريفِ.
كلامُهُ متخيَّرٌ، والدقَّةُ في أعلى أُمكنتها.

ريمون عزيز عازار،
يُؤخِّدُ شِعْرُهُ وَيُسْتَعَادُّ، ولا يذهبُ البريقُ منه.
يَبْقَى شِعْرُهُ على لطفِ الصِّيَاغةِ، ودقَّةِ الأداءِ، لتدلَّ إلى إحساسِ الشاعرِ
وحقيقتهِ.

يَبْقَى شِعْرُهُ في مستوى الكلامِ الثَّرِّ والإبانةِ.
على أنَّ الإيحاءَ ودروبَ الفصاحةِ والبلاغةِ في الرِّصانةِ المتوخَّاةِ،
ولاسيَّما عندما يختارُ الألفاظَ المعبرةَ، عن تجاربهِ المتمثِّلةِ بالشَّعورِ

الخالص، مستخدماً ثقافته المتنوّعة، التي امتازت بالقوّة والملاءمة بين التركيب واللفظ.

بلى! دواوينُ الشاعر عازار، كُتِبَتْ لتقرأ على مدّ اللَّيالي الملاح.

ريمون عازار شاعرُ الأناشيد والقِمَم

أناشيدُ القِمَم

أناشيدُ الشّاعرِ ريمون عازار، هي من صلبِ القِمَمِ والذّرى.
أناشيدهُ قُدَّتْ من البطولاتِ، فهي رفيقةُ التحرُّرِ، والحركاتِ الواعيةِ،
والتمرّدِ الواعي.

أبناءُ لبنان، قدموا من جبالِ الشّمسِ.
هؤلاءِ القادمون، تصوّتوا من المعاييبِ، والسّقطاتِ، وحملوا الأنجمَ
شموعاً، تشمخُ فوقِ الرواسي، والأفقِ الواسعِ.
أبناءؤنا واثبوا الليالي، وجعلوا من الغيمِ حصوناً.
رجالنا صامدوا وجالدوا ليبقى الوطنُ للمصاميدِ المجالدين.
أناشيدُ ريمون عازار، آتيةٌ من عمقِ الثّقّةِ والفرحِ، والعزمِ، وفصولِ
الخيرِ.

أرضهم نهّاضةٌ إلى العلياء.
خيولهم تغرفُ الرّكضَ بهمةً، فمحزّمُ الجوادِ مشدودٌ، والحزامُ منفلتٌ نحو
النّصرِ والعقبانِ، رمزِ الشّجاعةِ.

وقّعُ أناشيدهِ من وقّعِ وإيقاعِ الأثيرِ، ومِساحاتِ الوطنِ والأرضِ،
والاندفاعِ والنّبوغِ القادرِ على الوصولِ في كلّ لحظةٍ، عبرَ تمرّدِ الترابِ

والصَّخْر. يقولُ في نشيدِ أبناءِ القممِ الذي يهديه إلى بلدته عينطورة -
المتن:

قادمونَ ... قادمونَ ...
مِنْ جبالِ الشَّمْسِ إِنَّا قادمونَ.
حاملونَ ... حاملونَ ...
شَمَخَةَ الأنجمِ فينا والحُصونِ^١.

أزاملُهُ تشدُّ في الصَّخْر، وریشاتُهُ تفعلُ فِعْلَهَا في الكلماتِ والحروفِ،
ومواطنِ المجرَّاتِ الكونيَّةِ، وأبراجِ الشَّمْسِ والذُّرى، والفصول:

مِنْ ذُرانا نَقَحَ الأفقَ الوَسيعَ
نَحْمِلُ الصَّيْفَ أَمِيرًا والرَّبيعَ^٢

اللُّبنانيُّ بَيْتُهُ يَتَّسِعُ لِلجَميعِ.
فمنا مَنْ هو صَفوحٌ، وكريمٌ، وصفيٌّ.
اللُّبنانيُّ في نَشِيدِهِ، رجلُ المآثرِ، والشَّعرِ والسَّيْفِ، وفي أيِّ حالٍ، لا
الشَّعرُ هانَ، ولا السَّيْفُ نَبأ، أمَّا الدَّعوةُ إلى الحقِّ فسلامٌ وعفوٌّ:

١ - ديوان، بين الحجرِ والسَّنابل، مِنْ نشيدِ، أبناءِ القمم، ص ١٤١.

٢ - ديوان، بين الحجرِ والسَّنابل، مِنْ نشيدِ، أبناءِ القمم، ص ١٤١.

بَيْتُنَا الدَّهْرِيُّ، بَيْتٌ لِلْجَمِيعِ
 إِنَّ دُعَيْنَا يَسْلُمُ الْحَقُّ الرَّفِيعُ
 قَادِمُونَ... قَادِمُونَ¹...

لقد منعوا مقالعهم من التلّف، وصانوها من الابتذالِ والعيوبِ.
 إذا انتمنوا، فهم حُماةٌ ولا جدال، وهم صِيَابَةُ الْقَوْمِ، فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقْلِ
 وَالْمَجْدِ وَالْبَحْرِ، وَهُمْ الْغَالِبُونَ فِي كُلِّ أَيْنٍ وَأَن، عَلَى أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ فِي
 صَاعِ الْهَامَاتِ وَالصَّدُورِ، فَسَاعِدُهُمْ صَلَوَةٌ لَا يُورِي، يَقُولُ:

كَمْ حَفَرْنَا التُّرْبَ فِي الصَّخْرِ الْمَعَانِدِ
 يَوْمَ كَانَ الْحَقْلُ مَجْدًا وَأَمَاجِدُ
 كَمْ عَبَرْنَا الْبَحْرَ نَجْنِي وَنُجَاهِدُ
 وَتَوَهَّجْنَا عَقُولًا وَسَوَاعِدُ
 قَادِمُونَ... قَادِمُونَ...
 كِي يَخْطُّ الْمَجْدُ أَنَا الْغَالِبُونَ².

أَبْنَاؤُنَا، يَتَعَمَّدُونَ الْقَبَابَ، وَرُؤُوسَ الْأَبْطَالِ.

١ - ديوان، بين المجرّة والسَّنابل، نشيد، أبناء القمم، ص ١٤٢.

٢ - ديوان، بين المجرّة والسَّنابل، نشيد، أبناء القمم، ص ١٤٢.

فهم قومٌ شَهاوى، لا يَهمَلونَ اندفاعاً، ولا يعتزلونَ عن مجدٍ، ولا ينفردونَ
 في زمنٍ يدعو إلى طموحٍ.
 نفوسُهم من أكرومةٍ ومحتدٍ أصيل.
 فإذا تحرَّكتْ نسائمُ الطَّيبِ، اهتزَّتْ أرائِكُ الفتیانِ والشيوخِ التي يُستاكُ
 بغصونها، وتتخذُ منها أَعوادُ المنابرِ، ومعالمُ التاريخِ، يقول عازار:

نحنُ كالعقبانِ رمزٌ للشَّجاعةِ
 وكما الأجدادُ نحيا في المناعةِ
 وإذا الدُّنيا تَخَطَّتْنا اندفاعاً
 استعدناها نبوغاً وصِراعاً
 قادمون... قادمون...
 وسَّعوا التاريخَ إنا قادمون^١

هل رأيتَ؟

أناشيدهُ، تحتوي الجنديَّ، والقريةَ والوطنَ، والإصلاحَ، والعلى، والإنسانَ.
 وهكذا تعيدُ للكيانِ الدَّورةَ الدِّمويَّةَ، ثم تطلقُ الوجودَ أملاً معافى، فنشيدُ
 المشعل، هو الآخر، مهدى إلى نادي عينطورة الرياضي:

١ - ديوان، بين الحجرِ والسَّنبَلِ من نشيد، أبناء القمم، ص ١٤٣.

نحنُ جُنْدُ الحقِّ، نورٌ يُجْتَلَى
في قُرانا سنكونُ الأَمَلَا
فإلى الإصلاحِ، هَيَّا للعلَى
نزرعُ الخيرَ ونمشي رُسُلًا¹.

غنى الأنشيدِ، وتركها أَلحانًا على الشِّفاهِ، وفي جُعبةِ المقاومِ، وبندقيَّةِ
الجنديِّ، و"شاكول" البناءِ، وابتسامةِ الطِّفلِ، وعُرسِ الطبيعةِ في القرى.
البارزُ في أنشيدِ أبي ربيع، أنه كانَ مرشدًا، في دروسِ الوطنيَّةِ والكرامةِ
والإباءِ، والتطلُّعِ إلى الأكملِ والأسمى.
ثمَّ يلفتُنّا كيف يَعرسُ في النِّشءِ المواطِنِيَّةَ والقوَّةَ، يقولُ:

نحنُ أعداءُ الضَّلَالِ
نبتغي خَيْرَ الفِعالِ
قد دُعِينا للنِّضالِ
فَعَشِقْنَا العَمَلًا².

هَمُّ ريمون عازار، أن يَرى في الإنسانِ اللُّبنانيِّ الحُرِّيَّةَ، والعقلَ،
والإيمانَ.

١ - ديوان، بين الحجرّة والسنابل، نشيد، قد حملنا المشعل، ص ١٣٩.

٢ - من ديوان، بين الحجرّة والسنابل، نشيد، قد حملنا المشعل، ص ١٤٠.

همُّهُ أَنْ يَرَى الْأَمْجَادَ بَوَاذِخَ، وَالْجِبَالَ شَوَامِخَ.
 همُّهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى قُرَانَا، وَأَنْ نَعْطِيهَا كَمَا أَخَذْنَاهَا. هكذا توارثنا المجدَ
 كابرًا عن كابرٍ:

قَرِيتِي لَبَّيْكَ قَدْ هَبَّ الشَّبَابُ
 بَانْدَفَاعٍ لَا نُدَاجِي أَوْ نَهَابُ
 نَعِشِقُ الْأَمْجَادَ، نُهْدِي لِلصَّوَابِ
 فَانْظُرِينَا قَدْ حَمَلْنَا الْمَشْعَلَا

نَحْنُ أَعْدَاءُ الضَّلَالِ
 نَبْتَغِي خَيْرَ الْفَعَالِ
 قَدْ دُعِينَا لِلنُّضَالِ
 فَعَشِقْنَا الْعَمَلَا^١

قصائدُ الأمِّ، هي أيضًا من الأناشيدِ الأخلاقيَّةِ، والإنسانيَّةِ، والوجدانيَّةِ،
 لأنَّها تُسهمُ في شموخٍ وسُموٍّ وطننا العظيم، ومجتمعنا الحضاريِّ الذي
 تسودُه الفضيلةُ، وتجمعُ بين الناسِ آصرةَ القُربى وأصالةَ المنبتِ.
 كلماتُه في الأناشيدِ، هيَمى إلى العظَمَةِ، وعَزَمَ المراقِي. لأنَّ أبناءَ القِمَمِ
 يأنسونَ بالفخارِ، ويسكنونَ المكارمَ.

١ - من ديوان، بين الحجر والسنابل، نشيد، قد حملنا المشعل، ص ١٤٠.

حروفُهُ مِنْ سِيُوفٍ لَا تَنْتَنِي عِنْدَ الضَّرَابِ.
 وَقَفَاتُ الْعِزِّ فِيءُ أَبْنَاءِ لُبْنَانَ، الَّذِينَ رَاشُوا سِهَامَهُمْ بِقَوَادِمِ الطُّيُورِ
 الْجَارِحَةِ، أَمَّا أَقْوَاسُهُمْ فَتَمَتَّدَتْ فِيهَا الْأَضْلَاحُ، وَالزَّنُودُ، وَالرُّؤُوسُ الَّتِي مَا
 انْحَنَتْ إِلَّا لِخَالِقِ الدُّنْيَا وَالْحَيَاةِ.
 فِي أَنَاشِيدِهِ، أَبْنَاءُ لُبْنَانَ، الَّذِينَ نَشَرُوا السَّمَرَ فِي أُولَيَاتِ اللَّيَالِي، وَالظَّلَّ فِي
 الشَّعَافِ، وَالْأَرِي فِي الْخَلِيَّاتِ، وَالْخَمَرِ فِي الْأَقْبِيَةِ الْمُسَنَّةِ وَالْخَوَابِي.
 وَلَكُمْ حَسِبْتُ هَذَا الرَّجُلَ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى أَنَّهُ مِنْ أَنْطَلِيَّاسِ الْبَلَدَةِ التَّارِيخِيَّةِ،
 الَّتِي أَحَبَّهَا تَمَامًا كِبَلَدَتِهِ عَيْنُطُورَةَ - الْمُتَن - كَأَنَّمَا غَرَزَتْ الْوَاشِمَةَ إِبْرَتَهَا
 فِي مَسَامٍ بَدَنِهِ. وَقَدْ اسْتَنْشَأَ أَخْبَارَهَا الْقَدِيمَةَ وَالْحَدِيثَةَ، بَدَأَ مِنْ إِنْسَانٍ
 أَنْطَلِيَّاسِ الْأَوَّلِ وَعَامِّيَّاتِهَا، إِلَى حَرَكَاتِهَا الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي رَافَقَتْ لُبْنَانَ التَّآخِي
 وَالْحَضَارَاتِ، الَّتِي حَفَرَتْ فِي بَسَاتِينِهَا مَكْرَمَاتِ الزَّمَنِ، وَجَمَّ مَكْيَالُهَا
 شَيْخُ جَعَلَ الْبِيَادِرَ طُفَافًا، ثُمَّ ارْتَاخَ لِيَأْنَسَ بِالْمُبَشِّرَاتِ، قَالَ عَازَارُ فِي نَشِيدِ
 أَنْطَلِيَّاسِ:

يَوْمَ كَانَ الْبَدْءُ، أَنْطَلِيَّاسُ كَانَتْ
 تَبْدَأُ الدُّنْيَا بِإِنْسَانِ الْمَغَارَةِ
 وَابْتَنَتْ صَرْحَ الثَّقَافَاتِ وَصَارَتْ
 قَلْبَ لُبْنَانَ التَّآخِي وَالْحَضَارَةِ^١

١ - ديوان، بين الحجرِ والسَّابِلِ، من نشيد أنطلياس، ص ١٣٧.

وَمِنْ مَفَاخِرِهِ أَنَّهُ جَاوَرَ الدَّيْرَ الَّذِي خُطَّتْ فِيهِ مَوَائِيقُ الْوَطَنِ، وَلَامَسَ لَيْمُونَ بِلَدَةِ الْعِزِّ، وَقَرَأَ تَارِيخَ إِنْسَانِ الْمَغَارَةِ، وَمَوَائِيقَ الْإِصْلَاحِ فِي الْخَزَائِنِ الْعَتِيقَةِ، وَمَسَحَ غِبَارَ حُسَامِ الْمَجْدِ وَالرَّمَاكِ، حَتَّى تُعَادَ الْقُوَّةُ وَاللَّمَعَانُ إِلَى دُنْيَا الشَّهَامَةِ وَالْبَرِيقِ، وَمِنْ ثَمَّ رَشَّ جَبِينُهُ بِمَاءِ مَيْرُونِ الدَّيْرِ.

ثُمَّ لَازِمَ أَنْطَلِيَّاسَ وَأَهْلَهَا، مَعْتَبِرًا شَعْبَهَا مِنْ رَوَادِ التَّارِيخِ، الَّذِينَ جَهَدُوا فِي الْعَمَلِ، وَمَا جَهَدَهُمُ التَّعَبُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَزَّوْا السَّيْفَ كِرَامَةً وَرَمَزًا، جَاءَ فِي النَّشِيدِ نَفْسِهِ:

هَـا هُنَا فِي الدَّيْرِ قَدْ خُطَّتْ مَوَائِيقُ الْوَطَنِ
شَعْبُنَا الْوَاحِدُ هَزَّ السَّيْفَ فَاهْتَزَّ الزَّمَنُ
وَإِذَا مَا عَادَتْ الْأَحْدَاثُ يَوْمًا وَالْفِتَنُ
عُدَّتْ أَنْطَلِيَّاسُ رَمَزًا وَمَزَارًا^١.

الشاعرُ رَيْمُونُ عَازَارُ، لَهُ جَوْلَاتٌ وَاسِعَةٌ فِي الثَّقَافَةِ الْأَنْطَلِيَّاسِيَّةِ، وَوَقَفَاتٌ بَارِزَةٌ مَعَ الْأَبِ الْأَدِيبِ مِيخَائِيلِ مَعَوُضَ، وَمَعَ الْأَدِيبِ الْهَادِفِ الْأَبِ مَارُونِ عَطَاوُ اللَّهِ وَالدَّكْتُورِ أَنْطَوَانَ سَيْفٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَدْبَاءِ.

١ - ديوان، بين الحجر والسنبلة، من نشيد أنطلياس، ص ١٣٨.

هؤلاءٍ لهم على الثقافةِ في أنطلياس.
 أناملُ عازار، مع مَنْ ذكرتُ، خَطَّتْ على الصَّفَحَاتِ، حتَّى كادتْ تُضيءُ،
 أمّا كلامُهُ فموقَّعٌ على منابرِ الحركةِ الثقافيَّةِ، على أَنَّ الكنهَ مكنوزٌ،
 والكلماتُ والجهْدُ في سبيلِ الثقافةِ هناك، مِنَ اللَّمَعِ والعبورِ إلى غيرِ أَفقٍ،
 وكان الأمرُ سهلاً عليه أن يُنتدبَ ليشغلَ مركزَ رئيسِ هيئةِ الأصدقاءِ في
 الحركةِ الثقافيَّةِ - أنطلياس.

فكانَ لشاعرِ المَجَرَّاتِ الضَّوئيةِ، في مضمارِ الثقافةِ الأنطلياسيَّةِ أكثرُ من
 مجالٍ في الأبعادِ الفنيَّةِ، فنشيدُ أنطلياس واحدٌ من كثرةٍ، وفي كلِّ عملٍ
 يتراءى لي أَنَّهُ يشدُّ إلى ذراهٍ وكواكبه جَمَعَ العصبِ، ويقينَ العينِ، وترَفَ
 اللَّعبِ الصَّنَاعيَّةِ، ونِعَمَ معجزةِ الضاربِ في الجواءِ بقادِماتِ النُصورِ
 الآتيةِ مِنَ الأبراجِ، والشواطئِ، وعمرِ الأجيالِ، وبساتينِ الفرائدِ،
 والقصائدِ المقبلةِ من خوافي السَّجَايا:

كلِّما تَعَلَّوْا على شاطيئِكِ أبراجِ المعاهدِ
 تُثْمِرُ الأجيالُ في بُسْتانِكِ الرَّحْبِ الفرائدِ
 صرْتَ أنطلياسُ ملءَ السَّمْعِ فناءً وقصائدِ
 ونَشَرْتَ الوطنَ الحرَّ حواراً^١

١ - ديوان، بين المجرَّة والسَّنايل، من نشيد أنطلياس، ص ١٣٨.

دَعَا النَّاسَ مِنْ أَنْطَلِيَّاسَ، لِنَشْدُوا الْحَقَّ، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَيْكَةِ الْمَجْدِ،
وَيَعْنِي بِالْأَيْكَةِ لِبْنَانَ حَكَمًا، فَهَؤُلَاءِ أَتَقْنُوا الْحَقَّ، وَأَخْضَعُوا الْبَحْرَ
لِمَجَازِفِهِمْ وَأَشْرَعْتِهِمْ، وَقَدْ تَخَطَّوْا الْقِمَمَ وَالْجِبَالَ الْأَزَلِيَّةَ، لَتَبْقَى فِي حِمَى
اللِّبْنَانِيِّينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا أَنْ يَبْقُوا مَعًا، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِإِصْرَارٍ لِكَيْ يَرْفَعُوا
التَّارِيخَ حَرْفًا وَشِعَارًا، قَائِلًا:

فَتَعَالَوْا نَنْشُدُ الْحَقَّ وَنُغْنِي الْبَشَرِيَّةَ
وَجَهْنَا الْبَحْرَ وَمِنْ خَلْفِ الْجِبَالِ الْأَزَلِيَّةِ
هَذَا هُنَا قَدْ أَقْسَمَ الْأَجْدَادُ أَنْ نَحْيَا سَوِيًّا
فَارْفَعُوا التَّارِيخَ وَالْحَرْفَ شِعَارًا^١

مِنْ حَقِّ هَذَا الشَّاعِرِ أَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ، وَأَنْ يُبْرِزَ حَقَّ أَهْلِهِ لِأَنَّهُمْ قَاهَرُوا
الْأَيَّامَ، وَغَالَبُوا الْقُرُونِ بِسَيْفِ صِدْقٍ، وَمَا ذَلُّوا لِفَاتِحٍ، فَعَامِيَاتُ أَنْطَلِيَّاسَ
تَشْهَدُ لِلْحَقِّ وَالْعَقْلِ، وَلِلْأَجْدَادِ الَّذِينَ كَبَحُوا الْجَائِرِينَ وَمَا تَهَيَّبُوا لِلْوَاقِعَاتِ.
مَنْ يَقْرَأُ جَيِّدًا نَشِيدَ أَنْطَلِيَّاسَ، يَرَى بَيْنَ السَّطُورِ كَيْفَ مَدَدْنَا الْأَرْضَ
بِالْمَعْرُوفِ، وَالْحُرُوفَ وَالثَّقَافَاتِ، وَكَيْفَ رَعَيْنَا خُرَزَاتِ الْمُلْكِ سِتَّةَ آلَافٍ
سَنَةً مِنْ عَمْرِ الزَّمَنِ، وَلَعَلَّهَا أَرَوْغُ سَنِي الْبَشَرِ.

١ - ديوان، بين الحجر والسنايل، من نشيد أنطلياس، ص ١٣٨.

هل كان يريدُ هذا الشاعرُ الكبيرُ أن يقولَ، نحنُ قُدوةُ الفضلِ، من خلالِ
أناشيده؟ بلى! لأنني قرأتُ له، وسمعتُهُ يردّدُ، "نحنُ أبناءُ القمم"، ويرفعُ
الصّوتَ عاليًا، قائلاً:

قادمون... قادمون...

من جبالِ الشّمسِ إنّنا قادمون.

في أيِّ حال.

أسلوبُهُ في الأناشيدِ مباشرٌ، وقريبُ المتناول.

اللُّغة واضحةُ المسالكِ، قريبةٌ من القلبِ والإحساسِ والمشاعرِ والاندفاعِ
والنّخوةِ من دونِ عوائق.

أمّا في نشيدِ بيتِ شباب، فلم يُفرّقِ الشّاعرُ ريمون عازار بين عينطورة -
المتن - جارةِ الشّمسِ وبين بيتِ شبابِ درّةِ المتنينِ كما وصّفها في نشيدِ
بيتِ شباب.

وهو قبالتها، رآها عاليةَ المنافِ، فألقى عليها تحيةً مغمورةً بالضياءِ،
والوحي، وإذا هي من الأقلامِ البهيّةِ، والصّلابِ المعنّقاتِ بينَ الأرضِ
والسماءِ، وقربَ الصّدَى الآتي عبرَ الأجراسِ التي رَسَمَتِ الأرضَ
محطّاتِ سماويةٍ، أمّا أنوالها، فقد نسجتُ للنورِ أُرديّةً، ثمّ قدّرتُ أن تجعلَ
من الطّينِ خزفًا وفنًّا وجرارًا طفافًا، وأنواعًا تمثّلُ الرّوعةَ، وعلى التّو،
تعيّدُ لنا نحنُ اللّبنانيّين عظمةَ أجدادنا الأوّل، يقولُ:

دُرَّةَ الْمُتَنِّينِ حَيَّاكَ الضِّيَاءُ
 مَهْبُطَ الْوَحْيِ، وَأَقْلَامَ الْبَهَاءِ
 رَسَمْتَ أَجْرَاسُكَ الْأَرْضَ سَمَاءَ
 نَسَجْتَ أَنْوَالُكَ النُّورَ رِدَاءَ
 وَحَفَظْتَ الطِّينَ فَنَاءَ
 عَزَّ مِنْ عَهْدِ الْأَوَّلِ

بيت شباب من القواهر والشوامخ، فحماها محروسٌ بالسيفِ الحاضرِ
 أبدًا، والفوارسِ. أرضُها وحقوقُها سحائبُ يجبُنُ الخيرَ والانفتاحَ والعلمَ
 والفنَّ والجمالَ، أمَّا النفائسُ فمن متجاوراتٍ تزهو بالنورِ والمجالسِ
 البواقي على الدهرِ، وصدورِ الأماكنِ لأبناءِ لنا، لهم الوهجُ المُكتملُ
 والمكانةُ العاليةُ، والإشرافُ على الدنيا، وكأنِّي به يريدُ أن يقولَ، ملاعبِ
 الأجراسِ والأنوالِ مهبطِ يصعبُ دخولها لأيٍّ كانَ:

يَا حِمَى قَدْ كُنْتَ سَيْفًا وَقَوَارِسُ
 وَحُقُولًا وَانْفِتَاحًا وَمَدَارِسُ
 كُنْتَ فَنَاءً وَجَمَالًا وَنَفَائِسُ
 وَاسْتَوَى الْأَبْنَاءُ فِي صَدْرِ الْمَجَالِسِ
 فَاسْتَنِيرِي وَأُنِيرِي
 إِنَّكَ الْوَهْجُ اكْتَمَلُ

بيت شباب.

ستبقى بيتاً للشبابِ الطَّالعِ، والأبنيةِ المُقَرَّمَدَةِ، والقُننِ التي تُحاكي القبابَ
مجدّاً لوطنٍ على أَنَّ الرَّأْيَ ثَبِيتٌ بوجهِ المَجاهِلِ، والخُطى ثابتةٌ يحدوها
الأملُ، والطلُّ المَحيّا، جاءَ في النشيدِ نَفْسِه:

أَبْداً تَبْقِيْنَ بَيْتاً وشابا
أَبْداً تُعْلِيْنَ فِي المَجْدِ القَبابا
كَمْ هَدَيْتِ الوَطْنَ الرَّأْيَ الصَّوابا
وَمَدَدْتَ البَحْرَ آفاقاً رِحابا
وَتَقَصَّيْتَ المَجاهِلُ
وَتَخَطَّيْتَ الأملُ

أدباءُ بيت شباب.

وشُعراءُ بيت شباب، أتعبوا الإبداعَ، فكانوا من أمراءِ الكلمةِ، فهم صُلُبُ
المعاجمِ، أشدَّاءُ عندَ المُختبرِ.

كان لهم باعٌ بسيطٌ في حضارةِ لبنانَ، وشَقَعَ الفكرِ، في الشرقِ.
لقد ضرَّستَهُمُ التَّجاربُ، والأسفارُ، وعَجمَتَهُمُ الأرزاءُ، ولكن أبى عودُهُم
اللَّينَ، وقد تَرَكَتْ حُرُوفُهُمُ أثراً في دنياهم، كما تتركُ المَعاولُ في الأكفِ
الغضون.

فهم حرارٌ، حذاقٌ، صنّاعٌ وشي.
يقولُ الشاعرُ ريمون عازار في آخرِ مقطعٍ من نشيد بيت شباب:

كَمْ أَدِيبٍ مِنْكَ، كَمْ مِنْ شُعْرَاءٍ
أَتَعْبُوا الْإِبْدَاعَ، كَانُوا الْأُمْرَاءَ
عَمَّرُوا لِبْنَانَ فِكْرًا وَحَضَارَةً
أَشْعَلُوا فِي ذُرْوَةِ الشَّرْقِ الْمَنَارَةَ
فَسَلَامًا يَا شَذَا الْوَادِي
وَيَا فَخْرَ الْجَبَلِ

الشاعر ريمون عازار ناثر مُبدع

ناثر مُبدع

كيفما قلبتَ كلامه تجد قلمًا نجيدًا، يعملُ في معالجةِ الكلامِ، ويجرُّ السَّحرَ في رقاعِ الحروفِ.

ريشتهُ يُصغي إلى وقعها، حتَّى إذا امتُشِقتْ، ضَرَبَتْ في مساحاتِ أهلِ الفكرِ والصَّحبِ والمدى، وأخذت من ريشِ القشاعمِ، لتخطَّ حبرًا وحفرًا، أمَّا زادها فمن طفحِ الدواةِ وأجنحةِ الشمسِ والمجرَّاتِ الضوئيةِ. حمَلَ كلامه صدقَ الجوانيةِ، واللفتةِ الصَّيداءِ، وأطعمه من محبته ثمَّ قدَّمه إلى أصدقائه والأدباءِ، وعليه مزقٌ من العصبِ، وخبرٌ الذاتِ.

نثره من خبايا شعره.

يُقيمُ للجمالِ هيكلًا، قُربَ أسلاكِ الضيَّاءِ والبهاءِ. وحسبُه الترفُّ وإلقاء يواقيته في حقولِ الثقافةِ ومحطَّاتِ الوفاءِ.

إنَّه مُبدعٌ في جمعِ الأصباغِ وألوانِ المعرفةِ، كَمَن له القدرةُ أن يلتقطَ من الأقواسِ القزحيةِ، واللُّوحاتِ التي تنمو على نديَّاتِ الأبكاءِ، وإذا الصنَّيعُ تتلقَّاه أفكارٌ تجمعُ القولَ في الصِّديقِ والكاتبِ والراحلِ والأرضِ والذكرياتِ والأديبِ والشاعرِ والعيشِ المشتركِ وسوى ذلك.

غزارة هذا الشاعر والأديب ملأى من سيل نياطه وخبيء عروقه، من هنا عندما يتكلم، تصدر تراكيبه بطبيعية وطمأنينة وانسياب قويم.

على رغم انصراف ريمون عازار منذ مطلع صباه، إلى حقل المحاماة، لم ينس أنه شاعر وكاتب. وأنى له أن يكون بمنأى عن عالم الكتابة، وهو الذي لم ينقطع، منذ المرحلة الثانوية، عن المشاركة الفعالة في ميدان النقد وإبداء الرأي وإرخاء دمعة على راحل صديق عاش وإياه في مصافاة في حلقة الثريا أو في مجالس ثقافية أخرى.

ومن الطبيعي بمكان أن نتحدث عن خط النار الأول الذي اختاره المحامي عازار، وهو خط الدفاع عن سمعة رفقاء الدرب.

على أن اتجاهه، ما كان إلا لحديث أبوة، وحدث أعد لمكرمات، ما عرف إلا مرور الكواكب اللغوية، والسانحات العوالي، والتنقل على سامقات العمر المنتج، بشراة المستزيد من عليا الثقافة والشعر وارتفاعات البيان.

وهو يتذكر رفيق عمره الأعلى الشاعر الكبير جورج غانم، معتبرا إياه غير مرة مجداً أدبياً، منطلقه الدنيا، وآفاقه مملكة الشعر، وصوت العنادل، والشلالات والمنابر، يقول في رثاء جورج غانم يوم رحل إلى السدرة فوق:

"جورج غانم، يا أحبَّ أخٍ وأوفى صديق، من كانَ "يظنُّ
أنني أدعى لأقولَ كلمةً في وداعك، وأنا أهَيُّ نفسي
لأقولها في تكريمك.

"أيُّها المضيءُ المتألقُ المناراتِ على القممِ والشغور
"الأسطورية، مَنْ ذا يقولُ إنَّك غنيتَ وانتهيتَ، وأدركتَ
اليومَ السَّابعَ في رحلةِ الخلقِ، ورأيتَ كلَّ شيءٍ حسناً،
فألقيتَ عصاك واسترحت؟

"أيُّها الغريدُ الفريدُ الفيّاضُ بالحبِّ والعطاء، الحاملُ في
قلبه همَّ الإنسانِ، وهمَّ الثقافةِ، وهمَّ الوطنِ "وجراحه.
"من ذا يقولُ ستجفُّ بعدك الينابيعُ، وتصمتُ "العنادلُ،
وتتجمدُ الشلالاتُ، وتتداعى المنابرُ...

"ويا رفيقَ عمري الأعلى. إنَّ مجلسَ المتن الشمالي للثقافة،
أحدَ مراكزِ الإشعاعِ "التي أسهمتَ في تأسيسِها وإعلاءِ
بنائها، وكنتَ "فيها واسطةَ العقدِ، أناطَ بي، في يومك، أن
أضعَ "باسمِ رئيسِهِ وأعضائِهِ باقةَ زنبقٍ وغصنِ أرزٍ على
"ترابك المقدّس... "أيُّها الأميرُ المتوجُّ، رفعتَ لواءَ الشعرِ،
وأعطيتَ مجدَ "الكلمةِ، وسكنتَ في الخلودِ فسلامٌ عليك.^١

يُقَصَّبُ مِنْ مَقْلَعِ الْجَمَالِ

ونجدُ نماذجَ لنفثاتِ ريمون عازار النثريةِ والمتقَّدةِ بإيمانِ الكلمةِ التي حملها إزميلاً يُقَصَّبُ في مقلعِ الجمالِ والفكرِ، وبريقاً في العيونِ، وهمساً على طرفِ الريشةِ والشفاهِ.

وعبرَ دراساتهِ الصغيرةِ، تجلَّتْ روحُه الصَّافيةُ المتأجَّجةُ بالنَّبلِ والصدِّقِ في التعاطي الأدبيِّ، والتجرّدِ في الأحكامِ.

كتابتهُ تتمثّلُ بالدقّةِ، وتستقطبُ مجالَ الرؤيةِ، والحواسَّ الخمسَ، وبخاصّةٍ عندما يعالجُ الحروفَ، وينحُتُها، ويلمُّها بحطّاتِ البصرِ والجفونِ.

وعندما نذهبُ بعيداً، في أدبِ ريمون عازار، تتكشفُ لنا، معانيه الحقيقيّةُ، فنُصْغِي إلى وقْعِها ورؤاها، ثمَّ يضطرُّنا أن نسيرَ معه إلى الروافدِ الإنسانيّةِ والوطنيّةِ والأخلاقيّةِ، وهنا أَسْرِعُ لأقولَ إِنَّ ريمون عازار، لا يقلُّ عن شعراءِ وأدباءِ جيلهِ تحسُّساً بأمورِ الأدبِ، وهمومِ الانتماءِ والهويّةِ، وسوفَ نرى أيضاً أنّه من أكثرِ الناسِ التفاتاً بتتبُّعِ الأخبارِ الأدبيّةِ والفكريّةِ وألوانِ المعرفةِ، وصراعِ الأفكارِ. وفي هذا المنطلقِ يكونُ حاضراً للكلامِ على ماضياتِ الأيّامِ، وآتياتِ الليالي.

قلمُهُ يُبحرُ دائماً وسطَ الإعصارِ.

إذا قالَ أنصفَ، وإن رجَّحَ كفّةَ العاطفةِ كانَ العدلَ في الحكمِ، ولكنَّ حنينهُ وذكرياتهِ واعتزازهُ برفقاءِ دربهِ يبقى الأغلبَ، أمّا أسلوبُه في هذا

المضمارِ فيتبدّى في كلّ التجلياتِ الإبداعية، وهنا يتراءى لي كمزّينٍ يحملُ بيمناهُ مرودَ كحلٍ ليزيدَ في حُسنِ الرّموشِ والأهدابِ، أو أخالهُ ربّاناً، يعودُ إلى الشاطيِّ بلُمعٍ من النورِ عليها نبضُ مجاذيفٍ وأسرعة، وفُتاتُ قلوبٍ، وبقايا نظرٍ، وأنشيدَ بحّارة.

وثمةَ وجّةٍ آخرَ لمواقفه النقدية، يتجلّى في الوضوح، الذي أطلَّ به عازار، من على المنابرِ المتعدّدة، وصفحاتِ الجرائدِ والمجلّاتِ، التي ارتفعَ عبرها كسفيرٍ ورائدٍ لأهلِ المحاماة، وأهلِ اليراعة والفكرِ والفصاحة، في كثيرٍ من المناسبات، كما أنه ارتفعَ بأدبِ المناسبة، والنقدِ، إلى ذرى الفنِّ، والغوصِ الجماليِّ، والدرايةِ في حطّ الريشةِ على القرطاسِ، التي مدّتْ ورُشّتْ بوهجِ الوجدِ.

وها هو الناقدُ ريمون عازار، يغوصُ في قراءة كتاب "أنا والحرب" للأب ميخائيل معوض، الذي يتذكّرُ.

قال ريمون عازار، إزاءَ خطوةٍ متقدّمةٍ في أدبِ الحرب:

"لا أدري لماذا كانَ الكتابُ الأوّل الذي اخترتُه... ربّما كان ذلكَ بدافعِ الصداقةِ القديمة التي تشدّني "إلى هذا الإنسانِ الكبير..."

"كلُّ ما أعرفُه، أنّي حملتُ ذلكَ الكتاب، وأسرعتُ به إلى بيتي، وباشرتُ بقراءتهِ على صدى المدافعِ "والصواريخ..."

"يروى لك الكتاب، بأسلوب أدبي جذاب أهمّ "الحوادث التي عاشها المؤلف في رحلة وانطلياس، "مروراً ببعض العواصم الأوروبية، خلال حرب "السنتين...
 "والملفت في كتاب الأب ميخائيل معوض، أنك من خلال الحوادث التي يرويها تستعيد حرب السنتين "بجميع وجوها الخطيرة التي ترتبت عليها، من "الخراب والدمار والتهجير والتشريد، والرعب والنكبات وغير ذلك...
 "كما تستعيد بعض ما كان يتخلل ذلك أحياناً من "مواقف إنسانية، تجعلك تطمئن إلى أنّ الإنسان لم "يمت في لبنان..."

"إنّ ما كتبه الأب ميخائيل معوض في مذكراته عن "المواقف الشجاعة التي وقفتها كنيسة أنطلياس، وعن "الخدمات الإنسانية والاجتماعية التي قدّمتها...^١

العلاقة بين الأدب والحياة علاقة حميمة، تماماً كما الزهرة في إناء جميل.

ولريمون عازار الشاعر والأديب والمحامي، رأي جدير بالنقد والمناقشة، حول الغاية من الشعر والأدب. وإنّ أكمل ما يكتبُه في الأدب، نجده في

مجموعة معدّة للطبع، تحوي الكثير من مواقفه في الكتابة النثرية، وخطبه وما يمت للنثر بصلة.

وعندما يعودُ إلى مجموعته تلك، نشاهدُ فيها ما يثبتُ التواصل والترابط، بين مفهومه العملي، وأدائه في تحقيق الإبداع، أو على الأقل في ترتيب الصيغ المحتملة للصنيع الفني.

والذي يهمنّا أن نقفَ عنده، هو اتساع دائرة المروحة، التي تمتدُ فيها المعرفةُ بشتّى أنواعها، والقدرة التي لامستها اهتمامات ريمون عازار، الذي أظهرَ في مختلف إنتاجه الأدبي، ميلاً للعدل، في ما يريدُ قوله.

وهو اليوم يُتابعُ الإصدارات، كما تابعها من قبل، بتعليقات تندمجُ في منظومة تتصف بالطرافة والجدة.

وقد لا يعنيني في هذا البحث، وفي هذا الباب، الالتفات إلى ثقافته القانونية، وهو من هو في المحاماة، والجرأة، وإنما يعنيني تضلُّعُه بلغة الضاد، وإعجابه بأهل البيان والعروض والبلاغة، وتاريخ الأدب، كالشاعر الكبير عبدالله غانم الذي اهتمّ بالدوحة الغانمية، وكان له ما أراد، وعندما اطمأنَّ، رحلَ وهو يُغرِّدُ فوق الضباب، ويطوفُ عندليباً، حتّى التقاهُ المجدُّ في بسكنتا، وعلى السامقات الصَّهْب، وفوق الضباب، ولا غرو، أن يقولَ كلمتهُ الشاعرُ الأديب عازار بالرجلِ القادر، لأنّه يعرفُ علائقهُ بالشعرِ والنجم والكواكب التي تتكئُ على ذراعي صنين:

"... عبدالله غانم، هذا الشاعرُ العنْدليْب، الذي عاشَ "على
سُفْحِ صَنْيْن، كانَ ينظُرُ إلى فوق، فيشاهدُ "القِمَمَ العِمْلَاقَةَ
تلامسُ السَّمَاءَ، ثمَّ ينظُرُ إلى أسفل، "فيرى الوادي الرَّهيبَ،
ينحدرُ إلى الأَغوارِ السَّحيقَةِ. "كانَ شاعرٌ ما فوقَ الضبابِ،
يسمَعُ زئيرَ العواصفِ "العاتيةِ، وزلزلةَ الصَّواعقِ
والرعود..."

"كانَ عبدالله غانم، في رحلتهِ الأرضيَّةِ، راسخاً مثلَ "ذلك
الجبلِ الثَّابتِ، لا تلوِيهِ الأعاصيرُ، ولا ترهبه "الصَّعاب...
"في ديوانه، "فوق الضبابِ" الَّذي تضمَّنَ خلاصةَ "رؤياه
الشعريَّةِ، ونظرتهِ إلى الإنسانِ والحياةِ "والموتِ".^١

قيمة نثره

وفي العديد من كتاباته، إشاراتٌ تنبئُ بجديَّةٍ ومتابعةٍ للحركاتِ الأدبيَّةِ
والندواتِ، فقد قرأنا له، وسمعناه يُرثي، ويحاضرُ، ويشاركُ في ندواتٍ
كثيرة.

١ - مجلَّةُ مرايا، عدد ت ١، ١٩٨٤.

فقد رثى الدكتور ألبير مخيبر، والشاعر "إيليا أبو شديّد" وصبيّة تدعى شهيدة.

كما أنّه نقدَ بموضوعيّةٍ كُتُبًا للأديب راجي عشقوتي، وحاضرَ وقَدَّمَ وشاركَ في "الحضارات صراع أم تفاعل" وكان له وقفات تحدّثَ فيها عن ميخائيل نعيمه، وحلقات الثريّا، والشرعة الثقافيّة للبنان، وشاركَ أيضًا في تكريم الحركة الثقافيّة - إنطلياس - وتكريم الدكتور فوزي عطوي، ولم ينسَ صديقه المتوهّج المتنوّع غالب غانم الذي قال فيه:

" يخشعُ من يدخلُ إلى هيكلِ الكلمة، فالأرضُ التي "تطأها
قدماه مقدّسة، والمكانُ للصمتِ والتأمّلِ "والصّلاة. والهيكلُ
الذي تلجُ أبوابه اليومَ مميّزٌ بجلاله "وإمامه. فأعمدتهُ
مرتفعةٌ كبعلبك، وحجارتُهُ "مقصوبةٌ من مقلعِ الشّمسِ،
وقبابُهُ مرصّعةٌ "بالكواكبِ، ومذبحةُ أرزٍ وبخورٍ وخمرٍ
وأرجوانٍ، "وفوقَ رتاجه مكتوبٌ بأحرفٍ ملتهبة، من
"الشائعِ "إلى الأصيل".

"أما إمامُ الهيكلِ، فتخالهُ في محرابه آتياً من "فوق
"الضباب"، تواكبُهُ أجنحةٌ أثريّةٌ قائمةٌ من جنائنِ "العندليبِ
والشخروبِ والمجامرِ، وقصائدِ الحبِّ، "ولكنّك لا تلبثُ أن

تعرفَ مِنْ فرادتهِ، وسطوعه، "وعُمقِ أغواره، ورنّةِ
إزميله، أنه أحدُ أمراءِ الكلامِ" الدكتور غالب غانم.^١

ثمّ تكلمَ على مشارفِ القرنِ الجديد، وسأهم في محطاتٍ ليتورجيةٍ،
وحقيقة العلمنة، والعيش المشترك في لبنان، وغير ذلك.
والى جانبِ ألوانه الأدبية، المتاخمة لمادّة كتابته المعروفة، نعثرُ على
لغاتٍ متنوّعة، لها علاقةٌ بالحياة والوجود.
ولدى التحقيق وإمعانِ النظر، نقعُ على نزعة ريمون عازار الموسوعية
التي تختلفُ عن نزعة الآخرين، وأصحابِ بعضِ المدارس التي انتشرتُ
في القرنِ الماضي.

وقد نرى في جوانبِ نزعتِه، أثرًا في طبعه الأدبيّ، من حيثِ الرّهافة،
والهدوء، ورقّة الشمائل، وحلاوة الكلام، وأناقة المظهر، ووجوده الملفت.
وأهمّ تجلّياتِ فنّه، وبخاصّة في شعره الفارض وجوده، وفي نثره الفني
الذي يشدُّ السامع إليه، حيثُ نعثرُ على جماليّةٍ طاغية، ونعني بها
الظاهرة الفنيّة، والجوانب المضيئة، التي كان يستحضرها في كلماته،
بكلِّ تفاريقها، وتفصيلها، ودقائقها.

أفردَ هذا المُبدِعُ عالمًا خاصًّا به، ولاسيَّما في الشَّعرِ، أمَّا سرُّ فنِّه النَّثريِّ، فيكادُ يُوصَلُ إلى إفهامنا، صورةَ ماهيَّةِ الغبْطَةِ، ونوعيَّةِ الأضواءِ الكونيَّةِ، واللَّونِ، والصوتِ الَّذي سبقَ الإنسانَ على الأرضِ. وفي النماذجِ الكثيرةِ من أدبِ ريمون عازار، التي اقتطعنا منها أمثالا، دليلٌ حيٌّ، على أنَّ قيمته في الكتابة، لا تكمنُ في أسلوبه فقط، وإنَّما في ديباجته التي تتاعمتُ في اختيارِ الأرديةِ، والخزِّ، وأكسيةِ الحريرِ، حيثُ كانَ في ذلكَ كالمِرْقِ اللِّسَنِ، الذي يتناهى في الفصاحةِ والبلاغةِ. على أنَّ النسيجَ الشكليَّ، واستخدامَ البارِعِ لكيمياءِ الألفاظِ، وخصوصًا في الخلفيَّةِ المعرفيَّةِ والفكريَّةِ والقانونيَّةِ، التي تنهضُ في سياقِ النصِّ وأساسه.

كلُّ ما قاله في خطبه ومحاضراته ومقالاته ونقده، يتشكَّلُ من خَطَرَاتٍ تُجسِّدُ لَمَعًا فكريَّةً، والتَّمَاعَاتِ متلاحقة، تتحدَّرُ من أغوارٍ ولججِ العقلِ الواعي، القادر على التمييزِ بسرعة، وتننزلُ في قوالبَ لفظيَّةٍ متخيِّرةٍ لطلاوَتِها وملاحِنتِها وحُسْنِ انسيابِها وأدائِها وموقعِها من جاراتِها، وهي مشقوعةٌ في نسقٍ يُعطِيها وهجًا عليًّا وموضوعيًّا، يُحاكي إحساسَ المرءِ والعقلِ والقلبِ عند المُرسَلِ إليه.

وإذا استهواه الحوارُ، والعيشُ المشترك، طلبَ إعدادَ الطريقِ له، وكانَ مثالًا في طرحه للأمورِ، وقد رأى منفذًا لذلك، في كتابِ راجي عشقوتي "أعدّوا طريقَ الحوارِ" فقال:

"إنَّ الكاتبَ، كما يبدو، يدعو إلى ثورةٍ من فوق، "تقومُ على تسليم القيادةِ إلى النخبةِ، غير الطائفيةِ، في "مواقع القرارِ، لا سيَّما في نطاقِ التنشئةِ..."

"وإنَّ الأملَ الأعجوبةَ، برأي راجي عشقوتي، معلقٌ "على أجيالنا اللاطائفيةِ المنتظرةِ، ولذلك، فليس من "قبيل الصدفةِ، أن يكونَ قد خُصَّصَ القسمَ الأولُ "والأكبر، من كتابه، لتربيةِ النشءِ في المنزلِ والبيتِ "والمجتمع...
"ويرى أنَّ الحوارَ هو مطلبُ الجميعِ في لبنانَ بلا "استثناء، ولكنَّه وهو العجب، يظلُّ في انحرافٍ "صحِّيٍّ دائمٍ، وكأنَّ فيه شيئاً من أنيابِ مفعمةٍ "بالسموم. مشهور الاسم، مقهور الفعل، مصاباً أبداً "بالتعنُّرِ والخيبةِ".

قلَّما قرأنا له موقفاً، أو طالعنا له دراسةً من دونِ أن نجدَ صدَى لحالةٍ أخلاقيةٍ وقضائيةٍ تمتُّ للنبلِ بصلةٍ.
وهو يتناولُ الموضوعَ بصراحةٍ وتعمُّقٍ على طريقةِ المؤتمنِ تراه حريصاً على الأمانةِ، ولكنَّه في أيِّ حالٍ، جريءٌ إلى أبعدِ حدودِ الجرأةِ،

وبخاصّةٍ في الكشفِ عن العيوبِ، ولعلّ هذه الثابتة، جعلته الأولَ في تسلّم قضايا الناسِ وملفاتِهِم.

وأنا أبحثُ في بعضِ مؤلّفاتِهِ و"أرشيْفِهِ" الشخصيِّ، وجدتهُ ثورةً مغلّفةً بالحكمةِ والصّراحةِ والرّصانةِ والإصلاحِ. وممّا قاله لي شفويّاً في معرضِ ثورتهِ على الأقلامِ التي تعيشُ الضياعَ:

"يجبُ على الأقلامِ أن تكونَ حرّةً، وأن تلتينَ في "موضع اللّين، وأن ترقَّ عندما تقضي الضرورة...
"لا عرشَ إلّا للحقِّ، وما التاجُ إلّا للقولِ القويمِ، "والصدّق،
لأنّ القلمَ كالقانونِ، فهما يمثلانَ لسانَ "الصوابِ،
والاستقامة".

وفي مطلقِ الأحوالِ، حسبي في قلبي عن ريمون عازار، التّعبير عن قناعاتي من جهةٍ، وعن دراساته ومقدّماته، ومناظراته ومحاضراته من جهةٍ ثانيةٍ، غير بعيد عن الموضوعيّة التي يعتبرونها مقياساً رئيساً في الحكم على الأمورِ، والوصولِ إلى ما يخلصُ إلى الحقيقةِ واليقينِ.
وفي أحاديثٍ جمّة، ومواقفٍ كثيرةٍ، لا تخلو من جولاتٍ عامّةٍ في مواطنِ الكتابةِ الدقيقةِ، والفكريّةِ، ومحطّاتٍ في رحابِ الأدبِ الإبداعيِّ والتواصليِّ، في هذه النقطةِ بالذاتِ لا بدّ أن يمرَّ في البالِ الأديب الكبير، ميخائيل نعيمة لأنّ الناقدَ من المفترضِ أن يتجاوزَ الأنانيّةَ، ويتكلّم بطريقةٍ

جدليّة للوصول إلى اللعبة المتوخّاة، التي تربط بين المتضادات، وتوحّد بين المتناقضات.

وفي هذا المضمار الفكريّ نتذكّر ناسك الشخروب المفكر ميخائيل نعيمه، يوم كرم^١.

وقد قدّم الندوة الشاعر الأديب ريمون عازار، عارضاً لغته الأدبيّة التي امتاز بها، من دون أن يهمل مزج الأدب بفكر نعيمه، قال:

"عندما عادَ إلى بلدته بسكنتا، ليمتزج بترابها، "شعرتُ كأنّ صنيّن، هذا الجبل الواقف كماردٍ في "وجه الزّمن، ينحني ليقبّل ثراه، ثمّ يرتفع، وتتعالى "هامته حتّى تتخطّى النجوم. ذلك أنّ ميخائيل نعيمه، الآتي بمجد الكلمة، عاد، "كما كان يؤمنُ إلى العناصر التي أخذ منها. عادَ إلى "الأرض والشمس والفضاء، عادَ إلى الكون ليتلاشى "أخيراً في الله، فازدهى به صنيّن، ومجدته العناصر "كلّها.

"ألم يقلّ في مرداد: إنّ أجسادكم، وإن تكن ضمنّ "إطارٍ من الزمان والمكان، لمركبةٍ من كلّ ما في "المكان والزّمان.

١ - كرم مجلس المتن الشماليّ للثقافة، الأديب الكبير المفكر ميخائيل نعيمه، لمناسبة يوبيله الفصّي، برعاية رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة الشيخ أمين الجميل في بيت المستقبل - النقاش - ١٤/٤/١٩٨٨.

فما كانَ منها مأخوذاً من الشمس "عاش في الشمس، وما
كان مأخوذاً من الأرض "عاش في الأرض..."

في أيِّ حالٍ.

صنِعَ ريمون عازار، النثريّ والشّعريّ، يشيلُ بعبارتهِ إلى المستوى
المطلوبِ، وينهضُ على رونقِ النولِ الجاهزِ، والنسجِ اللَّفْظي، والكشفِ
الذهنيّ.

حصاءُهُ وفيرٌ.

أعمالُهُ قوَى عقليةٌ، بالغةُ المضاءِ والنفادِ، أمّا الابتداغُ فالى وصولِ.
نشاطُهُ يتبدّى في الغريلةِ والتّخيلِ، واختيارِ الألفاظِ، وفي توخيّ شقّ
ميزانه النسقِ والترتيبِ في المقاطعِ والجمالِ.
على أنّ البحثَ، يأخذُ في جمعِ المفرداتِ النازلةِ في مواقعها في إطارِ
الحفرِ والتنزيلِ.
وهو يتبدّى أيضاً في استحضارِ الأفكارِ والصّورِ، الأكثرِ جمالاً في
السياقِ والتقرّدِ.
كما أنّه يتحاشى المُبتذلَ والشائعَ والمكروّرَ.

ومن الملاحظِ، أنّ شغلَ العقلِ يأخذُ مكانَهُ في ذرى الرؤى والخواطرِ
والأفكارِ في تساقٍ أصيلٍ واحدٍ، يجمعُ منها الشتاتَ المتبجّسَ في مختلفِ

العبارات والفقرات، في قنوات تسير في وجهة واحدة من البدء لتستقر في السطور الأخيرة.

كل هذا يُعطي صورة تجسّد أدب ريمون عازار، ويرسم هيكلية واضحة المعالم، ونسقاً من التخطيط والبناء العقلاني. على أننا نرى في هذه العقلانية البادية في عمق الكلام، توازناً في المقاطع والتراكيب، ومرونةً متماز بالإيقاع الداخلي في النثر والشعر، وذلك، في الأقسام كافة، هذا، مع الاحتفاظ بالفسحات المتناسبة بين الفكرة والفكرة، أمّا الرشاقة والشفافية فهما بسلام، والديباجة بأرقى درجة.

وجدنا هذه السمات البلورية، تختزن الجوهر والروح والحدس. لقد حقق ريمون عازار ما يتوخاه، ولم يحد أنملة واحدة عن الأصالة في الصناعتين.

وهكذا بدا أدبه جسر عبور من الأصالة الحديثة، وسبيل بقاء وتواصل في الأدب.

خلاصة جَماليَّة الرِّحْلة مع ريمون عازار

الرَّحْلة مع عازار

الرَّحْلة الأدبيَّةُ مع الشَّاعر ريمون عازار، هي من المسافاتِ المُحبَّبةِ، والمساحاتِ الضوئيَّةِ، والنقْلة العجب نحو الجمالِ، وقصائدِ العشقِ، والوجدانِ، والوطنِ والأُمِّ، والرؤيا.

الرَّحْلة معه تمتازُ بالمتعةِ، والصُّورِ الآخذة من شعاعِ الشَّمسِ والكواكبِ والمجرَّاتِ وسنابلِ الخيرِ.

السيرُ بقربه، كَمَن يسيرُ تحت سماءِ جلواءٍ، مصحِّية.

هو مشوارُ الأصالةِ، والموهبةِ، التي يمنُّ بها الله على القلَّةِ من البشرِ. على أنِّي وضعتُ اليدَ على الأشياءِ، كما وُلِدْتُ... وتركتُ المواليدَ بأماكنها، هذا، مع يقيني أنَّ حمولةَ أهلِ الشَّعرِ تتسَّى، ولم يبقَ في الذاتِ إلاَّ أوجاعُ المخاضِ.

الآنَ، واليومَ، وغداً، ما همَّني أنْ أزعجَ أو أتعَبَ أحداً، لا من الناسِ، ولا من الشعراءِ، كلَّ ما أتمنَّاهُ وأطلبُهُ أنْ أحيا رَفَةَ الرِّحْلةِ، وهناءَ الدوحةِ المحلَّلِ، ومُطلَّاتِ الجمالاتِ.

لقد قرأتُ شِعْرَ ريمون عازار، مسترسلاً بالشِّمولِ والدقَّةِ، بالتجديدِ والرؤيا.

مررتُ على شِعْرِهِ مرورَ الطائرِ المغرِّدِ فوقَ الأفنانِ، والعشبِ الغدِقِ،
 حيثُ نَضُرُ النباتَ واهتزَّ، وبدا الاخضرارُ بعدَ اليباسِ.
 مررتُ مرورَ الفراشةِ المرحِّبةِ بالربيعِ، والشَّجرةِ الضاحيةِ، والغصنِ
 المتأوِّدِ، والفراشةِ الطيَّاشةِ التي تختارُ الورْدَ المفوِّفَ.
 مررتُ مرورَ المروِدِ على العينِ.
 مررتُ لأشهدَ على ولادةِ الجمالِ، في شِعْرِ ريمون عازار.
 مررتُ على مجاديعِ السَّماءِ، والبنفسجِ الطالعِ بين الصَّخورِ، حيثُ الزهرُ
 والأرزُ، ومطلعُ الشمسِ فوقَ الراسياتِ والقِمَمِ، والربيعِ والرَّوضِ، يقولُ:

تفيضُ مآقي السَّماءِ
 فينبُتُ بينَ الصَّخورِ البنفسجُ
 وتولِّدُ في كلِّ قفرٍ حياةً
 فثمَّةَ زهرٍ وأرزٍ
 وثمَّةَ شوكٍ وعوسجٍ
 وتشرقُ شمسُ الصَّبَّاحِ
 ففوقَ رؤوسِ الجبالِ
 بهاءُ ضياءٍ توهَّجٍ
 وعندَ السَّفوحِ ربيعٌ وروضٌ^١

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ١٠٣، ١٠٤.

جرُّ ريشته يأخذُ وسعَه، ليغامرَ في الرّقاع، ويقتحمَ الأبعادَ، ويخترقَ ذُرَى
الشمسِ، لترسمَ الأحلامَ.

ولا غرو، أن يكونَ شاعرنا، قد جسّدَ دنياهُ خيالاً ورؤى.

هذا الشّاعرُ أعادني إلى الحبِّ، حبَّ الأرضِ، والعنفوانِ، والكيانِ،
أعادني إلى حقيقتي، واضعاً إيّاها في ميزانِ العدلِ،
أعادني إلى رمزِ القوّةِ والجمالِ الطّبيعيِّ، الذي لا يريدُ أن يبرحَ الأرضَ
اللّبانيّةَ، والسنديانةَ التي أُسقيتَ من ماءِ السّماءِ ومذائبه.
أعادني إلى جذوري، التي عاشتْ على محبّةِ الثّرى، ورشيحِ الجباهِ،
والترابِ الذي رشتَه الأناملُ والسّواعدُ بالشّعورِ المرهفِ والإحساسِ.
ردّني إلى الشّاعرِ اللّبانيِّ، الذي يرمزُ إلى الكمالِ، والطّاقاتِ الفاعلةِ في
النفوسِ.

شالَ بي إلى ثلّةٍ تعطّفت، ومنبسّطاتٍ أحمَلتْ، ومنحنياتٍ تحدّبتْ، وإن
قلتَ له إلى أين، أجابك:

دعوني هناك فأحيا

ويحيا ترابُ بلادي.^١

وفي مكانٍ آخر من القصيدة قال:

١ - ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٢٨.

أنا سنديانه
 أنا رمزُ شعبٍ
 وقصّةُ أرضٍ
 أنا سنديانه
 ولدتُ فكانَ انبلاجُ الزّمانِ
 وقلتُ أحبُّ
 فصارَ العطاءُ كياني
 ... وتحتَ ظِلالي
 استضاءتْ شمسٌ
 ... جذورُ بلادي جذوري
 فلا تقطعوني
 ولا تنقلوني إلى أيِّ أرضٍ سواها
 بلادي.^١

1- ديوان، عبور إلى البهاء، ص ٢٧، ٢٨

شاعرُ أرسطراطيّ

ريمون عازار، عاشقُ أرسطراطيّ.
عاشقٌ مهذبٌ، لم يخرجْ على القانونِ، كما فعلَ غيره من الشعراءِ
الإباحيين، كنزار مثلاً.
كلُّ ما فعله، أنّه جمَعَ في جعبتهِ أشياءَ الحُسنِ، التي يغرقُ بها الشاعرُ،
ومنها تفالوحُ الزهرِ، ونقاوةُ الوردِ، وغمرُ الندى حين يغشى الأمكنةَ
بالغدواتِ، ورحيلُ النحلةِ، وصمتُ الطيرِ واليمامةِ السَّجَّوعِ، وعشقُ
الزنابقِ فوقِ سرابِ المشارقِ ورؤى المستحيلِ، يقول في قصيدة سراب
المشارقِ:

أنطلبُ عطراً

ونسحقُ وردةً؟

وكيفَ نصيرُ مغولاً صغاراً

ونسحقُ وردةً؟

... ويصمتُ طيرٌ شجيٌّ

وترحلُ نحلةٌ

عشقتُ الزنابقَ

فوقِ سرابِ المشارقِ

وفوقِ رؤى المستحيلِ

لَتَبْقَى دروبي دروبَ الشَّقَاءِ الجميلِ
وأحيا الصغيرَ المراهقُ
وقصّةَ عاشقٍ^١

وَأَنْتَ تَقْرَأُ هذا الشّاعرَ، تشعرُ بالوفاقِ معه.
وتحاولُ أَنْ تَتَبَّيْنَهُ برويّةٍ وهدوءٍ، فيفاجئُكَ بازدواجيّةٍ، واحدةٌ قائمةٌ على
الأخلاقِ، فتُخفي وراءَها المحبّةَ والأصالةَ، وأُخرى مرتكزةٌ على أوزانٍ
رشيقةٍ، وقوافٍ تنبعثُ منها الموسيقى المتلاحقةُ، كما الأثوابُ المنسوجةُ
بالذهبِ والبرفيرِ والأرجوانِ، والكؤوسُ المملأى التي تَسْتَوِي عليها الشّفاءُ.
يَتَرَاءَى لي وللقارئِ، أَنَّهُ يقولُ على رَغَمِ انهماكاته، بلى، ثمَّ يذهبُ حاملاً
المزهرَ، والعطرَ، والنَّغمَ، والقولَ الذي يليقُ بالمكرّمِ والشاعرِ والمناسبةِ
وغير ذلك.

في كلِّ يومٍ للقوافي في قلبه، ولأُذنه إصغاءٌ

صوتُهُ ونبرتهُ يعلنانِ على الدوامِ أَصداءَ الفرح...
طَرَفُهُ لا يَتَسَنَّمُ إِلَّا الحسنَ، وتَنَوَّقَ القولَ.
وربَّ سائلٍ، لماذا أَتكلَّمُ على هذا الشاعرِ، بهذه الجماليّةِ، على أَنَّ الرَّدَّ
يفرضُ نفسه، على هكذا أسئلةَ، ولا بدَّ من أسئلةٍ تُطرحُ مني أيضاً.

١ - ديوان عبور إلى البهاء، ص ٤٥، ٤٦.

هَلْ يُتَحَدَّثُ عَنِ النَّبِيلِ، وَالْأَخْلَاقِي، إِلَّا بِالنُّبْلِ وَالْأَخْلَاقِ؟

هَلْ يُسَأَلُ الطَّائِرُ، لِمَاذَا تَغْنَّى؟

هَلْ تُسَأَلُ الْفَرَّاشَةُ عَنْ زَهْوِهَا وَهِيَ فَوْقَ أَجْرَاسِ الْوَرْدِ؟

شأنُ شاعرِ المجراتِ الضوئيةِ ريمون عازار مع الجماليةِ، شأنُ المبدعينِ معها.

فهو يَخْشَى أَلَّا تَكْتَمَلَ الْجَمَالِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ، مِنْ هُنَا، نَرَاهُ يُحَرِّكُ نَقَاطَهَا وَحَرَكَاتِهَا وَمَفَاصِلَهَا بِأَنَامِلٍ مَأْخُوذَةٍ بِسِحْرِ الْكَلَامِ، وَإِذَا خَبَتْ فِيهَا الْأَلْوَانُ، مَدَّهَا وَأَعْطَاهَا مِنْ نَجِيعِهِ، وَأَسْلَاكَ نَظَرِهِ، وَخَيَوطِ الشَّمْسِ رَمَزَ شَعْرِهِ، وَلَفَّهَا بِأَضْوَاءِ الْمَجْرَّاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَأَقْمَطَةَ الْفَنِّ.

إِنَّهُ مِنَ الْمُبْدَعِينَ؟ بَلَى!

لَأَنَّهُ يَخَافُ أَلَّا يُبْدِعَ.

وَإِذَا افْتَرَضْنَا، أَنَّ جُمْلَةً حَلَّتْ فِي غَيْرِ التَّمَاثُلِ الْمَطْلُوبِ، هَذَا يَعْنِي أَنَّ التَّجْنِيحَ يَمِيلُ صَوْبَ عَطَاءٍ يَمْتُ لِلْإِبْدَاعِ بِصَلَةٍ، أَوْ صَوْبَ عَمَلٍ جَدِيدٍ.

يَعْرِفُ هَذَا الشَّاعِرُ، تَتَاطَمُ الْمَقَابِييسُ، وَتَتَاسَقُ الصُّوَرُ.

مِسَاحَةُ الْكَلِمَاتِ مَعَهُ هِيَ مِنَ الْعِظَائِمِ، وَصَحَائِفُ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَمَا التَّذَنُّهُ حَوَاسُ الْإِنْسَانِ الْخَمْسُ، وَسَمَانِ الْعِبَارَاتِ وَالْحُرُوفِ.

لَعِبَتُهُ الْكَلَامِيَّةُ سِوَاكَ كَانَتْ نَثْرِيَّةً أَوْ شَعْرِيَّةً، هِيَ لَعِبَةٌ فَنِّيَّةٌ وَخَلْقٌ إِبْدَاعِيٌّ.

وَرُبَّ سَائِلٍ عَنْ شِعْرِ لَا ضَوَابِطَ لَهُ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ الشَّعْرُ الْحَرُّ أَوْ
الْمَنْثُورُ، فِي هَذَا الْمَجَالِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ أَقْرَّ بِشِعْرِ يَخْرُجُ عَلَى الْأَصُولِ،
وَإِنَّمَا أَقْرُّ وَأَعْتَرِفُ بِنَثْرِ يَفْجُرُ شِعْرًا وَمُوسِيقَى فِي ذَاتِهِ.

مَقَامُ الشَّعْرِ

عَلَى أَنَّنَا، نَسْمِي الْمَسَافَاتِ الْكَلَامِيَّةَ، الَّتِي قَرَأْنَاهَا فِي دَوَاوِينِ عَازَارٍ "كَلَّ
الْفَنِّ"، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَيْضًا (Projection أو Réflexe) وَلَعَلَّهَا التَّرْجُمَةُ
الصَّائِبَةُ لِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، انْعَكَاسٌ، عَلَى أَنَّنَا نَقْعُ عَلَى التَّلَاعِبِ فِي مَيْدَانِ
السَّحْرِ الْبَيَانِيِّ.

فِي أَيِّ حَالٍ.

الْفَنُّ فِي الْمَطْلَقِ مَدَى بِلَا حُدُودٍ.

أَغْوَارُ بِلَا تَخُومٍ.

أَصَابِعُ تَتَدَّى عَلَى الْوَرَقِ.

قَلَمُ شَاعِرٍ وَحَوَارٍ...

أَمَّا الَّذِينَ يُقَدِّرُونَ أَنَّ الشَّعْرَ وَالنَّثْرَ فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ وَالْبَسَاطَةِ، فَهَمْ لَمْ
يُدْرِكُوا حَقِيقَةَ الْإِبْدَاعِ وَالتَّحْلِيلِ، وَالسَّمَاعِ الْمَرْهَفِ، وَضَنَى الصَّنِيعِ،
وَمَعَانَاةِ الْحَالَةِ.

وَحَدَّهْمُ أَهْلُ الْحُسْنِ، وَخُبْرَاءُ الْإِحْسَاسِ وَالذَّوْقِ، يَشْعُرُونَ بِعَذَابِ
الشَّعْرَاءِ.

الشَّاعِرُ رَيْمُونُ عَازَارُ،
كَتَبَ الشَّعْرَ بِأَنَاقَةٍ وَمَحَبَّةٍ لَا تُوصَفُ.
أَمَّا التَّوَالِدُ فِي سِيَاقِ قَصِيدَتِهِ، فَقَدْ يَبْرُزُ بِطُرْفٍ مُتَجَدِّدَةٍ، وَقَدْ لَفَتَنَا أَبُو رَبِيعٍ
بَأَنَّهُ لَا يَكْبُو وَهُوَ يَثْبُ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى.
فَهُوَ يَدْعُوكَ دَائِمًا إِلَى عَافِيَةٍ، وَتَفْجِيرِ أَضْوَاءِ.
يَدْعُوكَ إِلَى اسْتَوَائِيَّةٍ وَلَا أَرُوعِ.
إِلَى فَتِّ الْعُطُورِ فِي جِيرَةِ الشَّعَافِ.
إِلَى ضَحَى الْوُطْنِيَّةِ وَالْعَنْفَوَانِ وَالصَّلَابَةِ.
إِلَى نَحْتِ الصَّخُورِ وَصَقْلِهَا لِرَفْعِ الْمَدَامِيكِ.
إِلَى الْمَنَاجِمِ لِاسْتِخْرَاجِ اللَّالِي.
إِلَى هَزَّةِ الضَّمِيرِ، وَمَخْبَآتِ الْمَجَرَّاتِ... وَحَسْبُهُ الْمَكَانَةُ.
إِنَّهُ الشَّاعِرُ.

فَفِي خُطْوِهِ بَعْدُ الشَّاعِرُ...
فِي نَبْرَتِهِ صَوْتُ الشَّاعِرِ
فِي هَدْوِيَّتِهِ عَمَقُ الشَّاعِرِ
فِي مَوْقِفِهِ فَرْحُ الشَّاعِرِ وَعَنْفَوَانُهُ.

ريمون عازار،

يرتاحُ إلى عملِهِ أنَّى وَجَدَهُ، في هَيْكَلِ الشَّعْرِ، أو في رَحَابِ قِصْرِ العَدْلِ،
أو في صَدِيقٍ، أو في دِيبُلومَاسِيٍّ أو في بَيْتِ شِعْرِ.
يتواجدُ في كُلِّ الأَبْعَادِ ويتأَلَّقُ...

كما أَنَّهُ يَخْلُقُ الصِّقَاءَ في جَلَاءِ المَعَانِي، ويرسُمُهُ في تَنْقِيَةِ المَبَانِي. ثمَّ
يَقْتُلُ العَوَائِقَ مِنَ اللَّفْظِ لِيَبْقَى الأَصِيلُ والأَمْتَلُ، ويُلْبِسُ عُرُوسَ الشَّعْرِ
النِّقَاءَ، وطِيبَ السَّرَائِرِ، حَتَّى لَا يَسَاوِرَهَا التَّقَنَّعُ.
ويقومُ الشَّعْرُ على الصَّنَاعَاتِ الذَّوْقِيَّةِ.

أَمَّا ولادةُ القَصِيدَةِ فَيُفَرِّضُ قِيَامُهَا، إِنْ لَمْ تَنْهَضْ عَلَى التَّفْعِيلَةِ والوزنِ
والقَافِيَةِ وسَلَامَةِ الرُّوْيِ، وَمِنْ دُونِ عِدَّةِ الشَّعْرِ هَذِهِ لَا تُولَدُ القَصَائِدُ.
وعندما نُسَلِّمُ بثَوَابِتِ الشَّعْرِ ومَقَامِهِ، نَشْتَرِكُ بِمَفَاتِيهِهِ وَشِدْوِهِ وَنَغْمِهِ.
وَلَكَمْ تَسَاءَلْتُ، وَأَنَا أَقْرَأُ دَوَاوِينَ عَازَارٍ، عَنِ أَزَامِيلِهِ وَنَحْتِهِ، وَحَطُّ
الرَّيْشَةِ، وَتَنْزِيلِ الحُرُوفِ، وَالحَرَكَةِ الشَّعْرِيَّةِ، وَقَدْ تَرَأَى لِي كُلُّ ذَلِكَ فِي
مَحْتَرَفِهِ المَكْنُوزِ بِحَرَارَةِ الصُّورِ والخِيَالِ وَنَزِيفِ الرَّيْشَةِ الَّتِي تَنْضَحُ
بِالعَافِيَةِ ورَشِيحِ الأَصَالَةِ.

لَيْسَ المَهْمُ أَنْ نُشْغَلَ رَوَابِطَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَنَقْتَحِمَ الصُّورَ الشَّعْرِيَّةَ، المَهْمُ
أَنْ تَسْتَقِيمَ لِلقَارِئِ اللَّعِبُ الفَنِّيَّةُ، وَيَأْخُذَ الإِبْدَاعُ أَمَكْنَتَهُ المَعْدَّةَ لَهُ.
تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ رِيْمُونَ عَازَارٍ مَهِيًّا لِقَوْلِ الشَّعْرِ، لَمَّا لَهُ مِنْ فَعَالِيَّةٍ
وَإِحْسَاسٍ وَفِيضٍ خَاطِرٍ، وَقُدْرَةٍ فِي التَّفْتِيشِ عَنْ حَلَاوَاتِ التَّعْبِيرِ

والبراعاتِ، والمهاراتِ في اختيارِ المفرداتِ المؤاتيةِ مِنْ دُونِ كَدٍّ أَوْ
جهدٍ، أَمَّا غايَتُهُ فهي دائِمًا أَلَّا يُتَّعَبَ المُرْسَلُ إِلَيْهِ.

مُقتطفات
من شعر
ريمون عازار

ظلالُ الشّذا

لا تخالي أنّه يُمحي القمَرُ
كلّما ذوّبَهُ الوجْدُ
على سُهدِ الليالي
فهو ينمو كالشّذا
خلف الظّلالِ
فإذا لاحَتْ هُنيْهاتُ السّمرِ
أو إذا ما نَجَمَاتُ
مِسْنٍ مِنْ غُنْجِ الدّلالِ
عاشقاً عادَ
وفي عَيْنِيهِ شَيْءٌ
مِنْ حَلَاوَاتِ الصّبَابَاتِ الخوالي.
لا تقُولِي كَلَّ التَّلْجُ الذُّرَى
غَمَرَ السَّقْحَ الضَّبَابُ
لا يَغِيضُ النّهرُ إِنْ مرَّ

وَتَعْلُو هَامَةً الْأَرْضِ
وَلَوْ جَفَّ التُّرَابُ
هُوَ كَالسَّيْفِ إِذَا خَطَّ الْعُلَى
رَقَّ فِيهِ حَدُّهُ الْمَاضِي
وَطَابَ.

نَحْنُ نَحْيَا فِي الْهَوَى
حَازِرِي لَا تُضْرِمِي نَارَ الْغَوَى
فَلَهَيْبُ النَّارِ يَقْوَى
وَالْخَطَرُ
كَلَّمَا شَاخَ عَلَى الْحُبِّ الشَّجَرُ.

بُحَيْرَاتُ السَّمَاءِ

مِنْ بُحَيْرَاتِ السَّمَاوَاتِ النَّقِيَّةِ
سَاوَرَتِ عَيْنَاكِ صَمْتَ الْحُبِّ فَيَا
أَمْلَاكِ أَنْتِ
أَمْ أَنْتِ عُبُورٌ مِنْ أَقْصَايِ الْأَمْسِ
يُغْرِي مُقَلَّتِيَا

خَلْتُ أَنِّي
وَأَنَا أَصْبُو بِذَاتِي
مِثْلَ مَوْجٍ يَرْتَقِي
نَحْوَ الثُّرَيَّا.

فَاغْمُرْنِي
لَا تَهْبُ الرِّيحُ إِنْ جِئْتُ
أَخَافُ الرِّيحَ تَنْهَارُ عَلَيَّا
وَاحْتَوِينِي
اخْتَذِلِي بِالْوَمَضِ عُمْرِي
فَأَنَا فِي لَحْظَةِ الْإِشْرَاقِ
أَحْيَاكَ زَمَانًا عَبَقْرِيًّا.

دَهْرُ ربيع

قُلْتُ مِنْ أَيْنَ
وَقَدْ مَرَّ الرَّبِيعُ
هَذِهِ الْأَرْضُ الشَّدِيَّةُ
وَالصَّبَابَاتُ النَّدِيَّةُ

تُوغَلُ الْقُبْلَةُ فِي الطَّيِّبِ
وَتَغْدُو
كَلَّمَا عَتَقَهَا الْحُبُّ شَهِيَّةً.
قُلْتُ إِنَّ الْحُبَّ لَا وَمِضَّةٌ صُبْحِ
لَا عَشِيَّةٍ
يُولَدُ الضَّوُّ عَلَى الشُّهُبِ
وَيَنُمُو
فِي سُرَى اللَّيْلِ الْوَسِيعِ
أَنَا فِي عَيْنِكَ أَسْفَارِي
وَدَهْرٌ عَبَّرَ عَيْنِكَ الرَّبِيعَ.

عُمْرُهُ الْحُبِّ

فَسَمُّونِي...
بَدِّدُوا مَاضِيَّ...
أَبْنَائِي... وَأَهْلِي...
صَوِّحُوا أَرْضِي...
وَتَارِيخِي... وَفَخْرِي...

أُخْرِجُونِي عَنْ مَدَارِي
 وَاهْدُمُوا مَا كَانَ فِي الْأَنْجُمِ
 قَصْرِي
 سَوْفَ أَبْقَى
 فَأَنَا أَقْوَى مِنَ الدَّهْرِ
 وَعُمْرُ الْحُبِّ عُمْرِي.

شلالُ زنبق

إِنَّهَا شَلَالُ زَنْبِقٍ
 وَطُيُوبٌ ... يَتَدَفَّقُ
 يَتَغَاوَى السَّحَرُ فِيهَا
 يَتَجَلَّى كُلُّ رَوْنَقٍ
 بِسَمَةِ تُغْرِي...
 وَقَلْبِي رَاحَ فِي الْأَحْلَامِ يَغْرَقُ
 فَتَرَانِي
 بَيْنَ يَأْسٍ وَرَجَاءٍ
 أَتَمَرَّقُ.

الجسد المشع

يَهْلُ نَدَاكَ

في البِيدِ الخوالي
فَتَنَّبْتُ فِيَّ واحاتُ الجمالِ
ويسطعُ طيفُكَ السَّريُّ حولي
فلا الأبعادُ تَحْجُبُ

والليالي

وَأَحْسَبُ في تتاجينَا
كَأَنِّي سَمَعْتُ اللهَ يَهْمَسُ
في الأعالي.

أنا عيناكَ وعدُّ وانتظارُ
فلا أحظى

وَأُْمَعِنُ في السؤالِ
أَيِّمُ للتناهي السَّمحِ وجهي
وللجسدِ المشعِّ
على رمالي.

أنا ما جِئْتُ كي أفني ترابًا
أُحِبُّ فلا أعودُ

إلى الزوالِ
 بحبِّكِ ها هنا
 أفرغتُ ذاتي
 لتغمرني الألوهةُ في المآلِ

هواكِ الذُّرى

سابقى حبُّنا الأبدىُّ أقوى
 من الشكِّ المدمرِ والأيادي
 ومهما شئتِ أنْ تتأَيَّ فإني
 مقيمٌ في هواكِ على الودادِ
 ويسكنُ في ذُرَى عينيكِ عمري
 ويهزُّ بالسفوحِ وبالوهادِ
 وأنشرُ حبَّكِ الخمرىَّ شعراً
 تتأقله الروائحُ والغوادي

قطفت الأنجم الزرق

لكما الأجيال تُهدي
وردة، من روضة الدهر، وفلة
لكما تسترجع الأرض الجمالات الأولى
وتحيي العيد أيدٍ
لوحت منذ الأزل
لكما الدنيا هُتافٌ
وضياءُ الله شُعلة
كلُّ شيءٍ لكما
للأم
أنى كانت الأم
ومن أية ملّة.

لكما العيدُ جمالاً ورجاءً
وملاكاً يحملُ البشرى...
لكما مملكةُ الشعرِ
وعرشُ الزهرِ
قصرٌ في البهاء.

وأنا كالطفلٍ خبَّأتُ ابتهاجاتي بقُبْلَهْ
 وقطفتُ الأنجمَ الزرقَ
 وضعتُ الشمسَ والبدرَ بسِلَّةْ
 ونسجتُ الشَّعرَ والأنعامَ حُلَّةْ
 واستبقتُ العيدَ أهدي
 مَنْ هما حبيّ وهمي
 زوجتي أمَّا
 وأمي.

فيك كلّ الأمّهات

أنتِ أمُّ فاضٍ منكِ الحبُّ
 أمُّ أنتِ صلاةٌ
 أمُّ جناحانِ ملاكانِ ونورٌ
 تلدينِ النورَ
 تُعطينِ الحياةَ
 أنتِ عينُ الله لا تغفو
 وكلّ البركاتُ

أُتْرَى قَدْ جُمِعَتْ
فِيكَ كُلُّ الْأَمْهَاتِ

كُلُّ حَرْفٍ إِذْ تَتَاجِبْنَ دَعَاءُ
كُلُّ خَفَقٍ فِي حَنَائِكَ ابْتِهَالٌ وَرَجَاءُ
كَلِّمَا هَلْ صَبَاحُ
كَلِّمَا جَفَّتْ يَنَابِيعُ الْعَطَاءِ
تُنْزِلِينَ النِّعَمَ السَّمَحَاءِ
تُدْنِينَ السَّمَاءَ.
كِي يَعْمَ الْحُبُّ فِي الدُّنْيَا
وَيُرْعَاهَا السَّلَامُ
كِي تَصِيرَ الْأَرْضُ أَفْرَاحًا
وَيَفْتَرُ الْخَزَامُ
كِي يُضِيءَ النَّيِّرَانُ
وَيَفِيضَ اللَّهُ، مَا تَبْغِينَ
خَيْرًا وَحَنَانُ
تَجْمَعِينَ الشَّمْلَ أَجْيَالًا وَأَطْفَالًا
عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ.

سَفَر

تقولينَ إنّ البحارَ لنمضي
 وإنّكَ أنتِ السفرُ
 وأُخلعُ عني الترابَ وأمضي
 ويسقطُ حولي القدرُ
 وأشهدُ أنّ المدائنَ تُبنى هناكَ
 وتُحمى وجوهُ
 وترسمُ منكِ الصُّورُ
 فألبسُ ثوبَ البهاءِ
 وأُطلقُ صوبَ السماءِ
 القمرُ.

توق إلى الأبهى

بدّلي من حولنا القُبْحَ جمالاً
 وانشري النورَ
 ففي دنياك قد حطَّ الرحالا
 ودعي الأنهارَ تحيي

واحةَ الأَمسِ
وببِداءِ الرَمادِ
واستعيدي فُسحةَ الوردِ
فشهرُ الوردِ
يُطوى ويُعاد.

أرجعي الدنيا إلى الحُبِّ
إلى آلهة الحبِّ خُذينا
أطلقِ أشرعةَ البحارِ فينا
واجعلينا جذوةَ التوقِ إلى الأبهى
فنغدو في تدانينا
احتراقاً وانصهاراً
أَقْفَرَتْ أَرْوَقَةُ الدنيا
أعيدي
مهرجانَ الشمسِ
عيدَ الأرضِ
أوراقَ الشجرِ
جدّدي الدهشةَ فينا والسؤالَ
واهربي قارورةَ الطيبِ

فلولا قطراتُ الطيبِ
أضحينا رمالا...

الوصول المستحيل

أُحِبُّكَ أَنِّي تَغَاوَى الْجَمَالَ
وَأَنِّي صَبَوْتُ وَعَزَّ الْمَنَالَ
وَأَكْتَمُ عَنْكَ لَوَاعَجَ حَبِّي
فَمَا كُلُّ مَا فِي الْقُلُوبِ يُقَالُ
كَأَنَّ الصَّحَارَى مَفَاذَةٌ عَمْرِي
أَمْرٌ، فَتُذْزِرِي الرِّيحُ الرَّمَالَ.

أَبُوحُ بِصَوْتِي الْخَفِيِّ
بَصْرَخَةٍ صَمْتِي الْقَصِيِّ
بَأَنِّي أُحِبُّكَ مَلءَ كِيَانِي
أُحِبُّكَ حَتَّى تَفْجَرِ ذَاتِي
فَأَغْدُو كُلُّ زَمَانٍ زَمَانِي
فَمَا كَانَ مَاضٍ وَمَا كَانَ آتٍ
أَتَوْقُ بِحَبِّي إِلَيْكَ

وَيُضْرَمُ قَلْبِي لَهَيْبِ السُّؤَالِ
وَأَسْأَلُ كُلَّ زَمَانٍ
أَبْعَضُكَ شِعْرٌ؟
وَبَعْضُكَ لَحْنٌ وَنَحْتٌ وَسِحْرٌ
وَأَرْسَمُ مِنْكَ بَرِيشَةً حَبِّي
الْقَفَارَ خَمِيلَةً.

وَأَمْضِي
وَتَمْضِي الْفُصُولُ
وَتَدْنُو رِيَا حُ الشَّمَالِ وَنَمْضِي،
فَمَا نَحْنُ بَعْدُ زَمَانُ التَّلَاقِ
وَمَا نَحْنُ بَعْدُ زَمَانُ الْفِرَاقِ
وَيَبْقَى بِصَدْرِي بَوَاحٌ يُقَالُ
وَأَسْعَى وَأَسْعَى
وَأَنْتِ الرِّحِيلُ
وَأَنْتِ الْوُصُولُ
وَأَنْتِ الْمُحَالُ.

أرجعيني

نعبّرُ العمرَ
ولا ندري إذا كنا صُحاةً أم سُكاري
تُزهرُ الدنيا حولينا صغارًا
ويشيخُ الروضُ فينا...
ينتهي الحبُّ
فنمشي، حيثما نمشي، حيارى.

أرجعيني،
كي يعودَ العمرُ طفلًا
كي تذوبَ الوردَةُ الحمراء في كفي
والأشواقُ حرّى
أرتوي بالكوثرِ اللهبِ
قبلَ الغورِ، نهلاً
لحظةً من حبّك الغامرِ تحييני
فتغدو اللحظةُ سمحاً دهرًا.

أرجعيني،
كي أرى الأشياءَ، أبهى
فأنا ما كنتُ من قبلُ لأحيا

أرجعيني

فيعودَ الكونُ، إنْ عُدْتُ، انبهاراً.

قصيدة في السراب

قلت لي: في كلِّ آنٍ

ترتمي عيناك فيّا

فكأنِّي منْ كتابٍ رائعٍ للحبِّ

تتلوني قصيدَه

أو كأنِّي في إيابٍ متتالٍ

أحملُ الدهشةَ منْ دنيا فريدة.

قلتُ: إنَّ المرأةَ الأعلى بهاءً

يملأُ الأرضَ جمالاً وخلوداً

ننشُدُ الأسمى ويُغرِّينا سراباً

كلَّما ندركُه يبقى سراباً

منذُ أنْ أُنزِلْتُ في الأسفارِ لغزاً

ما انتنينا نقرأُ الحبَّ

قراءاتٍ جديدة.

إختراق

أُغامرُ صوبَ أبعادٍ جديدةٍ
 وأرسمُ في الذُّرى والشمسِ حلمي
 وأخفقُ...
 فالمتاهاتُ سرابٌ
 ووهمٌ فيَّ يسقطُ
 إثرَ وهمٍ.

أحاولُ...
 والمحاولةُ اختراقٌ
 وحسبي أنْ يمسَّ الغيبَ سهمي
 وإنِّي كلما طاولتُ نجماً
 لكي يبقى المنالُ الصعبُ همِّي.

أطلقوا الفينيق

تعبَ الفينيقُ منّا
 ملَّ شعباً يَهْدُرُ العمرَ دماراً فدماراً

آيةٌ أنْ نصرعَ الموتَ بوطءِ الموتِ حيناً
وبما يبتدعُ العقلُ مراراً.

نفتحُ الأبوابَ للحبِّ
نصونُ الحقَّ، إنْ شئتَ انتصاراً
قدْ دُعينا، منذَ كانَ البدءُ، كي نحيا
وكيما نملاً الأرضَ بهاءً وازدهاراً
لا لنفنى
أو نظنُّ الدربَ للخلدِ انتحاراً.

ألحضاراتُ حوارٍ وسلامٍ
لا سيوفٌ ودماءٌ وصدامٌ
تتركُ الحربُ على التاريخِ جرحاً أبدياً
وتحيلُ النورَ ناراً.

فدعوا الفينيقَ يمضي
ذهبيَّ الصوتِ
ما فوقَ جنانٍ ومدائنٍ
أطلقوه
وانفضوا عن وجهِ لبنانَ رماداً وغباراً

واحفظوه
وحده لبنان يُفدى
واستفيقوا
جسدَ الفينيق للأجيالِ حلمًا
مستحيلاً... وتوارى.

عشرة أعوام (مترجمة)

عشرة مرّت، وجرحي ما اندمل
عجبًا، من قال أحيا
بعد إعمارٍ جَلّ؟
كلُّ شيءٍ ينتهي، كلُّ شيءٍ ينطوي
وحده الحب... فلا يُطوى
ويبقى في تلاوين الأزل.

كان عهدًا من صفاء ملء أيّامي الجميله
وانتشاء وسع أفراسي وأمجادِي الخَضِيلَه
عهدَ صحوٍ وشموسٍ
كان يكفيني ارتماءً

عَبَّرَ عَيْنِيهَا الذَّهَبُ
 كَانَ يَكْفِينِي ابْتِسَامُ
 فِيهِ أَغْدُو مِثْلَمَا الْخَمْرُ انْسَكَبُ
 فَهُنَاكَ الْحُلْمُ قَدْ كَانَ، وَمُلْكِي، وَالْأَرْبُ.
 أَمْسِيَاتُ كُنْتُ فِيهَا أَحْمِلُ الْوَهْنَ
 وَأَسْلَاءَ الرُّجُولَةَ
 فَتَلَاقِينِي بِوَجْهِ طَافِحٍ بِالْبَشْرِ، يُحْيِي
 فِي انْهْزَامَاتِي الْبُطُولَةَ
 تِلْكَ أَوْقَاتُ مَجِيدَاتٍ وَفِيهَا
 ذُقْتُ أَشْهَى الطِّيَّاتِ
 كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يُغْرِي
 كَانَ مِنْ حَوْلِي خَمِيلَةً

أَيْنَ تِلْكَ اللَّحَظَاتُ النَّيِّرَاتُ الشَّارِدَاتُ
 هَلْ تَرَاهَا احْتَجَزَتْ فِي حَنَائِي الْأَمْسِ
 فِي كَهْفِ الْحَيَاةِ؟
 فَاذْكُرِي يَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنْ كُنْتُ وَالْهَنَاءُ
 وَاشْهَدِي فِي صَمْتِكَ الدَّائِي
 لَقَدْ كُنْتُ الْوَفَاءُ.

وأنا في أمسيَ المسحورِ طيفٌ لا يَنَامُ
 فَهَنا خَبَّأتُ كنزي وفؤادي المُستَهَامُ
 أبداً لستُ بِنَاسٍ
 حُبِّي اللاّ يحتويه الحبُّ أو سِحْرُ البَيانِ
 كلُّ شَيْءٍ كانَ نَعْمَى
 كانَ وهجاً وسموّاً
 لا يدانيه مقامٌ.

تَلَكُمُ الأَيَّامُ، هَلَّا عُدْتُ آمالاً وسَعْدَا
 كانَ قَلْبانا لَصِيقَيْنِ صَبَاحاً وَمَسَاءً
 كنتِ يا سُلطانتي
 كنتِ يا قَدِيسَتي
 كنتِ، يا حَبّاً تَرامى للأَبَدِ،
 جَذوةً أَرنو إِلَيها
 خاشعاً أَشتاقُ عَينِها
 وأحيا في البَهَاءِ.

فاحرُسِيني يا ملاكي
 لَنَ يصيرَ النَّأيُ بُعدا

واعلمي، إن تتركيني
يُصبحُ الكونُ هباءً.

أين تلك الأمسياتُ الضاحكاتُ
والحواراتُ الأخرُ
أين أعيادُ تجلّتْ ذُرُوةُ الأفراحِ فيها
وتخطّى الحلمُ أحلامَ البشرِ

فاسطعي يا شمسُ، يا جنّيتي البيضاءَ
يا نجمًا تلالا في دياجيرِ الجلدِ
وأعضدي إبنك، أمّي،
إنني لو شخّنتُ، يا أمّي، بعينيكِ ولّد.

بيروت الطفولة (مترجمة)

بيروتُ يا أسطورةَ الرياحِ
يا دُرّةَ الشرقِ الأصيله
يا زورقي في رحلتي المثيرة

يا مرفأي، في عودتي الكبيرة
بيروتُ يا مدينتي الجميلة

أغفو على الآذانِ إذ تدنو تباشيرُ المساءِ
أصحو مع الأجراسِ في الصّبحِ الذي لاقى السماءَ
أعودُ من مدرستي المضيئة، المُسوَّرة
بحبّنا، بزهرة المدينة المنورة
أضمُّها في جعبي، لغاتنا العديدة
بصوتها أسبَحُ الحرية الفريدة

في ساحة الأعيادِ في أنشودة الأحادِ
نأتي مع الحبّ الذي يُزيّن الأولادِ
فنلتقي، وتنتهي همومنا الصغيرة
نُذيّبها كالثلجِ في أفواهنا النضيرة
وتُنتسَى أوقاتنا وذاتنا في لهونا
نكادُ ننسى في الأماسي أن نلاقي أهلنا

ولم أزل صغيرة بريئة نحيلة
لكنني سعيدة في جنّتي الظليلة

لَنْ يَسْرِقُوا أَحْلَامَنَا، لَنْ يَصْنَعُوا مِنَّا كِبَارًا
 نَحْيَا مَدَى مَا شَاءَنَا اللَّهُ صَغَارًا
 لَا لَنْ يَمَسُّوا طِفْلَنَا، فَبَيْتُنَا الْفَضِيلَةُ
 وَهَمَّنَا أَنْ نَلْتَقِيَ، أَنْ تَفْرَحَ الطُّفُولَةُ

يُوبَيْلُكَ الْحُبِّ وَلِبْنَانِ

جَاؤُوا مِنَ الْحَقِّ مِنْ عَمَقِ التَّقَى قَدَمُوا
 جَاؤُوا مِنَ الشَّمْسِ مَا ضَلُّوا وَمَا هَرَمُوا
 قُدُّوا مِنَ الدَّهْرِ، قَنُوبِينَ صَخَرْتُهُمْ
 مَا فَتَّ مِنْ عَزَمِهِمْ قَهْرٌ وَلَا أَلَمٌ
 لَمْ يَبْتَغُوا عِزْلَةً، بَلْ يَمَّمُوا وَطَنًا
 لِلْحُبِّ دِينَ، وَلِلْأَحْرَارِ مُعْتَصَمٌ
 أَهْلُ الْكَرَامَةِ، وَكُرُ النُّسْرِ مَسْكَنُهُمْ
 الْأَرْضُ حَرَثُهُمْ وَالْعِلْمُ وَالنَّعْمُ
 هُمْ الْمَوَارِنَةُ الشَّرْقِيُّ مُحْتَدُهُمْ
 مَا عَفَّروا جَبْهَةً يَوْمًا وَمَا هَزَمُوا

هُمُ الفوارسُ إنْ مُسَّتْ مبادئُهُم
هُمُ الضيَاءُ إذا ما اشتدَّتِ الظَّلمُ
إنْ قيلَ حريّةٌ قلْ عندهم نَشَأَتْ
أو قيلَ حقٌّ فقلْ في سيفهم قَلَمُ
هُمُ صرخةُ الضادِ أنْ هَبَّوا فأمتَّكم
إنْ يُذكرِ المجدُ كانتْ دونها الأَمَمُ
بهمُ ترسَّخَ أنَّ العُربَ ملحمَةٌ،
منْ قبلُ كانوا النُّهى، والغربُ يغتنمُ
هُمُ وحدةُ العيشِ، سلْ لبنانَ قاطبةً
هُمُ العمادُ، إذا ما انهَدَّ تنهدمُ
لا، ما تقوِّعَ مَنْ في الشَّهْبِ دارتْهم
تُبْنى، فتدنو بها البلدانُ والتخُمُ
إنْ ضلَّ بعضٌ، فكمْ في الناسِ مَنْ كفروا
فالكلُّ متَّهمٌ، والكلُّ متَّهمٌ.
جاؤوا منْ النورِ، ماجتْ مِنْ مناسِكهم
مواكبُ الخلقِ والإبداعِ تزدحمُ

فأيقظوا الشرقَ، ما دكّوا معالمه
 ما كان بالسيفِ، بل بالحرفِ فتحهم
 في عينِ ورقّة، في روما مدارسهم
 إن عزّ صرخ، فتحت الدوح درسهم
 ردّوا لبيروتَ، أمّ الشّرع، مدرسة
 كأنّما استرجعت أجسادها الرّم
 وسُميت "حكمة" كالْفجرِ طالعة
 لبنانُ ثبت بها، والعلمُ والقيمُ
 قرنٌ وربّع، ويهوي عمرنا هَرماً
 وعمرها الدهرُ، لا وهنٌ ولا هَرَم
 يا يوسف الدبس هل في الدهرِ من رجلٍ
 قد قيل فيه: أفردت أم أمم
 هنا بنيت، كما بينون، جامعة
 كأنّك النَّدُّ إن جاريتهم عظموا
 للضاد قلّت إليك الصرخ أرفعهُ
 هنا عكاظ، هنا للمربد الذّم

وَقُلْتُ لِلْفَقْهِ كُنْ مِنْهُ عَلَى رَحَبِ
فَعَنَّا دَنَا الْفَقْهُ بِاللَّاهُوتِ يَلْتَحِمُ

كَأَنَّكَ الْأَزْهَرُ الْمَصْرِيُّ تَتَبَّعُهُمْ
أَوْ أَزْهَرُ التُّرْكِ فِي بِيْرُوتَ يَلْتَمُّ

تَسْأَلُ الْقَوْمُ: مَطْرَانُ يَبْشُرُنَا؟
أَمْ أَنْتَ تُفْتِي وَكُلُّ النَّاسِ تَحْتَكِمُ؟

لَا فَرْقَ، قُلْتُ، فَهَذَا نَهْجُ "حَكَمْتَا"
بِيْرُوتَ تَصْهَرُنَا وَالشَّعْبُ يَنْتَظِمُ

فَعَانَقَ الْجِبْلُ الْآتِي مَدِينَتَهُ
وَكَانَ فَجْرٌ مِنَ التَّوْحِيدِ يَرْتَسِمُ

أَبْنَاؤُكَ الصَّيْدُ، كَمْ دَانَتْ لَهُمْ قِمَمُ
لَمْ تَخْطُ قَبْلَهُمْ مِنْ فَوْقِهَا قَدَمُ

فِي الشَّعْرِ، فِي النُّثْرِ، فِي الْعِلْيَاءِ مِنْبَرُهُمْ
فِي الْفَنِّ، فِي الْحَكْمِ، فِي الْأَخْطَارِ تُقْتَحَمُ

جَبْرَانُ مِنْهُمْ، وَكَمْ لِلْفَكْرِ مِنْ هَرَمِ
مَنْ قَالَ فِي مِصْرَ؟ لَا، فِي أَرْضِنَا الْهَرَمُ

هَمَّ سَادَةُ الضَّادِ وَالْإِعْجَازُ فِي يَدِهِمْ
 إِنْ تَرَحَّلَ الْأَسَدُ فَالْأَشْبَالُ تَسْتَلِمُ
 نَبَقَى لَهَا الْحَصَنَ، لَا مُسَّتْ، فَنَهَضَتْهَا
 مِنْ بَعْدِ رَهْبَانِهَا فِي "الْحَكْمَةِ" الْحَرَمُ
 أَعْطَيْتَنَا اللَّهُ، مَا عُدْنَا لَطَائِفَةَ
 لَا لِلْمَذَاهِبِ، فَالْإِنْسَانُ يُحْتَرَمُ
 مَنْ ذَا يَفَرِّقُ، فَالْأَدْيَانُ وَاحِدَةٌ
 إِنَّا جَمِيعًا "بِحَبْلِ اللَّهِ نَعْتَصِمُ"
 هَدَى الْكِنَائِسِ وَالْخَلَوَاتِ فِي دَمِنَا
 مِثْلُ الْمَسَاجِدِ يَدْعُونَا فَنَنْسَجُمُ
 لِبْنَانُ يَجْمَعُنَا وَالْكُونُ مَلْعَبُنَا
 كُلُّ الطَّوَائِفِ فِي أَفْلَاكِهِ نَجْمُ
 أَلْبَسْتَنَا الشَّرْقَ بِالْأَمْجَادِ مَتَشَحًّا
 عَلَّمْتَنَا الْغَرْبَ بِالْإِشْعَاعِ يَضْطَرُمُ
 عَشْنَا الرِّجُولَةَ نَقَشْنَا فِي حَدَائِثِنَا
 وَفِي الشَّبَابِ تَجَلَّى الْعِزْمُ وَالْهَمَمُ

أَظَلَقْتِنَا رِسَالاً لِلْحَقِّ فِي وَطَنٍ
نَحْمِي السِّيَادَةَ، أَوْ لِلْمَوْتِ نَبْتَسِمُ
أَبْنَاءُ لِبْنَانٍ بِالْحَرِيَّةِ اعْتَمَدُوا
لَا يَقْهَرُونَ، فَشَعْبُ الْمَسْتَحِيلِ هُمْ
سَلِّ الْجَنُوبَ، تُبَلِّغْكَ الْعُلَى نَبَأً
هُمْ الْبَطُولَاتُ لَمْ يَحْلُمَ بِهَا حُلُمُ
هُمْ الْمُقَاوِمَةُ الْغَضَبِي مَزْمَجِرَةٌ
يَفِرُّ مِنْ وَجْهِهَا أَعْدَاؤُنَا الرَّجُمُ
مَا وَقْفَةُ الْعِزِّ إِلَّا مِنْ تَوْهَجِنَا
فَلَيْسَ أَلُوا الْمَجْدَ وَالتَّارِيخَ لَوْ عَلِمُوا
مِنْ عَهْدِ صَيِّدُونَ، مِنْ صُورٍ، بِنَا شَغَفُ
أَنْ نَصْرَعَ الْمَوْتَ، أَوْ بِالْمَوْتِ نُخْتَلِمَ
يُوبِيْلُكَ الْحَبُّ دَفْقٌ مِنْ جَوَارِحِنَا
فَكَمْ غَفَرْنَا لِمَنْ فِي الْحَبِّ قَدْ أَثْمُوا
تَعَوُّدُ أَيَّامُنَا كَالشَّمْسِ مَشْرِقَةً
وَيَنْتَهِي الْغَضَبُ وَالْعَدْوَانُ وَالنَّهْمُ

لبنانُ أقوى، بنا يخطو، ويقهرُها
لا فوقَ لبنانَ إلا الله نلتُـزَمُ

يمشي التراب

هل مثلك الشَّعرُ، أم هل مثلك الشَّيمُ
أم قد شدوت، فكان الشَّعرُ والكرمُ
أم جئتَ تترك في إبداعنا أثرًا
كأنَّه الأرضُ في لبنان والقممُ
جلوتَ لهجتَنا، ألبستَها حُلا
حتى لتزهو كالقصْحى وتلتَـزَمُ
كشفتَ فيها بحورًا مالهها عددُ
توحي وتنطق ما شاعتُ بها الكلمُ
وتوجَّوْكَ أميرًا فوقَ ثالثةٍ
من المدارسِ فيها الشَّعرُ يعتصمُ
إنَّ ظلَّ شعركَ بالمحكي منسكبًا
فإنَّه الفتْحُ معقودٌ له العلمُ

يعلو ويعلو فلا نسرٌ يطاولُهُ
إلاَّ إِلَيْهِ عُلَى ما تاقَتِ النُّجْمُ

يمشي الترابُ إذا خاطبَتْهُ وَلِهَـا
ويمحي القفرُ أنى شئتَ والعدمُ

يا ذا المروعةِ والأبوابِ مشرعةً
تُهْدِي وتعضدُ مَنْ زَلَّتْ بِهِ قدمُ

قِيلَ الصداقةُ، قلنا أنتَ سيِّدُها
وقيلَ في النُّبْلِ: فيكَ النُّبْلُ يُخْتَمُ

يا راسخَ الرأيِ لا تُخَفِ مقاصدُهُ
يا ثورةَ الحقِّ لا تنفكُ تقَّـتَحُمُ

ترتدُّ عنكَ قوى التدميرِ لاهثةً
كأنَّكَ الطودُ لا ينهدُّ والهـِـرمُ

أخي، ذكـرْتُكَ، كم عانيتَ مِنْ أَلَمٍ
وكم تمزَّقتَ والأحداثُ تحتَ قدمِ

أنى توجَّهتَ كانَ الفـتـكُ مزدحمًا
وكانَ لبنانُ ما عاثوا وما هـدموا

دَكُّوا الحضارة، ظَنُّوا أَنَّ مَمْلَكَةً
 تُبْنَى عَلَى الْقَهْرِ مَلِكٌ لَيْسَ يَنْصَرُمُ
 وَمَا دَرَوْا أَنَّ لِلتَّارِيخِ غَضَبَةً
 وَالْحَقُّ يَعْلُو وَأَنَّ الْخَاسِرِينَ هُمُ
 رَدَدَتْ بِالشَّعْرِ تُلْغِي الْحَرْبَ مِنْ غَدِنَا
 بِالْحَرْفِ لَا الْحَرْبِ تَبْنِي مَجْدَهَا الْأُمَمُ
 إِنَّ ظُلَّ وَجْهِكَ لِلْأَعْدَاءِ مَبْتَسِمًا
 فَالْحَبُّ وَحَدَهُ لِلْأَعْدَاءِ يَبْتَسِمُ
 يَا شَاعِرَ اللَّحْظَةِ الْعِزِّ تَنْزِلُهَا
 كَمَا النِّبْوَةُ وَهَجًّا وَالْمَدَى ظُلْمُ
 يَا شَاعِرَ الْيَوْمِ وَالْإِبْدَاعِ تَدْهَشُنَا
 بِرُوعَةِ الْفَنِّ، بِالْأَضْدَادِ تَتَسَجَّمُ
 يَا شَاعِرَ الْأَرْضِ وَالْإِنْسَانِ كَمْ كَبُرَتْ
 بِشَعْرِكَ الْأَرْضُ وَالْإِنْسَانُ وَالْقِيَمُ
 يَا شَاعِرَ الْحُبِّ، كَمْ لِلْحُبِّ أَغْنِيَةٌ
 مِنْكَ النِّشِيدُ، فَيَسْمُو الصَّوْتُ وَالنَّغْمُ

يا عاشقاً، وعروسُ الشَّعرِ عاشقةٌ
 بالحسنِ بالنَّورِ في رؤياك ترتسمُ
 الوحيُّ منها ورمزُ الخلقِ امرأةٌ
 والحبُّ دينٌ به العشاقُ تنظَّمُ.
 إليَّ يا مَنْ حوارِ الشَّعرِ تقرُّأه
 ومَنْ إليه الكلامُ الفصلُ يحَتَكُمُ
 قالوا: مضيت! فأهلُ الأرضِ ما خلدُوا
 قلنا الخلودُ بما خطَّوا وما نظَّموا
 يمضي الزمانُ ويبقى في ملاعبه
 مَنْ ساحةُ الشَّعرِ، أو مَنْ ساحةُ القلمِ

قلمٌ لا يتعب

قلْ لهذا الشرقِ: نحنُ العربُ
 كتبوا بالحقِّ أو لم يكتبوا
 أنقذَ الدهرُ بنا أمَّتهمُ
 لو توانينا لحلَّ الخطِّبِ

واضـمـحـلـتْ لـغـةً قـدسـيـةً
وامـحـلـتْ آثـارُنـا والنـخـبـ

واسـتـبـاحَ التـركُ ما كان لنا
وانتـشـروا بـالقـول: ولـى العـربـ

ذاكـرُ يـا دـهـر مـن أـقـلامـنا
صـرـخـةً دوتْ فـعـم الغـضـبـ

وصـحـا التـارـيـخُ مـن غـفـوتـه
ثـارتِ الصـحـراءُ، هـبّ المـغـربـ

فـإذا النـهـضـةُ فـجـر زاحـفـ
وإذا رايـاتُنـا تـقـتـربـ

ذاكـرُ يـا دـهـرُ كـم روادُنـا
أثـبتـوا فـي الشـرقِ أنـنا العـصـبـ

تـوجّ اليـومَ أـمـيـرًا مـنـهـم
يـزدهـي الغـارُ بـهـ والـرتـبـ

مـنـذُ قـرنٍ بـشـرَ النـور بـهـ
فـتـلاقـتْ بـالعـنـاقِ الشـهُبـ

كـرمٌ مـنْ كـرمٍ جـادٍ فـما
 جـادَهُ البـحرُ الرّحـيبُ اللّـجـبُ
 عـالَمٌ مـنْ أدبٍ، يـحـكـي العـلـى
 صـُـحـفـي حـبـرُهُ يـلـتـهـبُ.
 ومـشـى فـي النّـاسِ يـسـتـهـدي النّهـى
 رأـيـه الحـقُّ الطّـايـقُ الأصـابُ
 يـكـتـبُ الفـصـحـى فـتـجـري كـوثرًا
 أو كـنـهـرٍ فـاضٍ مـنـه الـذّهـبُ
 صـفـحـاتٌ خـلـتـها مـنـزلةٌ
 قـلٌ قـرـيشٌ جـودتْ أو تـغـلـبُ
 مـفـردٌ، كالشّـمسِ فـي ذروتهـا،
 كـلّمـا زادَ عـطـاءٌ يـخـصـبُ
 هـبٌّ فـي أرجائنا "عاصفة"
 يـومَ جـارِ الحـاكـمِ المـنـتـدبِ
 صـاعـقاتٌ صـبّـها مـثـلَ الرّدى
 زلـزـلتْ أهـلَ الغـوى فـاحـتـجـبوا

ضَامَةٌ الْحَقُّ فَمَا مَالٌ بِهِ
 يَغْضَبُ الْحَقُّ، وَلَا يَنْسَحِبُ
 يَطْرُدُ الْبَاعَةَ مَنْ هَيْكَلِهِ
 كُلُّ مَنْ عَاثُوا وَمَنْ قَدْ نَهَبُوا
 صُحْفِي حَقٌّ رَ الْمَالِ إِذَا
 شَمَخَ الْمَالُ وَرَاجَ الْكَذِبُ
 لَيْلَتَانِ، بَعْدَ أَلْفٍ، خَطَّهَا
 قَلَمٌ مَنْ عَقَرٍ لَا يَتَعَبُ
 أَعْجَزْتَهُمْ، فَنَأَوَّا عَنْ مِثْلِهَا
 فَهِيَ "لَيْل" شَمْسُهُ لَا تَغْرُبُ
 مَسْحًا تَحِيلاً كَانَتْ أَمْ أَحْجِيَّةً
 أَمْ كِتَابًا لَمْ تَسْعُهُ الْكَتَبُ
 إِنْ رَوَى التَّارِيخُ فَخَرًا وَسَنَى
 تَسَطَّعُ الشَّامُ، وَتَزْهَوُ يَثْرِبُ
 أَيُّهَا الشَّرْقُ الَّذِي نَنْشُدُهُ
 هَلْ دَهَاكَ الْمَوْتُ أَمْ قَدْ تَثَبُّ

هَلْ تَعُودُ الظَّلْمَةُ الْكَبْرَى بِنَا
لِعَصَـوَرٍ دَمَّرَتْهَا النَّـوَبُ

أَلرَّسَّالَاتُ هُنَا مَهْبِطُهَا
وَالْحَضَارَاتُ بِنَا تَحْتَسِبُ

فَافْتَحُوا الْكَوْنَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ
وَاسْتَتِيرُوا، جُلَّ مَنْ لَا يُنْكَبُ

أَوْ تَمُوتُوا وَيُـوَارِى مَجْدُكُمْ
وَيَقُولُ الدَّهْرُ: حَقًّا ذَهَبُوا.

لَمْ يَزَلْ فِي الْأَفْقِ بَعْضٌ مِنْ ضَحَى
وَصَدَى مَنْ نَهَضَ يَضْطَرِبُ

فَخَذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ أَعْلَامِنَا
قَدَّسُواهُمْ، قَامَ مَنْ قَدْ صُلِبُوا

وَأَقْرَأُوا فِي "كِرْمٍ" تَارِيخَهُمْ
وَلَكُمْ قَبْضُ الْعُلَى وَالْغَلَبُ

مَنْ إِلَّاكَ مُعْتَصِمٌ

فِي ذُرْوَةِ الْمَتْنِ مَعْقُودٌ لَكَ الشَّمَمُ
قَفٌ فِي الْأَعَالِي، فِدَاكَ الْمَتْنُ وَالْقَمَمُ

وَبَشَّرَ الشَّعْبَ أَنْ لِبْنَانَ مُنْتَصِرٌ
لِلْخُلْدِ لِبْنَانُ، لَا مَوْتَ وَلَا عَدَمُ

أَبْنَاؤُهُ الْأُسْدُ مَا هَانُوا وَمَا يَأْسُوا
وَفِي الْعِزَائِمِ نَارُ الْعِزْمِ تَضْطَرُّمُ

مَنْ كَانَ مِثْلَكَ فَالْإِعْصَارُ يَرْهُبُهُ
تَمْضِي الرِّيحُ وَيَبْقَى الْخَيْرُ وَالنَّعْمُ

مَنْ صَخَرْنَا الصَّلْدَ فَجَرَّ مَاءَنَا زَبَدًا
وَلَيَّرَتُوي النَّاسَ، أَنْتَ النَّبْعُ وَالْدِّيمُ

قُلْ لِلْمِيَاهِ انْهَضِي مَنْ تَحْتَ تَرْبَتِنَا
كَمَا "لِعَازَرُ" أَحْيَيْتَ رَمْسَهُ الْكَلِمُ

شَبْرُوحُ قَامَ، وَحَلَمُ الْجَرْدِ تُتَجَرُّهُ
وَالْيَوْمَ تَأْتِي وَحَلَمُ الْمَتْنِ يَنْتَظِمُ

هناكَ سَدٌّ وفي المِتنِ ارتوى عطشٌ
 مِنْ "كهفِ عازارٍ" دَفَقَ دُونَهُ الكَرَمُ
 يا جامعَ المجدِ جَنَدِيًّا، ومُؤْتَمَّنًا
 على المصيرِ، تَأَلَّقَ تتجَلَّى الظُّلُمُ
 لولاكَ ما عَزَّ أَمْنٌ أو زها وِطْنُ
 لولاكَ ما كانتِ الأحداثُ تُخْتَمُ
 صُنْتَ الشَّمالَ، وفي أَقصى الجنوبِ رَأَتْ
 عواصِمُ الأرضِ إِسْرَائِيلَ تتهزَّمُ
 إنْ قِيلَ جيشٌ فمِنْ إِيَّاكَ وَحْدَهُ
 وفي المَلَمَّاتِ مِنْ إِيَّاكَ مُعْتَصِمُ
 كُنْتَ الرِّئِيسَ فما مَيَّزَتْ طائِفَةٌ
 كذا الأبْوَةَ فِي الأبناءِ تَلْتَمِمْ
 أَجْدادُكَ الصَّيْدُ والتَّارِيخُ يَكْتُبُهُم
 أَنَّ الحِوَارَ وَأَنَّ الانْفِتَاحَ هُمُ
 يا قوَّةَ الحَقِّ، شَيِّدْ في العلى قَمَمًا
 حَتَّى لَيْسُنَّالَ هَلْ مِنْ وَهْجِها النَجْمُ

سَيُوفُكَ الشَّعْبُ، أَنَّى شِئْتَ تَشْهَرُهَا
 وَفِي الْمَحَافِلِ جَيْشٌ عِنْدَكَ الْقَلَمُ
 أَنْتَ الثَّوَابِتُ لَا تَتَفَاكُّ تَحْفَظُهَا
 تَهْوِي الْجِبَالَ وَلَا يُطْوِي لَنَا عِلْمُ

نَجِيّ الزَّهَرِ

عَمْرُهُ الْحُبُّ،
 وَهَلْ لِلْحُبِّ عَمْرٌ...؟
 يَشْمَخُ النَّسْرُ وَإِنْ شَاخَ
 وَيَحْلُو فِي دَنَانِ الدَّهْرِ خَمْرُ

لَا تَقُلْ قَدْ جَاوَرَ الْقَرْنَ، فَمَنْ
 سَامَرَ النُّجُمَاتِ فِي الْأَفْلَاكِ بَدْرُ
 أَوْ تَقُلْ فِي الْأَمْسِ قَدْ كَانَ شَبَابًا!
 إِنَّهُ الْآنَ شَبَابٌ، وَسَيَبْقَى،
 فَنَجِيّ الزَّهْرِ فِي الْجَنَّاتِ زَهْرُ.

هوذا الأولادُ والأحفادُ
 مِنْ حَوْلِكَ دُنْيَا،
 لَكَ فِيهَا، أَيْنَمَا يَمُمَّتْ، شَطْرُ
 أَرْزَةٍ أَنْتَ،
 ونحنُ الغرسُ،
 مِنْ رِيَّاكَ عَطْرُ.
 فاسْكُبِ الأَيَّامَ مَعَ "ليلاك"
 كأسًا مستطابًا
 لَيْسَ فِيهَا نَشْوَةُ الآبَاءِ سَكْرُ
 وافرحا، قد شِدْتِما، بالحبِّ
 بيتًا مستضاءً
 فالبناءُ الصَّلْبُ فوقَ الصَّخْرِ،
 صخرُ.

اسكني لبنان

وُلِدَ الكَوْنُ جَدِيدًا
 عِنْدَمَا قَالَتْ نَعَمْ
 هَزَجَ الأَرْدُنُّ

مَا جَتُ رَاسِيَاتُ الْأَرْضِ
 صَارَتْ غُرْبَةً الْإِنْسَانِ
 أَوْطَانًا رَغِيدَةً
 وَتَلَاقَتْ فِي عِنَاقٍ،
 فِي ذُرَى الشَّرْقِ
 سَمَاءٌ وَقِمَمٌ.

ذَهْلُ الدَّهْرِ
 وَرَاحَتْ تَسْأَلُ السِّرَّ الْأُمَمَ
 كَيْفَ يَغْدُو اللَّهُ، يَا عِزَاءُ، مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ؟
 فَاسْتَوَتْ كُلُّ النَّبَوَّاتِ، تَتْلُو الْوَحْيَ مِنْ سِفْرِ الْقَدَمِ،
 وَتَرَاءَى آدَمُ الْمَنْسِيُّ يَطْفُو،
 فَوْقَ أَغْوَارِ الظُّلَمِ،
 لَبِسَتْ حَوَاءُ ثَوْبَ النُّورِ،
 صَارَتْ آيَةً الْآيَاتِ فِي التَّارِيخِ...
 مَنْ يَجْلُو وَيَفْهَمُ؟
 إِنَّهُ اللَّهُ،
 وَمَنْ غَيْرُهُ اللَّهُ يُزِيلُ الْمُسْتَحْيَلَاتِ
 وَيُحْيِي مِنْ عَدَمٍ؟

من "جليل" جنّت يا عذراء قانا
 من شذا الأطياب في أقصى الجنوب
 قاذك العرس إلينا
 تعلنين الآتي باسم الرب هدياً للشعوب
 تسألين الإبن، يُعطِ الإبن خيراً وسلاماً
 فاسكبي من خمرة الروح المُدما
 وامزجيهما بخمور الأرض
 كيما نعبُر الأعراس بين الله والأرض انسجما
 أمطرينا بالنعْم...
 فبك الخلق اعتصم.
 للسماء ارتفعت، صلوات الشكر، في "لورد" الشفاء
 فرفعنا، لك في لبنان، رمزاً،
 مثلما في "لورد"، حباً ووفاء
 أينما قد كنت يا عذراء
 أنت الأم، أبواب السماء.
 إنما لبنان أبهى
 فاسكنيه، وزعي منه العطايا والرجاء
 شعبه لا يستسيغ العيش إلا
 أن يكون الحب مريم.

أَرْسَلِي الرُّوحَ إِلَيْنَا
 وَلِيَحِلَّ الْحُبُّ فِيْنَا
 قَدْ تَفَرَّقْنَا فَيَا أُمَّ اجْمَعِينَا
 لِيُظَلَّ الشَّرْقُ "بِالْبُشْرَى" بِهِيَا
 إِنَّ لِبْنَانَ مَخَاضٌ
 خَلَّصِيهِ
 فَسَوَاءٌ إِنْ تَحِيَّتِ الْمَذُودَ السَّرِيَّ
 أَوْ كَانَ مَكَانًا فِي ظِلَالِ النَّخْلِ مَخْفِيًا قَصِيًا
 أَلْبَسِي التَّارِيخَ وَجْهًا بَشْرِيًا
 أَنْجِبِينَا مِنْ جَدِيدٍ
 فَغَنِّي الْيَوْمَ، مَا قَدْ قُلْتَ فِي الْأَمْسِ، نَشِيدًا نَبَوِيًا
 صَنَعَ الرَّحْمَانُ فِي الشَّعْبِ الْعِظَائِمِ
 وَبِهِ عَزَّ وَجُودًا وَالتَّحَمُّ.
 يُؤَلِّدُ الْكَوْنُ جَدِيدًا
 كُلَّمَا قَدْ قُلْتَ يَا أُمَّ نَعَمْ.

مقتطفات من نثر ريمون عازار

أؤمن بالشعر

أؤمن بأنَّ الشعرَ هو رؤيا، وبأنَّ الشاعرَ هو الرائي، وبأنَّ القصيدةَ سفرٌ في آفاقِ الإشراقِ والأسرارِ والانخطافِ، عبورٌ في مسافاتٍ نورانيةٍ يتلاقى فيها الماضي والحاضر والمستقبل. وبقدرٍ ما يُعطى للشاعرٍ من موهبةِ الكشفِ، والإبداعِ، ورهافةِ الحسِّ، وقوَّةِ النفاذِ من خلالِ المادةِ إلى ما خلفِ المادةِ، ومن خلالِ العَرَضِ إلى الجوهرِ، وبقدرٍ ما تتجذَّرُ تجربته، ويغوص في أعماقِ الكونِ والإنسانِ... تكون رؤياه الشعرية أصيلة مدهشة، وترتفع قصائده كأعمدة من نور.

والشعر، كالنبوءة، يستطيع أن يفجّر في نفس الإنسان ذلك الفيض من الشعورِ العجيبِ، ويخطفه إلى عالمِ الدّهشةِ والرؤى. لأنَّ الشعرَ هو أجنحة الإنسان. إنَّه مرآة تتعكّس فيها التجربة البشرية. الشعر ليس فقط الخيال أو العاطفة أو الأسطورة أو الدين أو التاريخ أو الفلسفة أو الفكر أو الثقافة بوجه عام، بل هو ذلك المزيجُ السريُّ الذي يتكوّن من خلاصة هذه المظاهر النفسية والثقافية جميعها.

وإذا كان الشعر رؤيا، فالرؤيا هذه تتطلق في الأصل من الواقع وتحافظ على ملامحه بحيث تبقى جذورها ضاربة في أعماق الحياة والإنسان، ومهما صعّدت في أجواء الغرابة والضياء. فالشعر، كتبت مرة، شجرة وارفة الظلال، جذورها في التراب وأغصانها في السحاب، أو رؤيا تلوح من خلف الجبل، فيتجلّى أمامنا الأفق، ويخطفنا الضياء.

الشعر هو البعد الجديد الذي يعطيه الشاعر للكلمة، بل إنه القدرة على إدراك ما لا تقوله الكلمات، والعبور المدهش من المألوف إلى غير المألوف، ومن الممكن والمحدود إلى ما يتعدى حدود المكان والزمان، في صيغ بيانية تمسّها عبقرية الشاعر، فنتحوّل إلى لغة فوق اللغات، بل إلى ما يشبه الفيض والإشراق.

والشعر هو المادة الشعرية قبل أن يكون الشكل واللون. يؤكد ذلك أن الشعر العالمي الخالد، لم يصل إلينا في نمط واحد، بل في أنماط وقوالب مختلفة، ترجع إلى عصور وحضارات ولغات شتى. لهذا فأنا لا أتصّب للشكل، بل إلى ما يكتنزه، وأرتاح إلى القصائد الكلاسيكية، كما أرتاح إلى القصائد الحديثة، وحتى إلى قصائد النثر. فالمهم أن أقع على الشعر الجيد المضيء، وأن أكون تجاه تجربة شعرية فذة، وليس أمام كلمات مرصوفة، جمعت بدون ذوق أو لون أو عطر أو نغم أو مسحة إبداع، فلا تثير فينا سوى القرقة والضجيج، ولا تذكرنا إلا بالكلمات المتقاطعة.

والشَّعرُ هو فنٌّ صعبٌ يحافظُ على الأصولِ، وينطلقُ من التَّراثِ في رحلةِ التجدِّدِ والتَّجديدِ. وكلُّ شعرٍ لا تضرب جذوره في التَّراثِ يسقطُ، وإذا عاشَ فلفترة الصَّبَّاحِ، مثل الشَّجرة التي تُقْتَلَعُ من التَّربة، وتُلْقَى في وهجِ الشَّمسِ فتبيسُ وتموتُ. لهذا فأنا ضدُّ أولئك الذين يسلكون سبيل الغموضِ المتعمَّدِ، وشعرِ الكلماتِ المتقاطعة الذي لا ينطوي إلَّا على الفراغِ، ليُوهموا النَّاسَ بأنَّهم عظماء في ملكوت الشعرِ الحديثِ.

إنَّني لا أرفضُ المحاولاتِ الشَّعريَّةَ الحديثةَ، حتَّى ولو تَمادت في جرأتِها، على أن تكون محاولاتِ فِذَّة. ولكنَّني لا أطرحُ التَّراثَ جانبًا، ولا أُنكِّرُ للمكاسبِ التي حقَّقتها الجهدُ الإنسانيُّ المتواصلُ، بل أظلُّ ضنينًا بها جميعًا، وأنطلقُ منها لأسهم في إعلاءِ عمارة الشعرِ، إيمانًا مِنِّي بأنَّ التجديدَ يكونُ في تكثيفِ الشعرِ من الدَّاخلِ بالأبعادِ الإنسانيَّةِ والحضاريَّةِ والجماليَّةِ، أكثر ممَّا يكون في الشَّكلِ. وعندما تتجح محاولاتُ التجديدِ الحديثِ الجريئة، تضافُ إلى التَّراثِ، وتصبحُ جزءًا منه ومصدر غنيَّ جديدًا. إنَّ بابَ الاجتهادِ في المضمونِ والشَّكلِ يجب أن يظلَّ مفتوحًا.

وقد انطلقتُ في شعري من الأوزانِ التي وضعها الخليل، دون أن أُنقِدَ، من حيثُ الشَّكلُ بالنَّمطِ الكلاسيكي، وإنَّ سكبتُ شعري مرارًا في قصائدٍ كلاسيكيَّةِ الشَّكلِ. فالنَّفَعِيَّاتُ الخليليَّةُ هي في الشعرِ، كالنَّوطة في الموسيقى، وحروف الهجاء في الكتابة، بحيثُ يستطيعُ الشَّاعرُ أن يسكب

رؤياه الشعريّة - مهما كان شعوره واختلاجاته، ومهما كان النغم الذي يتردد في كيانه - في تلك الأوزان الأصوليّة، أو المتطوّرة، انطلاقاً من التفعيلات ذاتها. فالشعر مثل أيّ فنّ جميلٍ آخر، ينمو في الأصوليّة، ويموت في الفوضى.

وإذا كنت في شعري، بالإضافة إلى الأوزان الأصوليّة والمتطوّرة، أحافظُ على القافية وإنّ متعدّدة، فذلك لأنّ الوزن والقافية يعطيان القصيدة بُعداً إيقاعياً، هو أحد مقومات الشعر. والقافية المتعدّدة لا تشكّل قيداً يحدّ من انطلاقّة الرؤيا الشعريّة، بل هي تُساعدُ على تجلّي الرؤيا وصقلها، وتمدّها بروافد موسيقيّة تزيد في روعتها وجماليّتها، خاصّة أنّ الشاعر هو سيّد القوافي، يتصرّفُ بها كما يشاء، فينثرها كثيفة هنا، وموزعة هناك، وفقاً لما يفرضه جوّ القصيدة ونغميّتها.

إنّني لا أسعى في كلمتي هذه إلى التنظير، بل إلى عرضِ منطقتاتي الأساسيّة في الشعر. وقد حاولتُ أن أسيرَ على هديها منذ كنت على مقاعد الصّفوف الثّانويّة في معهد الحكمة في بيروت، ثمّ في حلقة الثّريّا. وكنت أهيئ نفسي لأطلّ بمجموعتي الشعريّة الأولى في أواسط السّتينيات. لكنني غرقتُ في شؤون مهنة المحاماة وشجونها. هذه المهنة التي أحببتها ونذرتُ لها نفسي، وأعطيتها جهدي ووقتي وأعصابي، إيماناً

منِّي بأنَّ المحاماةَ رسالةً، وعليَّ أنْ أحيَا لتأديةِ هذهِ الرسالةِ، فانصرفْتُ
مكرهاً عن الشعرِ.

ولكنَّ نداءَ هذا المدهشِ، ظلَّ يتردَّدُ في أعماقِ نفسي، فأصمَّ أذنيَّ عنه،
ولا أستجيبُ له إلاَّ في بعضِ الأحيانِ، فأطلعُ بقصيدةٍ من هنا وبأبياتٍ
متفرقةٍ من هناك.

وكانت الحربُ اللبنانيَّةُ المشتعلة منذ تسع سنواتٍ، وما رافقها من الخرابِ
والدمارِ والمآسي الوطنيَّةِ والإنسانيَّةِ الرَّهيبةِ، فهزَّت الإنسانَ في لبنان
حتَّى الأعماقِ، وأثخنت نفسي بالجراحِ، فأبى النبعُ المكبوتُ إلاَّ أنْ يتفجَّرَ
من جديدٍ، فكانت قصائدُ هذه المجموعة التي نظمتُها خلال سنتي ١٩٨٢
و ١٩٨٣، ما عدا بعضاً منها يعود إلى سنين قريبة أو بعيدة، أخضعتهُ
للمراجعة، ليأتي متناسباً مع تجربتي الشعريَّة الجديدة.

وعسى أن تُلقِي مجموعتي هذه بعض الضَّوءِ، وأن أكونَ ملبيًا لنداءِ
الشعرِ كلَّما دَعَتني كلماتُهُ. فالحياةُ بدون شعرٍ صحراء موحشة.

ومشى بين دواوينه الاثني عشر

نخشع يا إيليا كلما ذكرنا الشعر، وتتحني الهامات إجلالاً أمام عظمة الشعراء. فما من عرش أبهى من عرش الشعر، وما من خلود أسمى من خلود الشعراء.

أنت يا إيليا واحد من هؤلاء الكبار، الذين يمرّون لحظة في الزمن فيحيون فيه إلى الأبد.

نذرت نفسك للخلق والإبداع، فمشى بشعرك التراب، وتوهجت فيه الخوارق والروائع، وانبثقت منه في كبد السماء كواكب وأقمار جديدة، وعشنا وسنظل نعيش معه أعياد الحب والجمال.

ومشيت بين دواوينك الاثني عشر، كما مشت المواكب إلى الأعالي، ولكم خلقت إيان تلك اللحظات، تتلو صلاة التبشير الأدبية، شعر لبناني الحلية، إنساني الأهداف، ما فاتته الإشجاء.

يا إيليا،

لم نأت اليوم لوداعك، لأنه لا وداع لمن يسكن في القلوب، أو لنرفعك فوق راحتنا، بل لترفعنا معك إلى الأجواء العلى. ولم نأت اليوم يا إيليا، لنعلق على نعشك الأوسمة، ونضع على ضريحك أكاليل الزنبق والغار،

بل أَتينا لنحاولَ أن نلمسَ أطرافَ ردائكِ تبرّكاً، وأنتَ تتطلقُ من أرضنا،
وتعبرُ الأفلاكَ في مركبةٍ من نارٍ، كما عبَرَ من قبلُ إيلياً النبي.

وماذا عسانا نقول بعد يا إيلياً؟

أَنقولُ إِنَّكَ النبلُ والصدّاقةُ والنجدةُ والمحبةُ والسخاءُ؟

أَنقولُ إِنَّكَ الشجاعةُ والكرامةُ والصدّقُ والحقُّ والإباءُ؟

وإنَّكَ الندى إذا حلمتَ، وإذا غضبتَ فإنَّكَ الغضبُ المقدّسُ؟

لا، لن نقولَ ذلكَ، ونسترسلُ في تعدادٍ لا ينتهي من صفاتِكَ الحسان، بل
نقولُ: إِنَّكَ الشَّعْرُ يا إيلياً، والشَّعْرُ هو كلُّ شيءٍ.

أنطلياس، في ٢٠/٥/١٩٩٨

دور لبنان في حوار الحضارات

تقديم الندوة

في غمرةِ النقاشِ المتشعبِ الذي يدورُ حولَ موضوعِ الحضاراتِ بعدَ أحداثِ ١١ أيلول الماضي، وما إذا كان قدرُها أن تتصادمَ وتتصارعَ أو تتحاورَ وتتفاعلَ، رأتِ اللّجنةُ الثقافيةُ في رعيّةِ القيامةِ أن يكونَ عنوانُ ندوتها الأولى لنشاطها الثقافيّ خلالَ العامِ ٢٠٠١-٢٠٠٢ "دور لبنان في حوار الحضارات".

ذلك أنَّ لبنانَ بحكم موقعه الجغرافي عند تقاطع القارَّاتِ الثلاثِ، وبحكم تنوُّع التياراتِ الروحيَّةِ والثقافيَّةِ فيه، وانفتاحه منذُ القدمِ على العالمِ، وانتشارِ بنيهِ في شتَّى البلدانِ المختلفةِ المشاربِ والمذاهبِ، كان ولا يزالُ يشكِّلُ أحدَ أهمِّ مراكزِ حوارِ الحضاراتِ في العالمِ، ويكادُ أن يصبحَ النموذجَ والرَّسالةَ.

فمن شواطئنا الدهريَّةِ، انطلقتِ السفنُ الفينيقيَّةُ تجوبُ البحارَ وتقتحمُ المجهولَ، فيتمُّ أولُ اتِّصالٍ سلميٍّ بين الشعوبِ المختلفةِ الألوانِ والأجناسِ، وتفتتحُ البلدانُ بالحرفِ لا بالحربِ، ويتعلَّمُ البَشَرُ تبادلَ السلعِ والأفكارِ والثقافةِ.

وإذا تجاوزنا العصورَ والامبراطورياتِ القديمةَ، التي كان من العناوينِ اللَّبنانيَّةِ لحوارِ الحضاراتِ فيها قدموس وطاليس وزينون الصيداوي، ومدرسة الحقوقِ في بيروت أمَّ الشرائعِ، والإمامُ الأوزاعي وسواهم، نجدُ أنَّ لبنانَ بعد انحسارِ القُرونِ الوسطى كان رائدَ الانفتاحِ على الغربِ، بدءاً من المدرسةِ المارونيَّةِ في روما، التي تأسَّست في أواسطِ القرنِ السادس عشر، ومن ملافنتها الكبار أمثال الدويهي والسمعاني والصهيوني والحاقلاني، فاستنارَ لبنانُ بأضواءِ حضارةِ الغربِ الجديدةِ ونَشَرها في الشرقِ، ونَقَلَ إلى الغربِ كنوزَ الحضارةِ المشرقيَّةِ، ولا سيَّما العربيَّةَ منها.

وكان اللّبنانيّونَ أساسَ النهضةِ العربيّةِ الحديثةِ، ومن أساطينها اليازجيون والبستانيّون وأحمد فارس الشدياق، ومن منابرها الأهرامُ والهلالُ والمقتطفُ والمقطّم، ولا تزالُ صرختهم التاريخيّةُ "ألا هُبُوا واستفيقوا أيّها العرب" التي هزّت العالمَ العربيَّ من أقصاه إلى أقصاه وأيقظته من سباته الطويل العميق تدوي حتى اليوم.

وشكّلتِ الرابطةُ القلميّةُ في القارّةِ الأميركيّةِ، ومن أعلامها أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، ومجموعة المتفّقين اللّبنانيّين في فرنسا ومن بينهم شكري غانم وخيرالله خيرالله وجورج شحاده وسواهم، جسورًا لتلاقي الحضارات والتبادل الثقافي. ومؤخرًا احتفلت الولاياتُ المتّحدةُ الأميركيّةُ بذكرى أمين الريحاني باعتباره رائدًا من رواد التفاعل الحضاريّ بين الشرق والغرب والوطن اللّبناني بحدّ ذاته قامَ ويقومُ، إلى حدٍّ بعيدٍ، على الحوارِ الداخليّ بين أبنائه، وبخاصّةٍ بين المسيحيّة والإسلام، هذا الحوارُ الذي لا يتمّ في بطون الكتبِ والصحفِ فحسب، بل يعيشه اللّبنانيون فعليًّا كلَّ يومٍ، في البيتِ والشارعِ والمدرسةِ والجامعةِ والمصنعِ والمتجرِ، وفي كلِّ مظهرٍ من مظاهرِ الحياةِ المشتركةِ، حتى ليكن القولُ إنّهُ بنتيجةِ هذا التفاعلِ اليوميّ نشأتُ في لبنانَ مظاهرُ حضارةٍ خاصّةٍ، من مميّزاتها أنّه ما من مسيحيٍّ في لبنانَ إلّا وفيه شيءٌ من الإسلام، وما من مُسلمٍ في لبنانَ إلّا وفيه شيءٌ من المسيحيّةِ، وأنَّ

الإسلام في وطننا هو غير الإسلام في العراق أو في السعودية أو في الجزائر، وأنّ المسيحية عندنا هي غيرها في مصر أو في فرنسا أو في إيرلندا.

إنّ الوحدة الوطنية اليوم هي خلافاً لما يعتقد البعض أقوى ممّا كانت عليه قبل الأحداث، التي لم تنفجر بسبب الخلاف بين اللبنانيين، بقدر ما انفجرت بسبب التدخل والمؤامرات الخارجية، وذلك لأنّ اللبنانيين اتفقوا على الهوية، وعلى نهائية الوطن، وعلى الديمقراطية التوافقية، وعلى المقاومة الوطنية، وبات المسلمون جميعهم، خلافاً لما كان عليه موقف الكثيرين منهم في النصف الأول من القرن العشرين، يؤمنون بأنّ لبنان هو وطنهم النهائي ويتمسكون به تمسك إخوانهم المسيحيين، وبات لبنان اليوم، ينظر إليه كنموذج للتعايش بين الفئات المتعددة المعتقدات والثقافات، وأصبح الكثيرون من رجال الفكر يعتبرون أنّ الطوائف إذا تفاعلت وانضوت تحت لواء الوطن الواحد وآمنت به تشكل مصدراً توازن وغنى روحي وثقافي وحضاري.

فأهلاً بكم في رعية القيامة في قرنة شهوان، التي انطلق منها مؤخراً لقاء حوارٍ وطنيٍّ متألق لتعزيز العيش المشترك وتدعيم الوحدة الوطنية، وذلك تحت رعاية أحد كبار أحرار لبنان وأركان البارزين، المشعّ

كالمنارة، الثابت كالصخرة، والمطلّ من قِمَمنا العاليةِ الواسعةِ الآفاقِ على حضاراتِ الدّنيا، سيادةِ المطران يوسف بشاره.

وأهلاً بكم تستمعون إلى مداخلتين تتناولان دورَ لبنان في حوارِ الحضارات، يقومُ بهما في هذه الندوةِ علّمان كبيران، يذكّران باعتزاز، كلّما ذكر الحوار والانفتاح والثقافة والحرية والديموقراطية والجرأة والصوت المدويّ دفاعاً عن الحقّ والشعب، معالي الأستاذ غازي العريضي والأستاذ سمير فرنجيّة، فلهما المنبر وإليهما الأنظارُ والأسماع.

قرنة شهبان، في ١٥/١٢/٢٠٠١

قيمة العيش المشترك

العيشُ المشتركُ أصيلٌ في لبنان، ويدخلُ في أساسِ تكوينه، وليس بظاهرةٍ طارئةٍ. فالى جانبِ المعادلةِ التي تقولُ إنّ لبنانَ هو الحريةُّ، أو أنّ مبرّرَ وجودِ لبنانَ هو الحريةُّ، يمكنُ أن نُضيفَ معادلةَ أخرى، نقولُ: إنّ لبنانَ هو العيشُ المشتركُ، فإذا سقطَ العيشُ المشتركُ سقطَ لبنانُ وسقطتِ الحريةُّ.

وانطلاقاً من ذلك أسمحُ لنفسي بأن أعترض، على ما تردّد أحياناً في بعض جلسات هذا المؤتمر، وعلى ما يُقال أحياناً خارجه، من أنّ العيش المشترك هو تجربةٌ في لبنان: "تجربة العيش المشترك".

فلبنان الحديث، بدأ يتكوّن، عندما انفتحَ المواردُ على الدروز، وانفتح الدروزُ على المواردِ، وأخذ هؤلاء يخرجون، في أواخر القرن السادس عشر، وأوائل القرن السابع عشر، من حصونهم الطبيعيّة في شمال لبنان، التي كانوا قد لجأوا إليها، حفاظاً على حريّاتهم وممارساتها، وأخذوا بالتالي يشتركون في حكم وإدارة الإماراتين المعنويّة والشهابيّة.

إنّ لبنان الحديث قد نشأ من العيش المشترك الذي مارسه في البداية المواردُ والدروز، ثمّ مارسه في ما بعد جميع الطوائف اللبنانيّة.

والدور الكبير الذي لعبه المسيحيّون عامّةً والموارنة خاصّةً في هذه المنطقة، كانَ بنتيجة هذا العيش المشترك، واشتراكهم في المسؤوليّة، وبنتيجة انفتاحهم، من خلالهما على الشرق والغرب على السواء. ولو ظلّ المسيحيّون قابعين في جبالهم ووديانهم الوعرة. لما تسنّى لهم أن يشتركوا في الحكم، وأن تكونَ لهم اليد الطولى في بناء لبنان الحديث، وأن يكونوا رواد النهضة العربيّة.

وما دام أنّ العيش المشترك هو أصيلٌ في لبنان، فهو لذلك حتميٌّ. لا بديل للعيش المشترك. فإمّا العيش المشترك وإمّا سقوط لبنان.

وقد أَكَدَّتِ الشواهدُ التاريخيَّةُ ذلك، فبعدَ فتنة ١٨٦٠ وأحداثها ومجازرها الرهيبة، لم يكن أمام اللُّبْنانيِّينَ من حلٍّ سوى العيشِ المشتركِ، فعادوا إلى ممارسته بعد فترةٍ قصيرةٍ من الزَّمنِ.

وبعد أحداثِ سنة ١٩٥٨، كان الحلُّ الوحيدُ المُتاحُ أمام اللُّبْنانيِّينَ هو العيشُ المشترك.

وعلى الرَّغم من أنَّ عددًا كبيرًا من المفكرين، ومن المؤسَّساتِ الأجنبيَّةِ، قد تجنَّدوا خلالَ الأحداثِ الأخيرةِ، التي استمرَّتْ سبعةَ عشرَ عامًا، وابتدأتْ بالدَّبحِ على الهويَّةِ، وسَعَوْا عن حسنِ نيةٍ أو سوءِ نيةٍ إلى إيجادِ حلٍّ للمشكلةِ اللُّبْنانيَّةِ، فإنَّ أيًّا من تلكِ الحلولِ لم يمرَّ، ولم يقبلْ به اللُّبْنانيُّونَ، ولم يعمدْ سوى الحلُّ الوحيدُ التاريخيُّ الذي لا بديلَ له، وهو حلُّ العيشِ المشترك.

وهنا انضمَّ إلى قافلةِ المحذِّرينَ من التفتيشِ عن حلٍّ خارجِ العيشِ المشتركِ، كالنَّقسيمِ والكننوناتِ وسواها، وذلك لأنَّ مثلَ هذا الحلِّ سيكونُ بمثابةِ الانتحارِ للمسيحيِّينَ، واستقالةٍ من دورهم التاريخيِّ الرائدِ في منطقتهم العربيَّةِ، وتنازلٍ عن الثروة الحضاريَّةِ الضخمة، التي كان لهم الفضلُ الأوَّلُ في تحقيقها، وهي لبنان الحديث، الذي قال عنه قداسةُ الحبرِ الأعظم: لبنان أكثر من وطن، إنَّه رسالة.

وما السينودس، الذي دعا إليه قداسة الحبر الأعظم، سوى دعوة صريحة، موجهة إلى اللُّبنانيّين عامّةً، وبخاصّةٍ إلى المسيحيّين، للتمسكٍ بالعيش المشترك والانفتاح على محيطهم العربيّ، وممارسة دورهم التاريخي في هذا المحيط، وعلى اللُّبنانيّين، ولا سيّما المسيحيّين منهم، أن يفهموا هذه الدعوة ويعوّا أبعادها.

وبنظري أنّ حصون المسيحيّين اليوم لم تعد الاحتماء في منطقة معيّنة، بل أنّ حصونهم التي تمكّنهم من الاستمرار في ممارسة حريّاتهم، وتعيد إليهم كلّ الوهج الذي يستحقّونه، هي تحصين العيش المشترك في وطنهم، وتفعيل دورهم الحضاري في المنطقة. فعندما انتشر المسيحيّون في جميع أنحاء لبنان، لم يحققوا ذلك بالسيف، بل بالانتفاع والانفتاح والإشعاع الحضاري.

لا خوف على العيش المشترك، فهو قد كان وسيظلّ بخير، وقد مارسه اللُّبنانيّون، كلّما كان يُتاح لهم ذلك، في أحلك ظروف الأحداث الأخيرة، وقد دعا هذا المؤتمر، لا إلى تجديده باعتباره قد سقط، بل إلى تفعيله، وإذكاء شعلته، باعتباره حقيقة ثابتة.

لمناسبة وفاة الدكتور ألبير مخير

مضى ليعود فيولد من جديد

أيُّها الراحلُ المتوجُّ بالغار،

في يومٍ وداعك نقولُ لكِ إلى اللقاءِ. فالعظماءُ لا يموتون. بل يعودون
باكرًا مع كلِّ صباحٍ، لينبشوا الطريقَ، ويُطلقوا صرخةَ الحقِّ والحريةِ
حتى ساعة انتصار الإنسان.

فيا أيُّها المنتظرُ في البذارِ الذي وقعَ في التربةِ الخصبةِ،

يقولونَ فيك، وما أصدقَ ما يقولونَ:

إنَّكَ بطلُ الديموقراطيةِ، وفارسُ البرلمانِ، وأحدُ عمالقةِ الوطنِ، وإنَّكَ
الشفافيةُ المطلقةُ، والنصاعةُ المطلقةُ، والصدقُ والاستقامةُ، والشجاعةُ
المستحيلةُ... ولا ينتهي التعداد.

ويقولونَ: إنَّكَ وحدكَ تستطيعُ أن تقولَ لا، عندما تركعُ كلُّ ركبةٍ، وتقولُ
نعم، عندما يخشى أن يقولها الشجعانُ، وتبقى في الحالتين، كما أنتَ
شامخًا وراسخًا كجبالِ لبنان.

ولكن أعظم ما نقولُ فيك، إنَّكَ المدافعُ الأوَّلُ عن الإنسانِ وحقوقه
وقضاياه، والصوت الصارخ في بريَّةِ الظلمِ والتكيلِ والعنفِ، والطبيب
الرسول الأسطورة، ورفيق الفقراء والمُعذَّبين والمستضعفين. وكم كُنَّا

نتردّد صباح كل يوم إلى منزلك البسيط كالتواضع، الرّحّب كالمحبّة، فنشاهد العشرات من النساء والرجال، وقد أتى معظمهم، من كل صوب، لينالوا الشفاء. ونشهد أنّك لم تهمل يوماً واجبك السياسي، ولم تنس النيابة والوزارة أحياناً إلا من أجل نجدة مريض. ونذكر أنّك مرّة دُعيت ليلاً لمعاينة رجل فقير أُصيب بعارضٍ صحيّ مفاجئ، في إحدى قرى الجبل، فأسرعت، وعلمت لدى وصولك، أنّ المريض هو أحد الرّعيان، الذي يبيت مع قطيعه في زريبة قابعة في قعر وادٍ سحيق، فأبيت إلا أن تتحدّر على ضوء النجوم لنجدته، وقضيت الليل بطوله تُداويه، إلى جانب قطع الماعز، حتّى طلع الفجر، وتمكّنت من نقله سالمًا إلى المستشفى.

فيا صاحب المدرسة الوطنيّة والسياسيّة والإنسانيّة الفريدة،
ويا سيّدًا من أسياد الكلمة والأدب السياسيّ،
ويا أيّها الساكن في ذاكرة الشعب إلى الأبد،
إنّ أرضنا التي لا تعرف القحط، والتي لا تنفك تثبت الأبطال، هي على موعد معك، في أجيالها الطالعة.
إنّ لبنان الذي أحبيته كفيًا، هو بأمس الحاجة إليك، فلا تتأخّر، وإنّا لمنتظرون.

المصادر والمراجع

- ١- ريمون عازار، ديوان، "وطني الحبّ والجراح"، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.
- ٢- ريمون عازار، ديوان، "أجنحة إلى الشمس"، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.
- ٣- ريمون عازار، ديوان، "عبور إلى البهاء"، دار نعمان للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.
- ٤- ريمون عازار، ديوان، "بين المجرّة والسّابل"، دار نعمان للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.
- ٥- سعيد عقل، ديوان، كما الأعمدة، دار الكتاب اللبناني-بيروت.
- ٦- إيليا أبي ماضي، ديوان إيليا أبي ماضي، دار عوده.
- ٧- راجع كتاب المذاهب الأدبيّة- فرنسا.
- ٨- الدكتور إحسان عبّاس، فنّ الشّعْر.
- ٩- أرسطو، الشّعْر ميل غريزي في الإنسان.
- ١٠- مدام دي ستايل، من المعروفين في الرومنسيّة الفرنسيّة.
- ١١- نزار قبّاني، قصّتي مع الشّعْر، الطبعة الرابعة.

- ١٢- "أفيد" أو "بوليوس أفيدوس ناسو" من شعراء روما الذين عُرفوا بالإخلاص والأحاسيس المرهفة.
- ١٣- ريمون عازار، مقدّمة ديوان، وطني الحبّ والجراح، ص ٨، ٩.
- ١٤- صلاح لبكي، المجموعة الكاملة.
- ١٥- إيليا أبي ماضي، ديوان الجداول، قصيدة الطلاس.
- ١٦- نظريّات تشيرُ إلى الوجدانيّة الحافظة الكلاسيكيّة، والسرياليّة والرومنسيّة والرمزيّة، وكلّ ذلك من سلسلة العواطف البشريّة.
- ١٧- راجع حلقات الثريا.
- ١٨- راجع ندوات مجلس المتن الثقافيّ.
- ١٩- راجع L. gelas: Edgar Poe...
- ٢٠- أمين نخله، الديوان الجديد. دار الكتاب اللّبناني - بيروت.
- ٢١- عبدالله القبرصي، مصرع سمّنة، ١٩٤٣.
- ٢٢- راجع ندوة مجلس الفكر التي أقيمت يوم الجمعة الواقع فيه ٢٣ كانون الأول عام ١٩٩٤.
- ٢٣- ميخائيل نعيمه، الغربال، دار صادر.
- ٢٤- صلاح لبكي، الأديب، ع ١٩٣، ص، ٨٥.
- ٢٥- يوسف غصوب، المكشوف، ١٩٣٧، ع ٩٢، ص ٦.
- ٢٦- راجع بول فاليري، أحد شعراء فرنسا الكبار.
- ٢٧- عبد الرحمن بدوي، فنّ الشّعْر لأرسطو طاليس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣.
- ٢٨- شوقي ضيف، الفنّ ومذاهبه في الشّعْر العربيّ، ط ٣، ١٩٥٦.
- ٢٩- ديوان مجنون ليلي، أحمد فرّاج، القاهرة، ص، ١١٥.

المحتويات

المقدمة

أضواء على حياته

الغزل في شعر ريمون عازار

الوجدان في شعر ريمون عازار

شاعرُ الوطن والأرض

ريمون عازار، شاعرُ المواقف والمنابر

موقع الشاعر ريمون عازار في الشعر العربيّ

الطاقة الإبداعية في شعر ريمون عازار

ريمون عازار، شاعر الأناشيد والقيم

الشاعر ريمون عازار، ناثرٌ مُبدع

خلاصة جمالية: الرحلة مع ريمون عازار

مقتطفاتٌ من شعر ريمون عازار

مقتطفاتٌ من نثر ريمون عازار

المصادر والمراجع

المحتويات

الثقافة بالمجان

سلسلة كتب أدبية مجانية أسَّسها ناجي نعمان عام ١٩٩١ وما زال يُشرفُ عليها

Ath-Thaqafa bil Majjan

Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par

Free of charge literary series established and directed since 1991 by

Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por

Naji Naaman

RAYMOND 'AZAR:

CHA'IRUL MAJARRATIDH-DHAW'IYYA

ريمون عازار:

شاعرُ المجرّات الضوئية

Septembre 2009

© Tous droits réservés – All rights reserved – Todos los derechos reservados - الحقوق محفوظة

Maison Naaman pour la Culture & www.najinaaman.org